المملكة العربية السعودية



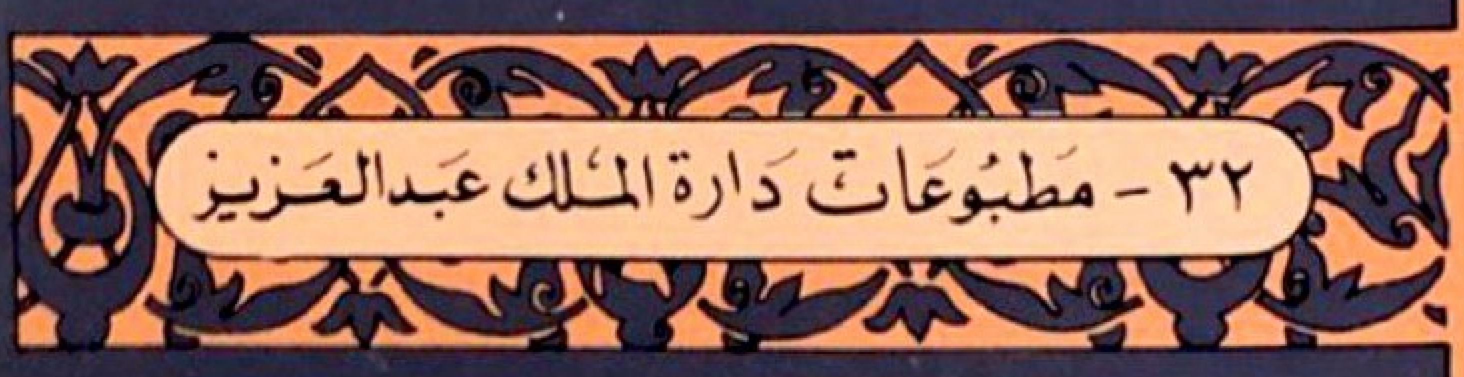


منذ بداية عهد الأشراف
حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد

(من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري)

للدكتور سليمان عبد الغني مالكي

الرياض
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م





بلاد الحجاز

منذ بداية عهد الأشراف
حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد

(من منتصف القرن الرابع الهجرى حتى منتصف القرن السابع الهجرى)

للدكتور سليمان عبد الغنى مالكى

الرياض
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٣٢ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

بداية كل نعمة وتمام كل خير

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

إهـــداء

أهدى هذا البحث الى سيدتى الوالدة الحنون الوفية اعترافا منى لها بالتقدير والعرفان فأثرها في حسن تربيتى لا أنساه ما دمت حيا فبدعائها سرت ، وبفضلها نلت الخير الذي قدره الله لى ، وبقوة ايمانها كان الطريق المستقيم الذي نهجته وسرت على منواله .

ولا عجب في ذلك فقد قرن الله طاعة الوالدين بطاعته سبحانه وتعالى فقال : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » وفقنى الله لطاعتها ، فجميلها لا تستطيع الأقلام وصفه ولا قوة البيان شرحه فلها الشكر بعد شكر الهى ولها الفضل على مدى الأيام .

وانى اذ أهدى لها هذا البحث فانما أسأل الله جل ثناؤه أن يجعل خالص عملى هذا في حسناتها يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

اهـداء ولدك
سليمـــان



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

لقد ظل للحجاز مكانته الدينية في نفوس المسلمين في شتى الأمصار على الرغم من تحوّل مقر الخلافة إلى كل من دمشق وبغداد في عصر الدولتين الأموية والعباسية ، وكان أمر الحجاز موكولا لولاة يُعيّنهم الأمويون والعباسيون .

أما العلويون من آل الحسن والحسين فقد أُبعدوا تماما عن أية ولاية على مكة أو المدينة ، وظلوا مجرد رعايا يعيشون في الحجاز أو يخرجون إلى مختلف الأمصار الأمر الذى أثار حفيظتهم وأدى بالتالى إلى قيام ثورات كان أولها ثورة ابن الزبير في العصر الأموى ثم تلتها ثورتان في العصر العباسى باءت كلها بالفشل مما جعلهم يلجئون بعد ذلك إلى السكون وإن عمد الأئمة منهم الى أسلوب الدعوة السرية .

وحينما أعلن قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربى وامتدّ نفوذها نحو المشرق بدءا ببرقة ثم مصر والشام وكذا الجزيرة العربية بادر جعفر بن محمد من آل الحسن بن على بتقلّد أمر مكة ، وكذلك طاهر بن مسلم من آل الحسين بن على بتقلد أمر المدينة . وهكذا جاء تولىّ العلويين شئون الحجاز يشكّل

استقلالا ذاتيا في إظهار التبعية للخلافة الفاطمية ، وصار يطلق عليهم لقب « الاشراف » .

ولا شك أن هذه الفترة وما صاحبها من صراع وتنافس بين الخلافتين السنّية والفاطمية الشيعية حول الحجاز كانت فترة هامة لها أبعادها وآثارها .

وقد عرض المؤلف هذه الأحداث في سرد محكم ، وعرض مفصل مستعينا بأمهات المراجع التاريخية المتعددة . وبجانب ذلك تضمنت الرسالة الحديث عن الحياة الداخلية للحجاز ، كما تضمنت أيضا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والعلمية .

ودارة الملك عبدالعزيز إيمانا منها بإحياء التراث التاريخى للأمة الإسلامية وبخاصة ما يتعلق بتاريخ الحجاز لتبارك هذا الجهد الموفق بإضافة هذا البحث إلى المكتبة التاريخية الإسلامية . وفقنا الله جميعا إلى ما فيه خير العرب والمسلمين ، وهدانا إلى سواء السبيل .

الـــدارة

المقدمة

حمدا لمن جعل مكة مهوى أفئدة المؤمنين تحقيقا لدعوة ابراهيم عليه السلام وشرفها بمبعث خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد ...

تهفو أفئدة المسلمين في شتى بقاع الأرض الى الأراضى المقدسة حيث الكعبة المشرفة في مكة ومثوى النبى الكريم في المدينة المنورة . وحق علينا أن نبحث في تاريخ الحجاز في العصور المختلفة على امتداد العصر الاسلامى . وكان لى شرف كتابة رسالة لدرجة الماجستير عن مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضى المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة حتى سقوط بغداد . فشعرت أن تاريخ بلاد الحجاز لا يزال بحاجة الى بحوث عدة . فكان اختيارى لموضوع بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط بغداد ، موضوعا لبحث جديد أتقدم به لدرجة الدكتوراه .

فقد ظل أمر مكة والمدينة في يد ولاة من رجال الدولة الاسلامية يعيِّنهم الخلفاء الأمويين ثم العباسيون من غير أهل البلاد غالبا ، ودون العلويين من آل الحسن أو آل الحسين ابنى على بن أبى طالب بصفة خاصة . فهؤلاء قد أبعدوا تماما عن أية ولاية لهم على مكة أو المدينة وظلوا مجرد رعايا يعيشون بالحجاز أو يخرجون الى مختلف الأمصار .

ولا شك أن هؤلاء العلويين كانوا غير راضين عن ابعادهم عن أمور الولاية فضلا عن انتقال الخلافة الى بنى أمية ثم بنى العباس دونهم . ثم ان بطش الخلفاء بهم وفشل ثورتهم ألجأت فريق الشيعة الاسماعيلية الى مبدأ تستر الأئمة وأسلوب الدعوة السرية الى الامام المهدى في مختلف أنحاء العالم الاسلامى في

المشرق والمغرب ، حتى أعلنت الخلافة الفاطمية في افريقيا أواخر القرن الثالث الهجري .

ولما كانت الخلافة الفاطمية تؤمن بسيادتها الشرعية على العالم الاسلامى دون الخلافة العباسية في بغداد أو الخلافة الأموية التى أعلنت بالأندلس في العقد الثامن من القرن الرابع الهجرى ، فانها دخلت في صراع طويل لتحقيق تلك السيادة . فكان امتداد الخلافة الفاطمية نحو المشرق بدءا ببرقة ثم مصر والشام وكذا الجزيرة العربية .

واذا كان الفتح الفاطمى لمصر والشام قد تم بالقوة العسكرية ، فان النفوذ الفاطمى في الحجاز قد جاء بطرق مهد له الفاطميون بحذق ومهارة . فنراهم يشجبون أعمال القرامطة دعاة الاسماعيلية الذين هاجموا مكة عام ٣١٧ هـ وأعملوا النهب والقتل ، وأكثر من ذلك اقتلاع الحجر الأسود ، حتى أعادوه الى مكانه عام ٣٣٩ هـ بمساعى الخلفاء الفاطميين المهدى ثم القائم ثم المنصور .

كذلك سعى المعز لدين الله الخليفة الفاطمى الرابع الى عقد الصلح بين الأسرات العلوية المقيمة بالحجاز واصلاح ذات بينهم وتحمل ديات القتلى منهم عن طريق سفارة أرسلها لهذا الغرض . وقد رجحنا أن لهذه السفارة غرضا سرياً آخر وهو الاتفاق على دخول السادة العلويين في تبعية الخلافة الفاطمية بسبب ما قدمته من أيادى بيضاء وما بينهم من قرابه ، على أساس توليتهم أمر مكة والمدينة ومساعدات مالية وعينية ترسل اليهم سنويا . وتحدد تنفيذ هذا كله بنجاح الفتح الفاطمى لمصر .

فما أن تم ذلك الفتح عام ٣٥٨ هـ حتى بادر جعفر بن محمد وبنى سليمان من آل الحسن بن على بن أبى طالب بتقلد أمر مكة والدعوة باسم الخليفة الفاطمى في خطبة الجمعة وكذلك طاهر بن مسلم من آل الحسين بن على بن أبى طالب بالمدينة عام ٣٦٠ هـ .

وهكذا جاء تولى السادة من آل البيت شئون الحجاز يشكل استقلالا ذاتيا في إطار التبعية للخلافة الفاطمية ، وصار يطلق عليهم لقب الاشراف .

ولقد عالج الفصل الأول من هذا البحث الناحية السياسية وتعرض لتلك الظروف التاريخية التي أدت الى قيام حكم الاشراف في الحجاز وما صاحب ذلك من بداية فكر اسلامى جديد مؤداه أن من يدعى باسمه على منابر الحرمين الشريفين فهو صاحب السيادة الشرعية في كافة أنحاء العالم الاسلامى . ومن ثم ظهر التنافس الشديد بين الخلافتين العباسية السنية والفاطمية الشيعية حول الحجاز . ووجد الاشراف في الاعتراف بهذا الخليفة أو ذاك وسيلة لضمان وصول الأعطيات السنوية دون انقطاع ولهذا تعرض البحث الى تلك التطورات التي صاحبها استخدام القوة العسكرية أحيانا مما أدى الى بعض الاضطرابات .

وكما أنهى صلاح الدين الأيوبى الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ فقد اهتم أيضا بأمر الحجاز واليمن لإسباب سياسية واقتصادية واستراتيجية أيضا . فدخل أشراف مكة في طاعة الأيوبيين ، كما حكم فرع أيوبى بلاد اليمن وقام الأيوبيون بواجبهم في حماية الأراضي المقدسة من اعتداءات الصليبيين . وبلغ النقود الأيـوبى ذروته بالحجاز عن طريق هذا الفرع الأيوبى في اليمن الذي أتيحت له فرصة التدخل المباشر في ظروف النزاع بين الأخوة على منصب الإمارة في مكة بأن أوجد له نائبا مقيما فيها بجوار الشريف الذي لم يكن شيئا مذكورا بجانب هذا النائب الذي صار له إمرة الحرمين وقيادة الجند وإدارة المال .

ولم يلبث أن ورث بنو رسول الأيوبيين حكم اليمن مستمرا في تثبيت نفوذهم على مكة ولهذا شاهدت مكة صراعا بين اليمن ومصر ظهر في مواسم الحج من كل عام . لمن يكون له شرف التقدم والرئاسة لأمير الحج اليمنى أم لأمير الحج المصرى .؟

كذلك تضمن هذا الفصل دراسة الأحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف أولا لبحث العلاقة بين الاشراف حكام مكة ، وهل كان الوئام والاتفاق يسود سائر بيوتات العلويين بالرضا عن الشريف القائم بالحكم ؟ وأثبت البحث أنه بجانب انتقال الحكم الى ثلاث أسرات متعاقبة من آل الحسن هم بنو سليمان ثم الهواشم ثم بنو قتاده ، فقد أصاب هذه الأسرات آفة الصراع بين أسراتها وبخاصة في عهد الهواشم وبنى قتادة وصل الى حد اغتيال الابن وأبيه وعمه ، والنزاع بين الأخوة وأولاد العم ، واستنجاد الاطراف المتنازعة بقوة خارجية بشكل أحدث الاضطرابات والقلاقل الكثيرة والمعارك التي سقطت فيها كثير من القتلى والجرحى .

كذلك تعرضنا لدراسة العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة ، واظهرنا مدى تطلع بنى قتادة حكام ينبع سابقا إلى ضم إمرة المدينة اليهم بجانب إمرة مكة حتى يصبحوا ملوك الحجاز . ثم انتقلنا إلى دراسة أوضاع عرب الحجاز سواء بنصرة بعض أشراف أو الانقضاض عليهم من ناحية ، وتأثير ذلك على حالة الأمن والفساد من ناحية أخرى .

كذلك شملت هذه الأحوال الداخلية سياسة الأشراف بحكم الحجاز، وبخاصة في مسألة المكوس التي كان الأشراف يعتبرونها حقا من حقوقهم يحصلونها من الحجاج والتجار الذين يفدون في الموسم من كل عام بمورد مالي بجانب ما يرد اليهم من أعطيات الخلفاء الفاطميين أو العباسيين . وكما لعبت تلك الأعطيات دورها في اقرار الاشراف التبعية لأي من الخليفتين كذلك ظهر أثر انقطاعها أو قلتها الى التجار الاشراف إلى تعويضها بفرض المكوس . وخلصنا من استعراض تاريخى لفرض المكوس أو الغائها إلى ما كان هناك من قلاقل واضطرابات تحدث بشأنها رغم سياسة الأيوبيين في وقف مثل هذه المكوس في نظير المساعدات المالية السنوية .

ويتناول الفصل الثانى الأحوال الاقتصادية ، وتشمل النشاط التجارى

في مدن وموانئ الحجاز التجارية والسلع التي كانت ترد إلى بلاد الحجاز والعلاقات الاقتصادية بين الحجاز والمدن الإسلامية ، ثم تعرضت للضرائب والمكوس وطرق جبايتها المختلفة وأبرزت الحرف التي كانت متوفرة في بلاد الحجاز وأهمية هذه الحرف بالنسبة للسكان عموما والصناعات التي كانوا يزاولونها وأهمية هذه الصناعات في الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز .

وأخيرا تحدثت عن دار ضرب العملة التى أنشئت في مكة المكرمة ودور أعطيات الخلفاء لولاة الحجاز وأهمية هذه الأعطيات بالنسبة لولاة مكة والمدينة .

وناقش الفصل الثالث (الحياة الإجتماعية) في بلاد الحجاز متناولا طبقات المجتمع الحجازى في كل من المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة وما امتازت به هذه الطبقات في هذا المجتمع الذي يعتبر حصيلة خليط المجتمعات الإسلامية التي أتت إلى مكة وجاورت فيها واستقرت حتى أصبح أفراد هذه المجتمعات الوافدة جزءا من السكان الأصليين . ثم ناقش البحث العادات الدينية التي امتاز بها سكان الحجاز وانتشرت بينهم حتى أصبحت أعيادا يقومون باحيائها في كل عام ، كما تحدثنا عن العادات الاجتماعية في هذا المجتمع الذي تعتبر خليطا من عادات المجتمعات الاسلامية المختلفة بجانب الأعياد والمواسم والاحتفالات المختلفة والأطعمة والأشربة التي كانت منتشرة في هذا المجتمع ، ثم تحدثت عن المنشآت الاجتماعية في مكة والمدينة والتي تتمثل في الأربطة ودورها في الحياة العلمية .

وتناول الفصل الرابع الحياة العلمية مبرزا المراكز العلمية وعلى رأسها المسجدان الحرام والنبوى الشريف ثم الكتاتيب والمدارس وأشهر العلماء الذين تصدوا للتدريس في هذه المراكز وكذلك العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ، ثم تحدثت عن الحياة الأدبية وأشهر الأدباء والعلماء والمجاورين بالحرمين الشريفين ومشاهير القضاة .

وتناول الفصل الخامس الحياة العمرانية مبتدئا بتوسعة المسجدين الحرام

والنبوى ، وأيضا تحدثت عن بناء المساجد وتجديدها وبناء الأسوار حول المدن والأعلام ، وأخيرا بناء القلاع والحصون وتجديدها وأهمية هذه القلاع والحصون في صدِّ غارات المعتدين على هذه المدن الإسلامية .

وخلاصة القول أن المظهر السياسى فترة حكم الأشراف في الحجاز اتصف بالتأرجح في التبعية لكلتا الخلافتين الفاطمية والعباسية ، إذ أصبح هذا التأرجح سمة من سمات هذه الحقبة الزمنية ، ولا غرابة فإن الخلافات في أسرات الأشراف بدأت مع بداية منتصف القرن الخامس الهجرى ، واستمرت طوال حكم الأشراف . أما الحياة الاقتصادية فكانت تتبع ما يحدث من أزمات مختلفة في باقي أمصار الدولة الإسلامية ، إذْ أن اقتصاد الحجاز ارتبط ارتباطا وثيقا بما ترسله الأمصار من ثروات مختلفة .

ومما تجدر الاشارة إليه أن الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز هي عبارة عن مزيج من مختلف الثقافات الاجتماعية من كل أمصار الدولة الإسلامية ، ولقد اتصفت الحياة العلمية في بلاد الحجاز بالتركيز على العلوم الدينية بصفة عامة وانتشرت باقى العلوم العقلية والنقلية وبعض العلوم المختلفة ، وبرز علماء في جميع المجالات . أما الحياة العمرانية فهى مزيج من النظام العمرانى الذي اتصفت به تلك الحقبة الزمنية .

أهم مصادر البحث التي أمدتنا بالمادة العلمية لهذه الرسالة وأهمها المصادر المخطوطة .

ابن فهد : كتابه (اتحاف الورى) :

أمدنا بمعلومات وافية عن الحوادث التي وقعت في مكة،ورتب كتابه حسب السنين وأيضا أمدنا بمعلومات عن الحياة العلمية في بلاد الحجاز وذكر لنا أشهر العلماء .

الرشيدي : (حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج) :

اشتمل كتابه على معلومات وفيرة عن امارة الحج وطرقه الرئيسية وأهم الحوادث التي وقعت في هذه الطرق ودور بعض الأمراء في القضاء على هذه الحوادث .

الصباغ :) تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام) :

استفدت من كتابه في معرفة بعض الوافدين والمجاورين وأهمية الأربطة في الحياة العلمية .

ابن الضياء (تاريخ مكة والمسجد الحرام والمدينة المنورة) :

تحدث المؤلف في كتابه هذا عن تاريخ مكة المكرمة ووصفه الكعبة المشرفة وحجر اسماعيل عليه السلام واهتم بوصف المدينة المنورة وركز على وصفه المسجد النبوى الشريف والاصلاحات التى طرأت عليه والاضافات التي عملت له كما ذكر لنا وصفا دقيقا عن الحجرة النبوية الشريفة .

محمد بن علـى الحسينى (اتحاف الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن) :

وهو من جزءين يهمنا في بحثنا الجزء الأول منه الذى خصصه مؤلفه للحديث عن تاريخ مكة وأمرائها من بنى الحسن حتى سنة ٦٦٠ هـ وقد اهتم المؤلف في هذا الجزء بابراز محاسن أمراء بنى الحسن ولم يذكر شيئا عن مساوئهم كما تحدث عن الحياة السياسية في مكة .

الفاسى (تحفة الكرام في اخبار البلد الحرام) :

هذا الكتاب مختصر لكتاب المؤلف (شفاء الغرام) وقد أبرز فيه المنشآت التي أقامها سلاطين بنى رسول بالحجاز مثل الآبار والسبل والأربطة والمدارس .

ابن الأثير (الكامل) :

من أهم المصادر التاريخية التي أمدتنا بمعلومات تاريخية عن بلاد الحجاز في العصرين الفاطمي والايوبي .

ابن واصل (مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب) :

أمدنا بمعلومات قيمة عن بلاد الحجاز في العصر الأيوبى ، لذا يعد من أهم الكتب لموضوع البحث .

ابن أيبك (كنز الدرر وجامع الغرر) :

المؤلف من علماء القرن الثامن الهجرى . ذكر لنا في كتابه تراجم الحكام والخلفاء والسلاطين حتى منتصف القرن الثامن الهجري .

الفاسى (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) - (شفاء الغرام) :

اهتم المؤلف في الكتاب الأول بذكر التراجم لعموم العلَماء والقضاة الذين عاشوا في مكة .

وفي الكتاب الثانى اهتم بأخبار البلد الحرام وبالنواحى الاجتماعية والسياسية والعمرانية وأمدنا بمادة علمية وفيرة .

ابن النجار (الدرة الثمينة في أخبار المدينة) :

هذا الكتاب من المصادر الهامة لموضوع البحث لأنه يمتاز بذكر الحياة الأدبية بالمدينة المنورة ، وقد أمدنا بمعلومات في الفصل الخامس من هذه الرسالة .

الفاكهــى (المنتقى في أخبار أم القرى) :

اهتم المؤلف بالحياة الاجتماعية والعلمية في مكة المكرمة وأمدنا بدراسة عن النواحى الاقتصادية لبلاد الحجاز .

النهروالى (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) :

هو محمد قَطب الدين بن أحمد علاء الدين بن محمد بن قاضى خان ابن بهاء الدين بن يعقوب بن حسن بن على ولد سنة ٩١٧ هـ وتوفى سنة ٩٩٠ هـ كان من أعيان سكان مكة عمل مدرسا بالمدرسة السليمانية وله مؤلفات كثيرة منها تراجم طبقات الحنفية . وكتابه الأعلام أمدنا بمعلومات عن الحياة الاجتماعية والعلمية والعمرانية في بلاد الحجاز .

ابن ظهيرة (الجامع اللطيف) :

ألقى المؤلف في هذا الكتاب الضوء على النواحى السياسية لبلاد الحجاز أما النواحى الاقتصادية فقد جاءت مختصرة .

ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) :

أمدنا بمعلومات عن أمراء مكة فترة التنافس بين الفاطميين والعباسيين كما أمدنا بمعلومات عن امراء المدينة من بنى مهنا وأحوال بلاد الحجاز في عهد صلاح الدين .

المقريزى :

من مؤرخى تاريخ مصر . أمدنا بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية والحج وإمارته والمنشآت الاجتماعية المختلفة التى أنشئت بمكة .

وللمقريزي عدة مؤلفات أهمها :

١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .
٣) السلوك بمعرفة دول الملوك .
٤) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك.

وقد استفدت من الكتاب الأول بما ذكره المؤلف عن بناء أسوار حول المدن وعن النواحى العلمية .

أما الكتاب الثانى فقد أمدنى بمادة علمية تبين اهتمام خلفاء الدولة الفاطمية ببلاد الحجاز والتنافس الذى حدث بين الخلافتين العباسية والفاطمية .

ومن الثالث مُددت بمعلومات وفيرة عن العصر الأيوبى والحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز .

ومن الرابع أخذت معلومات تاريخية عن كل من حج من الخلفاء من بغداد أو القاهرة وما جهزه الخلفاء وما قدموه لأهالي الحرمين .

السمهودى (وفاء الوفا) :

من الكتب المتخصصة في تاريخ المدينة ..

ذكر لنا الزيارات التي حدثت للمسجد النبوي الشريف وزودنا بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية والعمرانية والعلمية .

السخاوى (التحفة اللطيفة) :

من الكتب المتخصصة في تاريخ المدينة
اهتم بالتراجم وبالحديث عن العلماء والقضاة الذين جاوروا في المدينة .

الخزرجى (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) :

يتحدث المؤلف عن نشأة دولة بنى رسول وعلاقاتهم الخارجية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعلمية في عهد دولتهم ومدى تأثر اليمن بالحجاز في هذه الحقبة الزمنية .

ابن الديبع (قوة العيون في أخبار اليمن الميمون) :

يتحدث هذا الكتاب عن تاريخ بلاد اليمن منذ عصر الولاة حتى نهاية دولة بنى رسول وقد أمدنا بمادة علمية وفيرة عن الحياة السياسية في عصر الصليحيين ومدى علاقاتهم بأمراء الحجاز وبخلفاء الدولة الفاطمية ودورهم في نشر المذهب الشيعى ثم تنافس بنى رسول والأيوبيين على بلاد الحجاز.

يحيي بن الحسين (غاية الأمانى في أخبار القطر اليمانى) :

رتب المؤلف في كتابه الحوادث ترتيبا زمنيا وتحدث عن سيطرة الأيوبيين على بلاد اليمن، ثم سيطرة بنى رسول، وأمدنا بمعلومات قيمة عن الأحوال السياسية في هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث.

ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة) :

تحدث هذا الكتاب عن فترة تنافس العباسيين والفاطميين وعن الحياة العلمية في بلاد الحجاز.

أما كتب الرحلات فقد كان لها دور بارز في معرفة الحياة الاجتماعية والعلمية لبلاد الحجاز وأهم هذه الكتب :

١ ــ سفر نامه (ناصر خسرو) :

من أقدم كتب الرحلات وقد ولد مؤلفه ناصر خسرو سنة ٣٩٤ هـ وقام برحلته في الفترة من ٤٣٧ ـ ٤٤٤ هـ مبتدئا من مدينة (مرو) بخراسان حتى وصل الى بلاد الشام وفلسطين ومصر، ثم أتى الى مكة حاجا وقصد المدينة ثم عاد الى العراق وايران، وألف كتابه في عهد الخليفة المستنصر الفاطمى، وذكر لنا الأعطيات التي كان يرسلها الخليفة لأمراء مكة والمدينة كما ذكر لنا وصفا دقيقا عن أحوال المجاورين بالمدينتين المقدستين.

٢ — الرحلة (ابن جبير) :

تحدث مؤلف هذا الكتاب عن أحوال بلاد الحجاز زمن صلاح الدين ووصف لنا الطريق البحري المؤدي الى مكة وصفا دقيقا موضحا الصعوبات التي كانت تواجه الحجاج في هذا الطريق كما أمدنا بمعلومات عن الاعتداء الصليبي على البحر الأحمر وموقف السلطان صلاح الدين من هذا الاعتداء وأيضا رسم لنا صورة حسنة عن الحياة الاجتماعية في كل من المدينتين مكة المكرمة والمدينة المنورة .

٣ — ابن بطوطة :

من أشهر كتب الرحالة التي أمدتنا بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية والعادات الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

كما حدثنا المؤلف عن الحياة العلمية في بلاد الحجاز ودور المدارس والكتاتيب والأربطة في هذه الحياة .

ولا يسعنى في النهاية الا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان بالجميل لأستاذى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد أمين صالح أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب جامعة القاهرة لتفضله بالاشراف على هذه الرسالة وإنارة الطريق لى بتوجيهاته وارشاداته ، وفتح أمامى مغاليق ما استعصى من هذا البحث بغزير علمه فجزاه الله عنى وعن طلابه خير الجزاء .

كما أشكر أساتذتي الفضلاء الذين شاركوا في قراءة هذا البحث وتحملوا مشقة مناقشتى رغم مشاغلهم ، وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد .

انه سميع مجيب الدعاء .

الفصل الأول

الحياة السياسية في بلاد الحجاز

أولا : الحجاز قبيل حكم الأشراف

توطئــة :

زالت الأهمية السياسية لبلاد الحجاز التى كانت مقر الدعوة الاسلامية ومركز الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في مواجهة الأمصار الاسلامية الناشئة ، فتحولت بلاد الحجاز الى مجرد ولاية تابعة لسلطان الأمويين ثم العباسيين ، ومع كل فقد ظل الحجاز ذا مكانة دينية خاصة في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض الذين يأتون كل عام لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة [١] .

ومع كل فان العلويين من آل الحسن وآل الحسين ابنى على بن ابى طالب سكان هاتين المدينتين المقدستين كانوا يشعرون أنهم أصحاب حق مهضوم لانتقـال الخلافة الى غيرهم من الأمويين ثم العباسيين ، فشهدت أرض الحجاز ثورة ابن الزبير في العصر الأموى وكذا ثورتين علويتين في العصر العباسى تمكن الخلفاء العباسيون الأوائل من اخمادها بالبطش والقوة جعلت العلويين في خوف شديد على حياتهم فلجئوا الى السكون وان عمد الأئمة من

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ١٢١.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٠ القاهرة ١٩٥٦.
دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ص ٦ القاهرة ١٩٧٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١، ص ٧٣ القاهرة ١٩٦٢.

آل البيت من نسل الحسين الى أسلوب الدعوة السرية لتحقيق أهدافهم في تولى امامة المسلمين [١] .

ومن ثم شهد القرن الثالث نشاط الدعوة الاسماعيلية في جهات متفرقة من العالم الاسلامى وأثمرت الدعوة باعلان قيام الخلافة الفاطمية في المغرب عام **٢٩٨** هجرية في وقت ضعفت فيه الخلافة العباسية أمام سيطرة العناصر التركية على مقدرات الدولة ، ويأت الحجاز على أبواب تطورات سياسية خطيرة [٢] .

ففى مطلع القرن الرابع الهجرى قامت ثورة علويه بزعامة محمد بـن سليمان من آل الحسن في مكة المكرمة وأعلن نفسه خليفة على أرض الحرمين [٣] .

ففى موسم الحج عام **٣٠١** هجرية انتهز فرصة تجمع الحجيج واستولى على الامارة التى كانت بيد الوالى العباسى وأعلن نفسه خليفة في خطبة أوردها ابن خلدون [٤] وقال فيها « الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز زهرة الايمان

---

(١) الفاكهى: المنتقى في أخبار أم القرى ٧٦ دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٠.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٤.
ابن ظهيره: الجامع اللطيف ص ٦١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٧٣.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ١٢٣.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٤.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٦٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٧٤.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ١٣٠.
ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١١ دار لبنان ١٩٧٤.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٥.
سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ١٩ القاهرة ١٩٧٦.
(٤) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٢.

من أكمامه .وكمل دعوة الرسل بأسباطه مشيرا الى خلافة بنى العباس كانت غير مشرعية وأنهم اغتصبوا الحق من أهله وهم آل بيت النبوة .

غير أن المصادر التاريخية لم تشر الى تفاصيل كثيرة تبين لنا أهداف هذه الثورة فهل كانت قاصرة على الحجاز وحده ام كان محمد بن سليمان هذا ينوى استكمال معداته والقضاء على الخلافة العباسية . بل إن تلك المصادر تجاهلت الحديث عن مصير هذه الثورة فظلت مكة تابعة للخليفة العباسى الذي كان يعين واليا عليها كما يؤكد ذلك ابن خلدون [1] من أن أمير الركب العراقى كان يتولى أمر الخطبة في الموسم بمكة .

ولم يلبث أن تعرض الحجاز الى هجوم خطير من جانب القرامطة دعاة الفاطميين في شرق الجزيرة العربية ففى عام **٣١٧** هجرية دخل القرامطة مكة بقيادة أبى طاهر القرمطى واستطاعوا هزيمة ابن محارب الوالى العباسى على مكة الذي لم يستطع لهم وقفا وانتهى الأمر بقتله واستولى القرامطة على مكة [2] .

ويتنازع المؤرخون الرأى في الأسباب التى دعت الى قيام أبى طاهر

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٣٨.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٧.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٧٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٢١.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٠٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٦.
ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٦٨.
السباعي: تاريخ مكه جـ ١ ص ١٢١.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٩٨.

القرمطى بحملته على مكة فيدعى بعض المستشرقين من أمثال أوليرى دى لاسى [1] .

ان تلك الحملة كانت بتحريض من عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى في المغرب ويدلل على ادعائه بأن أبا طاهر القرمطى قد دعا للخليفة الفاطمى في خطبته عقب احتلال مكة .

ولا شك أن هجوم القرامطة كان من شأنه إضعاف هيبة الخلافة العباسية ويدلل على عدم قدرتها على حماية الحج في الحجاز وهو ما كان يهدف اليه القرامطة والفاطميون معا ومع أن الدكتور سرور [1] ينفى أن يكون هناك علاقة سرية بين القرامطة والفاطميين في القيروان في أول الأمر الا أنه عاد في موضع آخر وأقر بخضوع القرامطة لسلطان الفاطميين . ونرى أن القرامطة أرادوا التقرب للخليفة الفاطمى بهذا الهجوم الذي شنوه على مكة وكتبوا للخليفة الفاطمى ليبارك لهم هذا العمل غير ان الخليفة الفاطمى استنكر هذه الافعال الشنيعة التي ارتكبوها من قتل ونهب وسلب وانتزاع الحجر الأسود من مكانه فرد عليهم الخليفة بقوله « والعجب ممن كتب الينا ممتنّا علينا مما ارتكبه واجترمه باسمنا في حرم الله وجيرانه بالأماكن التي لم تزل الجاهليون تحرم إراقة الدماء فيها واهانة أهلها ، بل تعديت ذلك وقلعت الحجر الأسود وحملته إلى أرضك ورجوت أن تشترك فلعنك الله ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل في يومه ما فعله في حساب غده » [2] .

ومهما يكن من أمر فإن الحجاز بات في شبه عزلة إذ لم يستطع الركب

A Short History of the Fatimid Khalifate P. 86.

(١) سرور: سياسة الفاطميين الخارجين ص ٤٥.
(٢) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ٨٩.

العراقى الحضور للموسم مدة عشرين عاما بسبب اعتداءات القرامطة المستمرة على قوافل الحجاج علاوة على غارات الأعراب المعتادةفي وقت غياب السلطة الرادعة .

ومع كل فإن الخلافة العباسية سرعان ما أعدت العدة للقضاء على القرامطة وبذلك عاد نفوذ العباسيين وأقيمت الخطبة فيها للخليفة الراضى عام ٣٣٧ هـ[١] ولأن الخليفة غير قادر على استمرار حماية الحج والحرمين فقد أسند ولاية الحومين إلى والي مصر محمد بن طغج الاخشيدى الذي يقيم الدعوة في المنابر المصرية للخلافة العباسية ، وان كان يذكر اسمه مع الخليفة فأصبحت تقام لابن طغج أيضا في مكة وللمدينة مع الخليفة ، ولم يعارض المتقى أخو الراضى هذا الاجراء بل أيده بضم الحجاز كله إلى ولاية الاخشيديين[٢] .

على أن ولاية الحجاز لم تدم طويلا أيضا للاخشيديين فعندما حاز بنو بويه على السلطة في مقر الخلافة العباسية وصارت الأمور اليهم حاولوا ذكر أسمائهم مع اسم الخليفة في الخطبة في بغداد وسائر الأمصار الاسلامية ، وظهر بوضوح هذا النزاع في الحجاز سنة ٣٤٢ هـ حيث حاول كل من أمير الحج المصري

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ ص ٣٤٠.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٣٨.
المقريزي: الخطط جـ ١ ص ٢٣٠.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٣٧.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٧.
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ ص ٣٤٨.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٤٨.
سرور: سياسة الفاطميين الخارجين ص ٢٠.
سيده كاشف: مصر زمن الاخشيديين ص ١٥٣.

وأمير الحج العراقى أن يذكر اسم صاحبه فقط ولم ينته الأمر الا بعد قتال عنيف انتصر فيه الجانب العراقى ودعى لأل بويه مع الخليفة على منابر مكة [١] .

الحجاز بين الخلافتين الفاطمية والعباسية

من المعلوم أن الخلافة الفاطمية كانت تعتقد في سيادتها الشرعية الوحيدة على العالم الاسلامى دون العباسيين في المشرق أو الامويين في الأندلس ، وأن تمسكها بشرعيتها هذه دفعها الى عدم اقتناعها ببسط سيادتها على بلاد المغرب فحسب بل مواصلة سياسية الحرب لاخضاع جميع العالم الاسلامى تحت سلطانها المباشر . ومن هنا كان اهتمامها بأمور المشرق منذ البداية سواء تم ذلك بنشاط الدعوة الاسماعيلية أو بتوجيه حملات مباشرة في اتجاه الشرق بدءا ببرقه ومصر [٢] .

ولا شك أن بلاد الحجاز كانت ضمن برنامج الخلافة الفاطمية اذ كانت مركز الحج ومقر الحرمين الشريفين .

وبالرغم من أن القرامطة دعاة الاسماعيلية قد غزوا مكة ودعوا للخليفة

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ ص ٥٠٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٩.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٤.
سيده كاشف: مصر زمن الاخشيديين ص ١٥٥.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ ١ ص ١٠١.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٠.
البرادى: الدرة السنية ص ١٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٠.

الفاطمى فان ما اقترفوه من آثام وقتل ونهب بل ونزع الحجر الأسود من مكانه . جعل الخليفة الفاطمى يرفض أن تأتى سيادته على الحجاز بهذا الطريق الدموى . ومن ثم فانه ندد بأعمال القرامطة وناشدهم باعادة الحجر الأسود الى مكانه . وكانت استجابتهم لندائه واعادة الحجر الى مكانه في عهد الخليفة المنصور الفاطمى قد رفعت من شأن الفاطميين دون العباسيين الذين فشلوا في هذا المعنى ، وهناك عامل آخر رفع صيت الفاطميين بالحجاز حينما نجحت سفارة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لحل المنازعات الأسريه بين العلويين من بنى الحسن (١) ونجحت هذه السفارة بعقد الصلح بين العلويين في المسجد الحرام وتحمل الخليفة الفاطمى ديات القتلى منهم جميعا (٢) .

واذا كان المعز لدين الله الفاطمى قد أنهى مشاكله في الغرب وتفرغ لفتح الشرق فاننا نعتقد أن هناك هدفا سريا من وراء هذه السفارة الفاطمية للحجاز لابرام الصلح بين أفراد العلويين هناك ، وهو الاتفاق على توقيت اعلان تبعية الحجاز للخلافة الفاطمية وارتباط ذلك بنجاح الفتح الفاطمى لمصر . ولا شك أن عامل القرابة قد لعب دورا في ابرام هذا الاتفاق الذي يحقق المصلحة المشتركة لكلا الفريقين على أساس منح العلويين ولاية الحرمين الشريفين علاوة على مساعدات مالية .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقه ٢١٧.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤١.
البرادعى: الدرة السنية ص ١٢.
السباعي: تاريخ مكه جـ ١ ١٧١.

(٢) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٣.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٨٩.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٤.
البرادعى: الدرة السنية ص ١٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ١٧٢.

فما أن تم الفتح الفاطمى لمصر عام **٣٥٨** هجرية حتى أعلن كبير الأشراف الحسنيين جعفر بن محمد بن الحسن من بنى سليمان من آل الحسن بن على بن ابى طالب استقلاله بأمارة مكة والدعوة للخليفة الفاطمى في خطبة الجمعة [١] وما لبث أن حذا آل الحسين القاطنين المدينة المنورة حذو بنى الحسن بأن أعلن طاهر بن مسلم الحسينى استقلاله بإمارة المدينة عام **٣٦٠** هجرية وخطب أيضا للخليفة المعز [٢] الفاطمى .

وهكذا تولى السادة من آل البيت [٣] إمارة المدينتين المقدستين بالحجاز وأصبح يطلق لقب الأشراف على العائلة التى تحكم مكة أو المدينة نسبة الى **تشرفهم بإمارة مكة أو المدينة تميزا لهم دون غيرهم من العلويين ممن لم يتولوا الامارة .**

وظهرت بوادر الخير بالنسبة لأهل الحجاز عندما بدأت الخلافة الفاطمية

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢١٨.
المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ ١ ص ١٠٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٢٤.
سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٤.
ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص ٢١٩.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٠.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٤.
البرادعى: الدرة السنية ص ١١٣.
سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٤.
ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٠.

(٣) آل البيت هم العلويون آل الحسن وآل الحسين ولدى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من زوجته السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم واستقرت هاتان الأسرتان في مكة والمدينة واستطاعت بمناصرة الفاطميين الاستقلال بإمارة مكة والمدينة وحينما تولتا أمر مكة والمدينة أطلق عليهما الأشراف لتشريفهم بإمارة مكة أو المدينة وأما الأسر التي لم تتول منهما حكم مكة أو المدينة فيسمونهم السادة آل البيت انظر البرادعي: الدرة السنية ص ٤.

بإرسال الأموال والخلع الى أشراف الحجاز وأسرهم وكذلك شحنات من الحبوب والبقول لسكان مكة والمدينة والقرى المجاورة لها [١] .

ومما تجد الاشارة اليه أنه منذ بداية النفوذ الفاطمى في الحجاز بدأت ظاهرة جديدة في التاريخ الاسلامى وهى التنافس بين الخلافتين العباسية والفاطمية على اقامة الخطبة لأى منهما على منابر الحرمين الشريفين، وقام هذا التنافس على مبدأ ان السيادة الشرعية على العالم الإسلامي تكون لمن يدعى باسمه على منابر الحرمين الشريفين دون الآخر ، ومما يؤكد هذا ما يرسل سنويا من أموال وأعطيات وهدايا وخلع الى الحكام والأهالي حتى اذا ما انقطع ارسال هذه الأموال فان السيادة تصبح في خطر [٢] .

ولعبت هذه الأعطيات دورا بالغ الأهمية في تحديد واستمرار العلاقة المذهبية والسياسية في الحجاز لكل من الخلافتين العباسية أو الفاطمية . فقد واظب المعز لدين الله على ارسال هذه الأعطيات سنويا مع موسم الحج دون انقطاع . فاستمر الدعاء له على منابر الحرمين طوال عهده . وما أن انقطعت هذه الأعطيات في عهد ابنه العزيز حتى تحولت الخطبة للخليفة العباسى الذي انتهز هذه الفرصة وبادر بارسال أموال كثيرة لضمان تبعية مكة له . فاضطر الخليفة العزيز بالله إلى ارسال باديس بن زيرى الصنهاجى أميرا على ركب

---

(١) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٥.
سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٤.
البرادعي: الدرة السنية ص ١٤.

(٢) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٢.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٧.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٤ ٢٩٤.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٨٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٤.

الحاج المصرى عام ٣٦٧ هجرية وأمره بالاستيلاء على الحرمين . فلما قدم إلى مكة وضيق الحصار على أهلها كان من نتيجة ذلك اعادة الخطبة على منابر مكة للخليفة الفاطمى بدلا من الخليفة العباسى(١) .

ولم تتأثر المدينة بانقطاع أعطيات الخليفة العزيز الى شريفها بسبب ما فى أرضها من خيرات زراعية فظل الأمر فيها مستقرا بالولاء للفاطميين حتى توفى أميرها طاهر بن مسلم الحسينى وخلفه ابنه الحسن الذى سار على نهج والده باعلان تبعيته للخليفة الفاطمى (٢) .

وفي سنة ٣٨٤ هـ تولى أمر مكة الشريف أبو الفتوح الحسن بن جعفر الذى بدأ عهده مخلصا في ولائه باقامة الخطبة لهم على منابر المسجد الحرام بمكة (٣) .

وما لبث أبو الفتوح أن خرج عن طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة ٤٠٠ هجرية وتم هذا باغراء من الوزير أبى القاسم حسين بن على المغربى

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢١٩.
ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٠.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٢.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٣.

(٢) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠١.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٣٨.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٣.

(٣) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٧.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٤.

الذي خرج عن طاعة خلفاء البيت الفاطمي وجعله ينتحل لقب الخلافه وأخذ له البيعة من قبائل بنى سليم وبنى هلال وبنى عوف وبنى عامر [1] .

وقد شد أبو الفتوح رحاله بقوة عسكرية لازمته وانتهى به المطاف الى منازل بنى الجراح بالرملة بفلسطين واتحد مع أمير طيئ وبايعه آل الجراح وأقيمت الخطبة له في منازلهم وفي مدن كثيرة من بلاد الشام أيضا [2] .

وبخروج أبى الفتوح وانتحاله لقب الخلافة ومناجذة كل من الامير حسان ابن الجراح والوزير أبو القاسم ، جعلت الخليفة الحاكم بأمر الله يصدر أوامره بعزل أبى الفتوح عن ولاية مكة وعين بدله ابن عمه أبى الطيب داود وشجعه على التخلي عن نصرة أبى الفتوح . وبالتالى انصرف عامة الاشراف في مكة عن خلافة أبى الفتوح ودخلوا في طاعة الحاكم بأمر الله، واستمرالحاكم بأمر الله في تقليم أظافر أبى الفتوح باستمالة حلفائه في بنى طيئ مما جعلهم ينحرفون عن أبى الفتوح الذى شعر بحرج مركزه وذهب الى الوزير أبى القاسم وقال له « أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى في أيدي هؤلاء وأوقعت بينى وبين الخليفة الحاكم والواجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى « وذهب

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٥٤.
ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٨.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٥.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٦.
ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٣.
البرادعي: الدرة السنية ص ١٩.

(٢) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١١٣.
المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٩٥.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥١.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٥.

إلى والد حسان رأس المتخلين عنه ، وأعلن التجاءه إليه فأكبر مفرج ذلك وأخذ على عاتقه تسوية الأمور فتوسط بينه وبين الخليفة الفاطمى بالصلح وتنازل أبو الفتوح عن دعوته بالخلافة لقاء عزل أبى الطيب عن ولاية مكة واخلائها من خصومه وعودته إلى حكمها عام ٤٠٣ هجرية[١] .

وهكذا عالج الحاكم بأمر الله تلك الحركة الانفصالية عن خلافته ولم يحاول أبو الفتوح الخروج على طاعة الفاطميين وظل مواليا للخلفاء الفاطميين معلنا الخطبة للحاكم ثم الظاهر ثم المستنصر حتى توفى سنة ٤٣٠ هـ [٢] .

ثم خلف أبا الفتوح ابنه شكر الذى لقب بتاج المعالى لما تمتع به من شجاعة وقوة لتأديبه القبائل المتمردة عليه حتى لقب بملك الحجاز ، واستمر في ولائه للبيت الفاطمى حتى توفى سنة ٤٥٣ هـ [٣] .

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١١٥.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥٣.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٧.
ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٤.
السباعي: تاريخ مكه جـ ١ ص ١٨٦.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٦٩.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٦.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٨٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٠.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٦.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٨٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥٤.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٦٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨١.

وبوفاة شكر بن أبى الفتوح دون أن يترك وريثا يتولى أمر الشرافه بجانب النزاع بين بنى سليمان أنفسهم أتيحت الفرصة لأحد عبيد شكر ليتحكم في أمر مكة ولا يدعو لأي من الخليفتين في خطبة الجمعة مما أوجد فراغا سياسيا وأصبح أميركل ركب يدعو باسم الخليفة التابع له ، وبهذا زاد الأمر سوءا حينما انتزع الشريف محمد بن جعفر من الهواشم حكم مكة من بنى سليمان ودعا للخليفة القائم العباسى ٤٥٤ هـ والتجأ بنو سليمان الى اليمن ومعهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح الذهب من الباب والميزاب [١] . الأمر الذى تطلب تدخلا حاسما من جانب الخلافة الفاطمية [٢] .

فكان أن عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى داعيه على بن محمد الصليحى حاكم اليمن بالمهمة التي تمكن من اعادة النفوذ الفاطمى في مكة عام ٤٥٥ هـ . وناقلا لمنصب الشرافة إلى أن بدأت الأسرة الجديدة المعروفة بالهواشم . وأوجد بجانب الشريف محمد بن جعفر قوة عسكرية مدربة لتوطيد حكم الهواشم وضمان السيادة الفاطمية على مكة وخصص لهم المرتبات وجعل قيادتهم بأمر أمير مكة [٣] .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٦.
سرور: سياسة الفاطميين الخارجية ص ٢٨.
ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٥.

(٢) ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ١ ص ٢٣٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٦.
محمد أمين صالح: علاقة الفاطميين بالصليحيين في اليمن ص ٦٢.

(٣) على بن محمد الصليحى هو الملك الكامل أبو حسن على بن محمد بن علي بن يوسف بن عبدالجبار الصليحى كان والده قاضيا سنى المذهب يقيم في حراز وكان له شهرة عظيمة أرسل ابنه عليا الى سليمان بن عبدالله الزواجي وتتلمذ ابنه على يد هذا الداعية الذي استطاع أن يجنب هذا الابن بعد وفاته مذهب السنة وفقهه في مذهب الشيعة الاسماعيلية وقبيل وفاته أوصى اليه بالدعوة وأوصى له بكتبه وعلومه ولقد عكف الصليحى على هذه الكتب لأنه كان يتمتع بنصيب وافر من الذكاء وحسن الدراية وبهذا استطاع أن يكون داعى الخليفة الفاطمى في اليمن =

واختلفت سياسة الهواشم عن بنى سليمان في علاقتها مع الخلافتين السنية والشيعية . وان لعبت الأعطيات دورها في خدمة تلك السياسة .

فقد ظل الهواشم يحكمون مكة طوال العصر الفاطمى الثاني الذي يمتد بضعف الدولة الفاطمية سياسيا واقتصاديا . فكان الهواشم يعوضون نقص الأعطيات الواردة من مصر بقبول أعطيات أخرى ترسلها الخلافة العباسية [١] . وبالتالي تذبذبت علاقتهم المذهبية والسياسية مع الخلافتين كما مارسوا بعض المظاهر الشيعية في الخطبة وقت تبعيتهم للخلافة الفاطمية [٢] . ويوضح ذلك ما ذكره المؤرخون عن عميد الهواشم الشريف محمد بن جعفر الذي انقطعت عنه أعطيات مصر بسبب ما حل بها من أزمة اقتصادية أيام المستنصر الفاطمى فقبل أعطيات العباسيين والدعوة لهم مع استمرار ذكر عبارة « حى على خير العمل » بالآذان رغم طلب الخليفة العباسي حذف تلك العبارة الشيعية من الآذان .يريد بذلك الاحتفاظ بعلاقته المذهبية مع الخلافة الفاطمية حتى تحين له الفرصة لاعلان تبعية السياسة أيضا كما حدث عام ٤٦٧ هـ مما

ــــ والحجاز لا بل في الجزيرة العربية واستطاع أن يوحد اليمن سياسيا وطبيعيا وامتد سلطانه الى سواحل البحر الهندى والى عمان شرقا والى مكة شمالا والى عدن جنوبا واعتمد عليه خلفاء الدولة الفاطمية بأن يكون داعيهم في الجزيرة العربية. انظر:
ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٥١.
ابن الديبع: قرة العيون جـ ١ ص ٣٩.
عمارة اليمنى: المفيد ص ٩٩.
خير الدين الزركلي: الأعلام جـ ٥ ص ١٠٩.

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٢٥.
القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٦٤.

(٢) أبن الأثير: الكامل جـ ٩ ص ٢٠٧.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ ٥ ص ٨٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥٦.
محمد أمين صالح: علاقة الفاطميين بالصليحيين ص ٦٤.

جعل أبا المحاسن يصفه بالتلون أو التأرجح [1] .

وعلى أثر وفاته سنة ٤٨٦ هـ خلفه ابنه قاسم بن محمد الذي بدأ عهده بولائه للخليفة العباسى واستمر خلفاء الدولة العباسية يواصلون ارسال أعطياتهم الى أمراء مكة لينالوا ولاءهم [2] .

وحينما قطـع الخطبة عن الخليفة العباسي وأعلن ولاءه للخليفة الفاطمى اضطر الخليفة العباسى الى ارسال حملة عسكرية بقيادة أصيهيد بن سارتكين واستطاع إجلاء أمير مكة عنها، ولكن أميرها عاد وأجلى أصيهيد عنها بمناصرة القبائل العربية له مما جعل أمير مكة يحتفظ بولائه للفاطميين، واستمر خلفاء الدولة الفاطمية في اغداق أعطياتهم على أمير مكة حتى نهاية عهده وبوفاته أسندت امارة مكة الى الأمير فليته بن قاسم الذى امتاز عهده باقامة الخطبة للخليفة العباسى ، مع بقاء وده للخليفة الفاطمى بأن جعل الأذان مستمرا كما هو بـ « حى على خير العمل » وبهذا كسب ودّ الخلافتين العباسية والفاطمية وهو الأمير الذي استطاع أن يجمع علاقات طيبة بين الخلافتين في مكة [3] .

---

(١) المقريزي: اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٢٩.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥٩.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٣٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٩.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤٢.
المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ١٥.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٨.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ ١٠ ص ٢٥١.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٠.
الغساني: المسجد المسبوك ص ٢١٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٥.

وفي سنة ٥٢٥ هـ توفى فليته وخلفه ابنه هاشم الذي بدأ عهده باعلان الخطبة للخليفة الفاطمى الحافظ الذي لم ينهج سياسة والده ، اذ أصبح متأرجحا في علاقته بين الخلافتين حسب وفرة الأعطيات قلة وكثرة [١] .

ومن الثابت أن أمراء مكة لم يقطعوا حبل المودة مع الخلافة الفاطمية ومما يزيد ذلك وضوحا السفارات التي قام بها الشاعر عمارة اليمنى بين أمير مكة والخليفة الفاطمى سنة ٥٥٠ هـ اذ أن الخليفة الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك الذي أرسله أمير مكة الأمير هاشم برسالة إلى الديار المصرية ونظم قصيدة في مدح الخليفة والوزير توضح أنه سيسير من مكة إلى القاهرة واستقبله الخليفة في قصره وعاد إلى مكة ومعه الأعطيات والخلع من الخليفة حتى أن والى قوص أعطاه مائة أردب من القمح ليوزعها على فقراء مكة [٢] ثم توجه إلى زبيد ، وفي السنة التالية أتى عمارة اليمنى من زبيد إلى مكة حيث أدى مناسك الحج فأوفده أمير مكة إلى الوزير الفاطمى طلائع بن رزيك ليعتذر عما ارتكبه الأعراب مع حجاج مصر والشام ، واستطاع أن يمتص غضب الوزير وعفا الوزير عن الأعراب الذين نهبوا الحجاج [٣] .

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٥.
الغساني: العسجد المسبوك ص ٢١٤.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٢.
محمد أمين صالح: العلاقة بين الفاطميين والصليحيين ص ٧٢.

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ ٣ ص ٢٧.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٩.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٥.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٠.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٤ ص ٣٦.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي جـ ٤ ص ٢٨٦.
ذو النون المصرى: عمارة اليمن ص ٤٢.
محمد أمين صالح: العلاقة بين الدولة الفاطمية ص ٧٢.

وأقام عمارة في مصر حتى آخر أيامه وأصبح من أشهر شعراء العهد الفاطمى في زمن الخليفتين الفائز والعاضد بالرغم من أنه كان سنى المذهب [1] .

ومما تجدر الاشارة اليه أن السفارتين اللتين قام بهما عمارة اليمنى توضح لنا حرص أمراء مكة على التقرب من الخلافة الفاطمية وكسب رضاهم بالرغم مما تبذله الخلافة العباسية من استمالة هؤلاء الأمراء لصرفهم عن الخلافة الفاطمية [2] ويعود السبب إلى أن أمراء مكة والمدينة ينتمون الى البيت العلوى بالاضافة الى أن الخلفاء الفاطميين هم الذين وطدوا سلطان هذه العائلات في الحجاز بالرغم من اعتمادهم على الموارد الاقتصادية لهذا فقد التزموا بالحفاظ على السيادة الفاطمية .

وما إن بدأ نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز يضمحل حتى واكبه ضعف الخلافة الفاطمية في مصر وبحلول عام ٥٦٧ هـ تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبى من ازالة نفوذ الخلافة الفاطمية في مصر وبالتالى إنهاء فترة الصراع أو التنافس بين هاتين الخلافتين في العالم الاسلامى [3] .

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٠٩.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٤ ص ٣٨.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٤٧.
الغساني: العسجد المسبوك ص ٣٢٠.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام العباسي جـ ٤ ص ٢٩٠.
ذى النون المصرى: عمارة اليمنى ص ٤٤.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٤ ص ٢٤٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٩.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٣٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٨.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٧.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٨٥.
ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٢٧٩.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩١.

النفوذ الأيوبى في الحجاز

بعد أن أنهى صلاح الدين الأيوبى الخلافة الفاطمية في مصر عام ٥٦٧ هـ اخذ يتطلع الى مدّ نفوذه الى بلاد الحجاز ويعيدها الى نطاق الخلافة العباسية السنية حتى يبدو في نظر المسلمين انه حامى حمى الحرمين الشريفين مما يتيح له فرصة بسط سيادته على العالم الاسلامي من ناحية والسيطرة على تجارة البحر الاحمر من ناحية ثانية ، وكذا من أجل الحرب ضد الصليبيين بالشام من ناحية ثالثة (١) .

وقد شجع صلاح الدين على تحقيق ذلك عدم استقرار الامور ببلاد الحجاز وانتشار الاضطرابات والفوضى في أواخر العصر الفاطمى بالاضافة الى ضعف امراء مكة وانحيازهم تارة الى الخلافة العباسية السنية في بغداد، وتارة أخرى الى الخلافة الفاطمية الشيعية بالقاهرة . وسبق القول أن ولاة مكة كانوا يخطبون باسم الخليفة الذي يُعينهم بالمال ويدفع أكثر من الآخر (٢) .

ومن المعلوم أيضا أن صلاح الدين أخذ يتطلع الى بلاد اليمن التي اشتهرت آنذاك بكثرة مواردها ووفرة خيراتها وكذلك ثغر عدن وبذلك يستطيع السيطرة على تجارة البحر الاحمر .

ووصلت حملة صلاح الدين الى الحجاز ثم اليمن بقيادة أخيه توران شاه

---

(١) حسنين ربيع : البحر الاحمر في العصر الايوبي : ندوة تاريخ البحر الاحمر جامعة عين شمس ص ٢ ، ص ٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ ص ٣٩٦.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ١ ص ٢٣٧.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ١٩٨.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٢٢.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ٤٢.

عام ٥٦٩ هـ فدخل مكة دون قتال اذ رحب به الشريف عيسى بن فليته، وأعلن دخوله في طاعة صلاح الدين وتعهد بالخطبة له بعد الخليفة العباسى [(١)] .

ولم يعمد الايوبيون الى تغيير نظام الحكم القائم بالحجاز أو استبدال الامراء بغيرهم، انما أقروا الهواشم ثم بنى قتادة من بنى الحسن على التوالى في امارة مكة ، وكذلك بنى مهنى من آل الحسين حكام المدينة من قبل .

ورحل توران شاه من الحجاز لفتح اليمن ولم يكن هناك من شرط بين الايوبيين والاشراف سوى وقف تحصيل المكوس من الحجاج والتجار . الامر الذي أدى الى تدخل الايوبيين أو الخلافة العباسية بسبب المكوس . مما أوجد بعض الاضطرابات الداخلية التي سنتعرض لها فيما بعد [(٢)] .

ولم تحدث خلافات خطيرة بين الايوبيين وأشراف مكة الا ما حدث في مناسبتين منفردتين : الاولى عـام ٥٨١ هـ عندما أرسل صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغتكين حاكما على اليمن وكلفه بتنفيذ بعض الاوامر فسار سيف الاسلام الى اليمن عن طريق الحجاز في الفي فارس وخمسمائة رجل وخلال مسيرته مر بمكة المكرمة ودخلها في شهر رمضان المبارك في نفس السنة ثم استأنف سيره الى اليمن [(٣)] .

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ ص ٤٢٠ — ابن جبير الرحلة ٥٥.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٣ — البتانونى الرحلة الحجازية ٦٨.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٨٩.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٩.
الطبرى: الارج المسكى ص ٣٦٤.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٥٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩١.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٣.
الغساني: العسجد المسبوك ص ٢٦٥.
يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ٢ ص ٣٢٨.

(أول عمل قام به فيها حذف الجمل الزائدة من الآذان (حيِّ على خير العمل) وأيضا استطاع تأديب العبيد الذين كانوا يفسدون في مكة المكرمة وقتل المتمردين منهم ، غير ان خلافا حدث بين سيف الاسلام طغتكين حين عودته لاداء فريضة الحج وبين مكثر بن عيسى أمير مكة الذي أصدر أمره الى سادن الكعبة بغلق بابها أمام سيف الاسلام . وترجع أسباب هذا الخلاف الى أن أمير مكة كان يرغب في استمرار فرض المكوس على الحجاج لانها تعتبر المورد الرئيسي لامارة مكة [1] . لذلك لم يكن هناك مفر من تحصيلهاولا يمكن الغاؤها وكان الشريف مكثر بن عيسى امير مكة يأخذ المكس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب أو جده . ولم يرغب أمراء مكة الغاء المكوس عن الحجاج الا بعد أن ضمن السلطان صلاح الدين الايوبي ارسال اموال لامير مكة وسلع ومواد غذائية ، ولهذا الغيت المكوس فترة من الزمن ثم أعيدت بعد ذلك على يد الشريف مكثر بن عيسى ولم يكف عن ظلم الحجاج مما جعل سيف الاسلام طغتكين يعمل على تأديبه باسم السلطان صلاح الدين [2] . وأقيمت بعد ذلك الخطبة على منابر مكة باسم الخليفة الناصر لدين

---

(1) الطبرى : الارج المسكى ورقة ٢٤٤.
ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ١ ص ٣٧٠.
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٣.
أبم المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ١٠٣.
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٦٥.
السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٤.

(2) ابن جبير : الرحلة ١١٠.
الفاسي : العقد الثمين جـ ٧ ص ٢٧٤.
البتانونى : الرحلة ص ٧٠.
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٩٢.
السليمان : العلاقات الحجازية ص ١٤.

الله العباسى ثم يذكر بعده اسم السلطان صلاح الدين الايوبى [1].

وفي سنة ٦١١ هـ بدأت علاقة الشريف قتادة بن ادريس في الاستياء مع الملك عيسى بن العادل الايوبى حيث عزم الملك عيسى في هذا العام على أداء مناسك الحج وقام بتوزيع الاموال على الاعراب وبوصوله الى المدينة استقبله أميرها استقبالا حافلا وأنزله في داره تكريما وصحبه في سفره الى مكة المكرمة وسأل الملك عيسى أمير مكة قتادة عن المكان المعد لاقامته فأجابه قتادة مشيرا بأصبعه هناك (يريد الابطح) . فشعر الملك عيسى الايوبى بأن الامير قتادة يستهين به فأسرها في نفسه وبعد عودته الى دمشق أرسل جندا من الشام لمساعدة الامير سالم بن قاسم في نزاعه القائم بينه وبين الشريف قتادة فاستطاعوا ايقاع الهزيمة به واستولوا على كثير من أسلحتـه وعتاده ، وفي أثناء تتبع هذا الجيش توفى الامير سالم بن قاسم امير المدينة فانسحب الجيش عائدا الى المدينة ثم الى الشام [2] .

غير أن قتادة بن ادريس قتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٧ هـ وقام النزاع بين الاخوين الحسن وراجح اللذين التجآ الى مساعدات خارجية [3] . فلقد التجأ الحسن الى الخلافة العباسية والتجأ راجح الى الملك المسعود الايوبي

---

(١) الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٣.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٢.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ٨٤.
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ١٢ ص ١٠١.
أبو المحاسن: النجوم جـ ٧ ص ٢٥٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٩.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ٦٠.
(٣) انظر العلاقات بين الاشراف في هذا الفصل.

صاحب اليمن الذي بادر بارسال قوة عسكرية انتزعت إمرة مكة من الحسن [١] .

وقد وصل النفوذ الايوبي ذروته بمكة على يد الفرع الايوبي باليمن اذ قام الملك المسعود الايوبي بتولية نور الدين عمر بن رسول نائبا عنه في مكة . وجعل له ولاية الجند ومدير أموالها وهى نفس السلطات التى اعطيت لنائبه الثانى ياقوت المسعودي . حتى حينما تولى عمر بن رسول ملك اليمن صارت مكة تابعة لنفوذه دون الايوبيين في مصر والشام وبدأ حكم بنى رسول في اليمن ومكة [٢] .

حماية الأيوبيين للبحر الاحمر :

على أن أهم ما قام به الايوبيون هو حماية الاماكن المقدسة من الاعتداءات الصليبية . فقد تعرضت بلاد الحجاز لخطر الصليبيين أكثر من مرة وفي عام ٥٧٧ هـ قامت المحاولة الاولى بقيادة أحد الامراء الصليبيين يدعى أرناط [٣] صاحب امارة الكرك الواقعة شرق البحر الميت بحملة صليبية في صيف هذا العام . وكان الغرض منها غزو بلاد الحجاز وبسط سيادة الصليبيين على البحر الاحمر وتحويل التجارة الى الموانى الصليبية في خليج العقبة ،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في فصل النزاع بين الاشراف.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، جـ ٢ ص ٢٠٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٩.

(٣) أرناط: كان يحكم امارة الكرك شرق البحر الميت وكان شابا مغامرا متحمسا لتحقيق اغراض الصليبيين في الاحتفاظ بالامارات اللاتينية ومن طبعه الغدر وعدم الوفاء بالعهد انظر عاشور: الايوبيون والمماليك ص ٩٤، الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٧٠.
ربيع: البحر الاحمر ص ٤، ٥.

والهدف الاساسي من ذلك هو ضرب المسلمين في مقدساتهم (الحرمين الشريفين) والاستيلاء على طريق الحج البحري والسيطرة عليه [1].

وتتلخص حملة أرناط أنه أحضر الأخشاب من عسقلان وحملها على الجمال الى ميناء اسنة على خليج العقبة ثم بنى اسطولا يتألف من خمس سفن كبيرة وعدد أكبر من السفن الصغيرة حمّلها آلافا من الفرسان ثم أبحر في البحر الاحمر بقصد الاستيلاء على مكة والمدينة[2].

وقد منيت هذه الحملة بالفشل الذريع لاسباب عدة من بينها تعرض رجاله للحر الشديد، وافتقارهم للماء الوفير مما جعلهم يتوقفون مجهدين عند واحة تيماء. وفي الوقت نفسه استغل القائد العربى المسلم عز الدين فرخشاه ابن أخي صلاح الدين ونائبه في دمشق هذا الموقف، اذ أسرع بقواته وحاصر حصن الكرك ونهب امواله، مما اضطر أرناط الى التخلي عن استمراره في حملته المذكورة وعاد مسرعا لحماية امارته من السقوط وقام خلال عودته بالاعتداء على قافلة اسلامية كبيرة ونهب معظم ثروتها وهى في طريقها من دمشق الى مكة المكرمة [3].

---

(١) الغساني: العسجد المسبوك ص ٢٤٦.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢١.
عاشور: الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٨٤.
عبدالمنعم ماجد: الناصر صلاح الدين ص ١١٠.
سعاد ماهر: البحرية الاسلامية ص ١٠٥.
السليمان: النشاط التجارى ص ٣٣.

(٢) القوصى: تجارة مصر ص ١٥٣، ١٥٥.
عزيز سوريال: العلاقة بين الشرق والغرب ص ٦٥.
Kammerer Lamer Rouge P. 23.

(٣) ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٤٩٠.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٢٩.
عاشور: الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٨٥.
القوصى: تجارة مصر ص ١٥٦.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١١.

وكانت محاولة أرناط الثانية في العام الثاني مباشرة إذ جهز اسطولا وأعدّ سفنا مفككة الاجزاء وحملها على ظهور الدواب وأوصلها الى خليج العقبة ثم ربط أجزاءها وركبها بعد أن ملأها بالرجال وما يلزمهم من معدات حربية وقاد الحملة بنفسه وهاجم جزيرة ايله بسفينتين حربيتين (١) . بينما استأنف بقية الاسطول إبحاره ملتزما جانب الساحل الافريقي للبحر الاحمر وذلك من أجل غزو الموانىء الواقعة على هذا الجانب ونهبها . فأثارت غزواته الرعب والفزع بين سكانها وبعثت فيهم العجب والتساؤل لانه لم يسبق لهم قبل هذا الوقت أن شاهدوا سفنا فرنجية في حوض بحر القلزم (٢) . وكانت أول الموانىء التي هاجمها أسطول أرناط الصليبي ميناء عيذاب المواجه لميناء جدة ثم هاجم سفنا تجارية وهى في طريقها بين جدة وعدن والهند (٣) .

ويخبرنا ابن جبير والمقريزى أن هؤلاء الصليبيين قد استولوا على مركبين من مراكب تجار اليمن ، كما أنهم اشعلوا النيران في كميات كبيرة من الطعام الملقاة

---

(١) ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٥٠٠.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٣٣.
أبو شامة: الروضتين جـ ٢ ص ١٤٥.
عاشور: الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٨٦.
العريني: مصر في عصر الايوبيين ص ٦٩.
ربيع: البحر الاحمر ص ٥.
محمود رزق: العلاقات بين ارناط ص ١١٠.
(٢) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٣٩.
عاشور: الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٨٦.
دراج: عيذاب ص ٥٨.
(٣) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٣٩.
عاشور: الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٨٧.
Hidly Saladin. P. 100.

على ساحل عيذاب . وكان الهدف من تخزينها في هذا الميناء الاستعداد لنقلها الى بلاد الحجاز [1].

ثم واصل اسطول ارناط الصليبي أعماله العدوانية متنقلا من عيذاب الى ساحل بلاد الحجاز فأشعل النار في السفن الرواسى في ميناءى المدينة وهما ميناء الحوراء وينبع [2] .

ثم نزل رجال الاسطول الصليبي على ساحل الحوراء قرب ينبع وأخذوا في غزو المناطق المجاورة والاغارة على القوافل المارة وأوغلوا في المسير حتى أصبحوا على بعد مسيرة مرحلة واحدة من المدينة المنورة . يريدون دخولها ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم واخراج جثمانه الطاهر من الضريح المقدس ثم نقله الى بلادهم ودفنه عندهم ، حتى لا يستطيع المسلمون زيارته الا بعد دفع اتاوة باهظة . غير انهم لم يحققوا اهدافهم وحلت بهم الهزيمة والاسر [3] .

---

(١) ابن جبير: الرحلة ٥٧.
المقريزي: السلوك جـ ١ ص ٧٩.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٢.

(٢) الحوراء وينبع هما ميناءان يقعان قرب المدينة المنورة على ساحل البحر الاحمر ترسو فيهما بعض السفن التجارية وسفن الحجاج انظر:
ياقوت: معجم البلدان جـ ١ ص ٤١٠، جـ ٣ ص ١١٥.
حمد الجاسر: بلاد ينبع ص ٢٨.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٠.
المقريزي: السلوك جـ ١ ص ٧٩.
ابن جبير: الرحلة ٥٩.
سعاد ماهر: البحرية الاسلامية ص ١٠٧.
عاشور: الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٧٨٦.
ربيع : البحر الاحمر ص ٧.
سوريال: العلاقات بين الشرق والغرب ص ٦٥.

ذلك أن صلاح الدين الايوبى وهو في الشام آنذاك كان قد أمر نائبه على مصر أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب ان يجهز أسطولا كبيرا بالمعدات والرجال ويسير به لقتال اسطول الصليبيين في البحر الاحمر من ناحية ويرد الصليبيين عن غزو المدينة المنورة من ناحية أخرى (١) .

ولقد استجاب الملك العادل لأوامر أخيه صلاح الدين وعهد الى حسام الدين لؤلؤ باعداد الحملة المذكورة فنقل حسام الدين لؤلؤ أجزاء السفن المفككة على الجمال الى ميناء السويس حيث تم تركيبها وربط بعضها ببعض حتى غدت اسطولا يتألف من سفن كثيرة وقام بتقسيمه الى قسمين: الاول توجه الى ميناء ايله واستولى على المراكب الصليبية التى كانت راسية هناك وأسر من كان في الميناء من الرجال (٢) . أما القسم الثاني من الاسطول الأيوبى فقد أبحر جنوبا خلف سفن الاسطول الصليبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ فوجد جزءا منها في عيذاب واستولى عليها وأطلق سراح أسرى المسلمين وأعاد اليهم ما سلبه الصليبيون منهم ، ثم أبحر الى رابغ واستطاع الاستيلاء على بعض السفن الخاصة بالاسطول الصليبي الراسية في هذا الميناء فأخذهم على حين غرة وأسر بعضهم ، وفر البعض الآخر واحتموا بالجبال ، الا أن رجاله قد تابعوهم وألقوا القبض عليهم ، ولحقوا بالباقين برا على بعد مرحلة واحدة من المدينة

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٠.
المقريزي: السلوك جـ ١ ص ٧٩.
أبو شامه: الروضتين جـ ٢ ص ٣٥.
ربيع: البحر الاحمر ص ٧.
القوصى: تجارة مصر ص ١٥٦.

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤١.
المقريزي: الخطط جـ ٢ ص ٨٥.
ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ١ ص ٢٦٩.
ابن جبير: الرحلة ٦٣.

وكان عددهم ثلاثمائة رجل ، فأسرهم . وأرسل اثنين نحرا في منى يوم عيد الاضحى المبارك كما تنحر البدن التي تساق هديا للكعبة ، أما بقية الاسرى الصليبيين فقد عاد بهم الى مصر .

ومما تجدر الاشارة اليه أن السلطان صلاح الدين أمر بقتل هؤلاء الاسرى ليكونوا عبرة وعظمة لمن تسول له نفسه الاعتداء على حرم الله في مكة وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة . وقد تم تنفيذ أمره بقتل جميع الاسرى بعد أن استعرض بهم في شوارع مدينة الاسكندرية وذلك في أواخر شهر ذى الحجة عام ٥٧٨ هـ . وقد ظل صلاح الدين يعمل جاهدا على حماية البحر الاحمر وبلاد الحجاز من الخطر الصليبي كما ظل حريصا على أن تبقى تجارته في أيدي التجار المسلمين دون غيرهم (٢) .

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ١١ ص ٥١٠.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ١٤٣.
أبو شامة: الروضتين جـ ٢ ص ٣٧.
ابن أيبك: كنز الدرر جـ ٧ ص ٧٢.
ربيع: البحر الاحمر ص ٨.
Hindly Saladin, P. 101.

(٢) ابو شامة: الروضتين جـ ٢ ص ٣٨.
أبن ايبك: كنز الدرر جـ ٧ ص ٧٥.
ربيع: البحر الاحمر ص ٨.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٢.
باقاسي: بلاد الحجاز ص ٥٠.

الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف :

يكاد الباحث في الاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم الاشراف ان يقرر عدم فاعلية هذه الطبقة الجديدة التي حكمت كلا من مكة المكرمة والمدينة المنورة بشكل استقلال ذاتي . فلم تشاهد أية اصلاحات جذرية أو حركة عمران تنسب اليهم ، وأيضا عدم القدرة أو النجاح في تأمين الحجاج بتأليف العربان ومنعهم من الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار اثناء موسم الحج وغيره من الاوقات . هذا بالاضافة الى سياسة فرض المكوس والنزاع المستمر بين الأسرات المختلفة منهم على منصب الشرافة . وأدى هذا الى انتقال الشرافة الى ثلاثة بيوت في الفترة موضع البحث . وكذا الاحتكاك بين اشراف مكة من آل الحسن واشراف المدينة من آل الحسين في مناسبات شتى [(١)] .

فقد حكم بنو سليمان مكة المكرمة من سنة ٣٥٨ هـ الى سنة ٤٥٣ هـ ثم تلاهم أسرة الهواشم من سنة ٤٥٥ : ٥٩٧ هـ ثم بنو قتادة بن ادريس من ٥٩٧ هـ حتى نهاية حكم الاشراف[(٢)].

اما المدينة فقد تولى امرها اسرة واحدة من أبناء الحسين بن على بن أبى طالب وهم أحفاد طاهر بن مسلم الحسينى الذي أعلن قيام حكم الاشراف

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١١٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٥.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٦.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ٦٢.
De gaury, G. Rulers of Mecca, P. 30, 1972.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٩.
ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ٩٩.
ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٤٩.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٦.
De Gaury Rulers of Mecca. P. 44.

بالمدينة سنة ٣٦٠ هـ وعرفت هذه الاسرة فيما بعد بأسرة بني مهنى ولم تنتقل الامارة الى غيرهم طوال الحقبة الزمنية لهذا البحث (١) .

وفي دراستنا للاحوال الداخلية بالحجاز تحت حكم هؤلاء الاشراف سوف نعرض أولا الى العلاقة بين أفراد الاسرة الحاكمة دون غيرها من البيوت العلوية الاخرى ، وهل كان هناك نزاع بينهم على منصب الشرافة بما يؤدى الى تدخل قوى خارجية تزيل الحكم من أسرة الى أخرى . وثانيا العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة وهل كانت طيبة ودية يظهر فيها التعاون والاخاء بما يقتضيه واجب القرابة القريبة من آل الحسن وآل الحسين وكلهم علويون . وثالثا تعرض الى سياسة الاشراف بصفة عامة في حكم الحجاز وهل حققوا نوعا من الامن والامان من اعتداء الاعراب على طرق القوافل في موسم الحج والتجارة ثم أخيرا سياستهم الضريبية في قضية المكوس التى كانت سببا للاحتكاك والصدام مع القوى الخارجية أصحاب السيادة على الحجاز (٢) .

العلاقة بين الاشراف حكام مكة

بالنسبة للاسرة الاولى من بنى سليمان التى قامت في ظل التبعية الفاطمية لم نلحظ تنافسا يذكر بين أفرادها على منصب الشرافة في الفترة التى حكمت فيها

---

(١) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٠.
ابراهيم العياشى: المدينة بين الماضي والحاضر ص ٣٠
عبدالقدوس الانصارى: أثار المدينة ص ٤٣.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢٠.
دراج: ايضاحات ص ١٩٥.
القوصى: تجارة مصر ص ١٠٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٠.
باقاسي: بلاد الحجاز ص ٨٢.

وبلغت قرنا من الزمان الا خمسا ٣٥٨ — ٤٥٣ هـ اللهم الا في الفترة الاخيرة [١] من عهدها إثر وفاة شكر بن أبى الفتوح عام ٤٥٣ هـ الذي لم يترك وريثا. فتنازع بنو سليمان فيما بينهم مما أدى الى سيطرة أحد عبيد شكر على أمر مكة فضلا عن عدم رضاء أهل مكة عن سياستهم [٢].

مما أتاح الفرصة لظهور ابو هاشم محمد بن جعفر حميد الهواشم لتولى منصب الشرافة ويدعو باسم الخليفة العباسى عام ٤٥٤ هـ. فالتجأ بنو سليمان الى اليمن كما ذكرنا من قبل حاملين معهم أمتعة الكعبة من قناديل وستور وصفائح الذهب من الباب والميزاب. فكان ان عهد الخليفة المستنصر الفاطمى الى الصليحى الداعى والحاكم في اليمن بمهمة اعادة النفوذ الفاطمى الى مكة [٣].

ويشيد المؤرخون بما قام به الصليحى من أعمال طيبة في مكة عام ٤٥٥ هـ بدأ بكسوة الكعبة ثيابا بيضا، وردّ أمتعة الكعبة بعد أن اشتراها من بنى سليمان كما أنه أظهر العدل في الأهالى برفع الظلم.

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٣.
البرادعى: الدرة السنية ص ١٢.

(٢) ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٢.
المقريزى: اتعاظ الحنفا جـ ٢ ص ٩٥.
المقريزي: الخطط جـ ٢ ص ١٥٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٢.
البرادعي: الدرة السنية ص ١٤.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢٣.
القلقشندي: صبح الاعشى جـ ٤ ص ٢٧٠.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠١.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩١.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٤.
سرور: سياسة الفاطميين ص ٢٦.
ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٨.

كما أدّب القبائل التى كانت تعتدى على الحجاج حتى رخصت الاسعار وساد الامن والطمأنينة . هذا فضلا عن نجاحه في اعادة النفوذ الفاطمى الى مكة . إذ انضم اليه محمد بن جعفر الملقب بأبى هاشم وأعلن التبعية والدعوة للفاطميين وبدأ بذلك حكم الاسرة الثانية وهى الهواشم من آل الحسن [١] .

وأصاب هذه الاسرة الثانية آفة الصراع بين جماعات الاشراف سواء من أفراد الاسرة السابقة أو من الهواشم أنفسهم [٢] .

ففى عام ٤٥٧ هـ ثار حمزة بن دهاس احد بنى سليمان على الشريف محمد ابن جعفر سنة ٥٥٦ هـ فوقعت اضطرابات بين أفراد الاسرتين من بنى الحسن ما يقرب من عام كامل . حتى تمكن الشريف محمد بن جعفر من القضاء على مناوئيه من بنى الحسن . واستمرت آثار هذه الاضطرابات بين الاشراف حتى تولى الشرافة قليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٧ هـ فاستطاع اصلاح الامور بين جماعات الاشراف كى يعيد الامن المفقود في مكة [٣] .

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٣.
الغساني : العسجد المسبوك ص ٢٨٦.
ابن الديبع : قرة العيون جـ ١ ص ٣٩.
عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٩٩.
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٢.
محمد أمين صالح : العلاقة بين الفاطميين ص ٧٢.
(٢) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٣.
ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٩٣.
القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧١
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٥.
(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٦.
دحلان : خلاصة الكلام ص ٣٦.
البرادعى : الدرة السنية ص ١٨
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٦.

كذلك أدت المظالم التى أحدثها الشريف القاسم بن هاشم ٥٤٩ — ٥٥٧ هـ واستنجاد الاهالي بعمه عيسى بن فليته ، الى قيام هذا الأخير بالثورة ضد الشريف وتولى امرة مكة دونه (١) .

ثم ظهر النزاع على منصب الشرافة بين الاخوة . نجدها أولا في ثورة مالك ابن فليته ضد أخيه عيسى عام ٥٦٥ هـ ، وتولى مالك حكم مكة مدة عام واحد . ثم عاد الامر مرة اخرى الى عيسى بن فليته حتى توفى فخلفه ابنه داود ويبدو ان الخلافة العباسية قد دخلت طرفا آخر في هذا النزاع بين أفراد الهواشم بالتدخل المباشر في شئون البلاد بالعزل والتولية مما أدى الى تفاقم النزاع واشتداد التنافس وبالتالي تعرضت مكة الى اخطار جسام (٢) .

ورغم ان داود بن عيسى بن فليته كان حسن السيرة والعدل الا أنه تعرض لانقلاب اخيه مكثر بن عيسى عام ٥٧١ هـ نتيجة تحريض الخليفة العباسي له ضد أخيه وإغرائه بإمارة مكة . فأخرج مكثر أخاه داود من مكة فالتجأ الى وادي نخلة (٣) .

وفي نفس الوقت كانت الخلافة العباسية تقرب اليها أبناء عمومة الشريف عيسى بن فليته . فاعتبر مكثر بن عيسى بن فليته هذا التقرب عملاً عدائيا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في فصل المكوس.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٧.
ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٢٧٩.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٤.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٧
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي جـ ٤ ص ٤٨٦.

(٣) ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٢٨٩.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٩.

ضده . فأخذ يستعد بشراء الاسلحة والذخائر ويدرب الرجال . وكذا بناء قلعة في أعلى جبل قبيس واتخذوها حصنا منيعا يلجأ اليه اذا حاول أمير الحج العراقى عزله [1] .

ومن الطبيعى ان هذه الاجراءات او الاستعدادات التى اتخذها مكثر أمير مكة لم توافق هوى الخليفة العباسى وعزم على خلعه . فقد جهز الخليفة جيشا كبيرا زوده بالمجانيق وآلات النفط وعهد بقيادته الى أمير الحج العراقى طاشتكين في موسم ٥٧١ هـ وكلفه بعزل مكثر وهدم الحصن الذى بناه في أعلى جبل أبى قبيس . ودار قتال بينهما عنيف بعد انتهاء الحج وأسفرت النتائج عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى [2] .

وفي ظروف هذه الفتنة أمر مكثر بن عيسى بنهب الحجاج والاستيلاء على أموالهم وأموال التجار المقيمين في مكة واحرق كثيرا من دورها . وعندما حلت الهزيمة بالشريف التجأ الى حصنه بأعلى جبل قبيس حيث حاصره طاشتكين واستولى على الحصن فهرب مكثر من مكة وحل محله أخوه داود بن عيسى [3] .

---

(١) الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٨٠.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧١.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٧٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٩.

(٢) ابن الاثير: الكامل جـ ١١ ص ٣٠١.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٩.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٣.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٠.

(٣) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٠.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ٥٣.

وأغلب المصادر التاريخية لا توضح مدة ولاية داود على مكة ، وبعضها يذكر أن مكثرا وأخاه داود ظلا يتداولان حكم مكة رغم عداء الخلافة العباسية وكذا اصلاح الدين لمكثر بن عيسى بصفة خاصة بسبب سياسته في فرض المكوس « انظر المكوس بهذا الفصل » ومع كل فقد انفرد مكثر بن عيسى بامارة مكة طوال عشر سنوات ٥٨٧ : ٥٩٧ هـ حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثالثة من أسرات الحسنيين [١] .

وقد جاء انتقال الامارة الى هذه الاسرة الثالثة نتيجة عداء الخلافة العباسية المستمرة لشريف مكة مكثر بن عيسى [٢] .

ولم تلجأ الخلافة هذه المرة الى القوة العسكرية بل الى تحريض من يدعى قتادة بن ادريس من بنى الحسن صاحب ينبع الذى استطاع ان يجمع الاشراف الحسنيين حوله ويوحد كلمتهم تحت لوائه وكذلك الاعراب الذين التفوا حوله . فانتزع امرة مكة من مكثر فهرب هذا الى وادى نخلة قرب الطائف حيث توفى هناك ٥٩٩ هـ [٣] .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٩.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٨٤.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٠.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٤.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩١.
البرادعي: الدرة السنية ص ٢٣.

(٢) الطبرى: الارج المسكى ورقة ٢٢٠.
ابن فهد: اتحاف الورى ص ٢٤٢.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٠.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٤١.

(٣) الفاسي: تحصيل المرام ص ٨٨.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٥.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٤٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩١.

وهكذا بدأ حكم الأسرة الثالثة من آل الحسن وهي اسرة بنى قتادة التى أصابها أيضا آفة الصراع بين رجالاتها حول منصب امرة مكة علاوة على احتدام الصراع بينهم وبين اشراف المدينة المنورة .

ويبدو أن قتادة هذا كان ذا شخصية قوية ففى عام ٦٠٧ هـ وقعت فتنة كبيرة بين الحاج العراقى واهل مكة وسببها أن احد الحجاج العراقيين قتل احد عبيد الشريف قتادة ويدعى بلال مما أدى الى نشوب القتال بين الطرفين وأجبر الشريف قتادة أميرَ الركب العراقى على دفع اموال بلغت قيمتها ثلاثين الف دينار ويؤكد الفاسى [١] ان هذه الأموال دفعت للشريف قتادة مقابل خسائره في هذه المعركة .

في سنة ٦١٢ هـ وجه اهانة الى الملك عيسى بن العادل الايوبى صاحب الشام وتغلب على محاولة عزله من إمرة مكة [٢] .

وجاء مقتل عميد اسرة بنى قتادة الذى شن حربا متواصلة ضد امراء المدينة المنورة بقصد ضمها الى امارته على يد ابنه الحسن . وكان كل من الاب والابن يريد قتل الآخر . فاستغل الحسن فرصة مرض أبيه قتاده وقتله عام ٦١٧ هـ ونادى بنفسه أميرا على البلاد [٣] .

---

(١) انظر فصل المكوس.
(٢) انظر النفوذ الايوبي على الحجاز.
(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٤.
الطبرى: الرج المسكى ص ٢٢٣.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٠
دحلان: خلاصة الكلام ص ٤٢.
الجزيرى: درر الفوائد ٢٧٦.
البرادعى: الدرة السنية ص ٢٧.

وأدى مقتل قتادة بن ادريس على يد ابنه الحسن وتوليه امرة مكة الى خلاف شديد مع الابن الثاني راجح . فدخل الاخوان في صراع مرير تدخلت فيه عدة قوى خارجية [١] .

فقد انتهز راجح بن قتادة فرصة قدوم الحج العراقى عام ٦١٨ هـ بقيادة اقباشى الناصرى فاستنجد به ضد أخيه . فهاجم الحسن سرادق أمير الحج العراقى للفتك بأخيه راجح الذى نجح في الهرب بينما قتل اقباشى الناصرى [٣] .

ولا شك ان هذا الاعتداء على أمير الحج العراقى ادى الى غضب الخليفة وعزم على الانتقام من الحسن . غير ان الحسن استطاع ان يمتص غضب الخليفة بتقديم الاعتذار وطلب العفو . فأجابه الخليفة الى طلبه [٣] .

أما بالنسبة لراجح ابن قتادة فانه اضطر الى الذهاب الى اليمن للاستنجاد بالملك المسعود ابن الكامل الايوبى صاحب اليمن وانتهز الملك المسعود هذه الفرصة لمد نفوذه الى مكة عن طريق مساعدة راجح ضد اخيه الحسن . وبالفعل وصلت قوة عسكرية استطاعت طرد الشريف الحسن بن قتادة من

---

(١) الغساني : العسجد المسبوك ص ٢٦٥.
دحلان : خلاصة الكلام ص ٤٣.
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٣.

(٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧٥.
الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٢.
البرادعي : الدرة السنية ص ٢٨.
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٨.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٢.
المقريزي : الذهب المسبوك ص ٧٨.
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٩.

مكة فولى ذاهبا الى بغداد . بينما تولى امرة مكة نور الدين عمر بن رسول نائبا عن الملك المسعود الايوبي صاحب اليمن وبجانبه الشريف راجح بن قتادة [1] .

وبينما كتب الخليفة العباسى الى الملك الكامل الايوبي سلطان مصر يعتب فيها ما فعله ابنه صاحب اليمن في مكة ، كان الحسن بن قتادة قد عاد الى القرى المجاورة الى مكة يستميل اليه بعض القبائل وكذا انضم اليه أمير المدينة لاستخلاص مكة من نائب صاحب اليمن ياقوت المسعودي [2] . وأخيه راجح غير أن هذه المحاولة فشلت عام ٦٢٢ هـ وظل ياقوت المسعودي أميرا على مكة حتى عام ٦٢٥ هـ [3] .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٢.
الغساني: العسجد المسبوك ص ٢٣٠.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ١ ص ١٩٨.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٢٣.

(٢) كان الملك المسعودي صاحب اليمن قد استدعى عمر بن رسول عام ٦٢٠ هـ وعين مكانه الامير صارم الدين ياقوت المسعودي الذي اطلق على نفسه امير الحج والحرمين ومتولى امر الجند بمكة ومدبر احوالها.

(٣) الطبرى: اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٥.
الفاسى: شفاء الغرام ورقة ٨٩.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٢١٣.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٢٤.
محمد بهجت: الصلات السياسية والحضارية ص ١٨٥.

ثانيا : العلاقة بين أشراف مكة وأشراف المدينة

أعلن امراء المدينة من آل الحسين بن على بن أبى طالب استقلالهم سنة ٣٦٠ هـ وارتبط معهم أمراء مكة بصلة القرابة ولم تحدث أية فتن فيما بينهم سوى الحملة العسكرية التي قام بها أبو الفتوح سنة ٣٩٠ هـ بأمر من الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ولان أمراء المدينة قطعوا الخطبة سنة ٣٩٠ هـ أعد أبو الفتوح حملة لاعادة بنى مهنى الى طاعة الخليفة الفاطمى [١] .

ويؤكد ابن خلدون [٢] والفاسى ان أبا الفتوح حكم مكة والمدينة عامين كاملين حتى استجاب له بنو مهنى وأعلامهم واعلنوا الطاعة للخليفة الحاكم بأمر الله .

وقد وقع خلاف في سنة ٤٤٣ هـ بين بنى هلال وبنى عامر وبين بنى مهنى اشراف المدينة الذين حرضوا الشريف شكر باعداد حملة عسكرية ضد بنى مهنى وبمناصرة هاتين القبيلتين استطاع شكر الاستيلاء على المدينة ولذلك لقبه ابن خلدون والفاسى بملك الحجاز ، واستمرت ولايته حتى سنة ٤٥٠ هـ وأعاد بنى مهنى الى إمرة المدينة بعد أن عقد الصلح بينهم [٣] .

وعلى أثر انتهاء دولة بنى سليمان وقيام اسرة الهواشم ارتبط محمد بن جعفر ارتباطا وثيقا مع اشراف المدينة ولم يحدث أى اعتداء طوال فترة حكمه وحكم أبنائه وأحفاده من بعده حتى تولى امرة مكة مكثر بن عيسى ، وعلى أثر الحروب

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام، ١٩٨/٢.
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٤٨ — ٢٤٩.
(٢) ابن خلدون : العبر ١٠٢/٤.
الفاسي : شفاء الغرام ١٩٩/٢.
(٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٠.
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٢٠.

التى جرت بينه وبين طاشتكين أمير الركب العراقى اسند الخليفة المستضىء بالله العباسى امارة مكة الى الامير هاشم بن مهنى الحسينى على اثر عزل مكثر ولكنه لم يستطع ادارة الامور في مكة وطلب من طاشتكين ان تكون ولايتها بيد داود ابن عيسى فاسندت اليه عام ٥٧١ [١] .

وحينما تولى الشريف قتاده بن ادريس امير ينبع أمر مكة سنة ٥٩٧ هـ أراد ان يمد سلطانه الى المدينة المنورة فبدأ في سنة ٦٠١ هـ يعد عدته لغزو المدينة ولكن أميرها تصدى لحملته والحق بها الهزيمة وبذلك استمرت الحروب بين أمير المدينة سالم بن مهنى وقتاده بن ادريس مدة زادت عن ثلاثة أعوام دارت فيها اربعة حروب كان النصر فيها متساويا وانتهى اخيرا بعقد صلح بينهما [٢] .

وفي آخر هذه المعارك قتل الحسن بن قتاده عمه مطاعن ، لهذا نجد أن قتاده أنهى الخلاف بعقد الصلح بينه وبين اشراف المدينة وتوعد بقتل ابنه الحسن [٣] .

وما لبث قتاده ان وقع في خلاف مع أمير الركب العراقى استفحل خطره حينما أرسل الخليفة العباسى جيشا يقوده سالم بن مهنى امير المدينة سنة ٦٠٩ هـ الذي هزم بانتصار قتاده عليه [٤] .

---

(١) الطبرى: الارج المسكى ورقة ٢٤٤.
سبط بن الجوزى: مرآة الزمان ص ٢٤٨/٨.
ابن جبير: الرحلة ص ٤٨.
(٢) ابن الاثير: الكامل ٢٠٥/١٢.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٢.
(٣) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٥.
(٤) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٦.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٨.

وعلى أثر وقوع الخلاف الذي حدث بين قتاده وبين الملك عيسى بن العادل الايوبي سنة ٦١١ هـ أرسل الملك عيسى جيشا من الشام لمساعدة الامير سالم بن قاسم امير المدينة لقتال الشريف قتاده وفي اثناء المعركة توفى الأمير سالم مما أدى الى تفكك الجيش فاستطاع قتاده ايقاع الهزيمة به . وعلى أثر مقتل قتاده دخلت امارة مكة في نزاع بين الاخوة ابناء قتادة (١) .

اما امراء المدينة فلم تحدثنا المصادر عن أي خلاف حدث بينهم وبين ابناء قتادة بن ادريس سوى انهم كانوا موالين للايوبيين .

وعلى أثر سقوط الدولة الايوبية في مصر وقيام دولة بنى رسول في اليمن أعلن امراء المدينة في سنة ٦٤١ هـ دخول طاعتهم تحت سلطان بنى رسول سلاطين اليمن .

وخلاصة القول أنْ اشراف المدينة الحسينيين امتاز حكمهم بعدم تدخلهم في شئون امارة مكة اللهم الا ما حدث في عهد أبى الفتوح وابنه شكر في عهد مكثر وقتادة ولم يحدث أى خلافات بعد ذلك فيما بينهم وبين اشراف مكة حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام ٢٣٢/٢.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٩.
السباعي: تاريخ مكة ١٨٢/١، انظر تفصيل ذلك في النفوذ الايوبي.

القبائل العربيــة

من المعلوم أنه بعد انتقال الخلافة الفاطمية الى مصر بدأ القرامطة التابعون للخليفة الفاطمى يهددون طريق ركب الحاج العراقى حتى استطاعوا سنة ٣٦٠ هـ منع حاج المشرق الدخول الى مكة . وقد سار على منوالهم بعض القبائل التي تقطن هذا الطريق فأصبحوا يطالبون الحجاج بالمكوس . يفعل القرامطة (١) .

وقد ظل القرامطة يملأون طريق ركب الحاج العراقى بالرعب والمخاوف حتى سنة ٣٩٨ هـ اذ استطاع الخليفة العباسى اعداد حملة عسكرية لايقاف القرامطة عن اعتداءاتهم .

ومنذ سنة ٤٠٣ هـ بدأت قبائل بنى سليم وطى ، وبنى هلال تخرج لاعتراض ركب الحاج العراقى حتى سنة ٤٢٤ هـ اذ استطاع الأمير أبو الفتوح محاربة هذه القبائل التى تهدد طريق أمن الحاج العراقي (٢) .

وعندما توفى أبو الفتوح خلفه ابنه شكر بدأت اعتداءات القبائل السالفة الذكر على طرق الحاج ولكن شكر استطاع ان يرد عصيان هذه القبائل تارة باللين وأخرى بالشدة حتى أنه ألقى القبض على مشايخ هذه القبائل ، لهذا يصفه أكثر مؤرخى مكة بأنه كان يتمتع ببأس شديد (١) .

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٨ ص ٥٣٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٧.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٤.
(٢) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٠.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٣.

على أثر انتقال الحكم الى أسرة الهواشم تلاحظ أن السليمانيين اتحدو مع قبائل حرب وخرجوا على أبى هاشم محمد بن جعفر ولكنه استطاع تأديبهم وقضى على بنى سليمان بقيادة حمزة بن دهاس . ولقد ظل أبو هاشم يحارب هذه القبائل حتى استطاع القضاء عليهم سنة ٤٦٨ هـ ويؤكد هذا القول ابن الأثير وابن فهد حيث يقولان ان أبا هاشم ظل يحارب هذه القبائل ما يقرب من أربع سنين [١] .

ومع بداية ولاية القاسم بن هاشم سنة ٤٨٤ هـ اعتدت القبائل على الحجاج أثناء خروجهم من مكة فعاد الحجاج الى أمير مكة يخبرونه بما حدث فلم يستجب لهم وحينما بلغ الخليفة العباسى بذلك أرسل الى مكة حملة بقيادة اصيهيد بن سارتكين الذي استطاع أن ينتزع مكة من القاسم [٢] .

ولقد استطاع القاسم بمناصرة القبائل له أن يعود مرة ثانية الى مكة ويجلى عنها الأصيهيد القائد العباسى في سنة ٤٨٧ هـ ومن هذا التعاون الذي تم بين القاسم والقبائل يتضح لنا تشجيع القاسم للقبائل العربية لتعتدى على الحجاج وزيادة الفوضى والاضطرابات المختلفة داخل مكة وخارجها [٣] .

وعندما تولى خليفة بن القاسم أمر مكة قضى على فتن الاعراب المختلفة

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢١.
ابن الأثير: الكامل جـ ٩ ص ١١٠.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٤.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٥.

(٣) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٨.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٣٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٦.

وأصلح بين الاشراف وهدأت الاضطرابات في مكة ويعتبر عهده العصر الذهبي لحكومة الأشراف عموما وقد توفى سنة ٥٢٧ هـ [١] .

وما أن تولى أمر مكة هاشم بن فليته حتى عادت الفوضى والاضطرابات مرة اخرى لأنه بدأ عهده بمناصرة القبائل العربية حتى اعتدت هذه القبائل على قافلة من التجار أتت من مصر، وحينما علم الأفضل وزير الديار المصرية بذلك أراد أن يقضى على الأمير هاشم ولكنه أرسل وفداللاعتذاربقيادةعمارة اليمنى الشاعر ثم ما لبث أن عاد وحرض القبائل على نهب التجار مما زاد الأمر سوءا [٢] .

ولقد حرض الأعراب في سنة ٥٤٣ هـ على أن يأخذوا من الحجاج مُكسينْ أحدهما له والآخر لهم مما ساعد على زيادة نشوب الاضطرابات والفتن [٣] .

ولقد توفى هاشم بن فليته في سنة ٥٤٣ هـ وخلفه ابنه القاسم وفي عهده عادت الفتن الى الظهور وانتهت بخروجه من الامارة نتيجة لتغلب عمه عيسى عليه ولكن القاسم عاد مرة أخرى سنة ٥٥٧ هـ وظل على الامارة الى أن انتهى الأمر بتولية عمه مالك بن فليته سنة ٥٦٥ هـ ثم تغلب عيسى على مالك وأخيرا

---

(١) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٧.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٧.
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ١ ص ٢٧٠.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٨.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٧٨.
الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ١٨٤.

استقر الأمر الى مكثر بن عيسى الذي تولى أمر مكة بأمر من الخليفة العباسى الناصر لدين الله، ولقد قضى مكثر في بداية ولايته على القبائل التي كانت لها سيطرة كاملة في البلاد [1] .

وعندما حلت سنة ٥٨٢ هـ أوقع الأعراب فتنة بين الحجاج العراقيين والشاميين يوم عرفه ووقف أمير مكة مناصرا للحاج الشامي ضد طاشتكين أمير الحج العراقى وانتهى اليوم بوقوع معركة دامية بينهم، وقد أخبر طاشتكين الخليفة العباسى بما حدث من مكثر فجهزه بجيشه في سنة ٥٨٦ هـ من أجل القضاء على مكثر ولكن بمناصرة القبائل العربية استطاع مكثر التصدى لهذا الجيش فلجأ الخليفة العباسي الى تحريض الأشراف ضد مكثر حتى استطاع الشريف قتاده بن ادريس أن يجمع جموعه وينتزع امارة مكة من اسرة الهواشم سنة ٥٩٧ هـ [2] .

من المعلوم أن الشريف قتادة استطاع بمناصرة قبيلتى جهينه والرحلة ان يدخل مكة سنة ٥٩٧ هـ ويستتب له الأمر فيها ، ولقد بدأ عهده بالقضاء على القبائل العربية التي كانت تناصر الشريف مكثر وأخاه داود ووطد أمور امارته حتى انه ذهب بحملة عسكرية لرد القبائل العربية التي كانت تقطن طريق مكة المدينة واستطاع تأديبهم [3] .

---

(١) الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٨٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٩.

(٢) الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٩.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٨.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٣.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٠.

ولقد ذهب في سنة ٦١٣ هـ الى الطائف لتأديب قبائل ثقيف وهوازن واستطاع إيقاع الهزيمة بهم وأيضا دار قتال عنيف بينهم وبين قبائل عوف خارج الطائف وبهذا استطاع قتاده ان يلقى الرعب في قلوب القبائل التي تقطن القرى والمدن المجاورة لمكة وانتهت حياته بقتله على يد ابنه الحسن (١) .

وبعد أن قتل الشريف قتاده دب النزاع بين ولديه الحسن وراجح حيث حاول كل واحد منهما استمالة مجموعة من القبائل اليه للقضاء على أخيه وظل الصراع مستمرا بين الأخوين الى أن استتب أمر مكة الى محمد أبى نمى الأول سنة ٦٦٧ هـ الذي استطاع أن يؤدب جميع القبائل العربية ويسيطر عليهم ليضمهم تحت لوائه وقد سبق التحدث عن هذه الخلافات في الصراع بين الايوبيين وبنى رسول في الحجاز في هذا الفصل .

المكوس :

اذا كان الفاطميون قد أعطوا أقاربهم من العلويين حكم الحجاز لكى يقوموا بالدعاء باسم الخليفة الفاطمي على منابر الحرمين الشريفين ليعطيهم بذلك صفة السيادة الشرعية على العالم الاسلامى . فان تلك السيادة تعرضت الى مناقشة الخلافة العباسية كما سبق بحثه تفصيلا من ناحية . كما أنها من ناحية أخرى ارتبطت تماما بما تعهدت به الخلافة الفاطمية من ارسال الاعطيات السنوية التي تمكن أشراف مكة بالذات من توطيد حكمهم .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٩.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٨٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٤.

وعلى هذا فقد تحدد ولاء الأشراف لأي من الخلافتين على أساس ورود تلك الأعطيات او انقطاعها . كما أعطاهم الحق في فرض المكوس على الحجاج والتجار الوافدين في الموسم لتعويض من ينقطع من مال . تلك السياسة التي جلبت كثيرا من الاضطرابات من جراء فرض المكوس أو الغائها . ويستدل على ذلك بما جاء من اخبار تربط بين تلك المظاهر الثلاثة ، الدعوة لأى من الخليفتين على أساس ما يرد من أيهما من عطاء أكثر إغداقا ، وفرض المكوس على من هم تابعين لمن انقطع من قبله ذلك العطاء .

ولقد بدأ تلك السياسة أول الحكام الاشراف من بنى سليمان . فلقد فرض الشريف جعفر بن محمد على الدعاء باسم الخليفة العباسى دون الفاطميين التي انقطعت أعطياتهم وعوض ذلك فرض المكوس على حجاج وتجار مصر والشام دون غيرهم من الركب العراقى . مما دفع الخليفة العزيز الفاطمى الى ارسال حملة عسكرية بقيادة باديس بن زيرى الصنهاجى عام ٣٦٧ هجرية لاعادة الخطبة ورفع المكوس [١] .

وبسبب انقطاع الاعطيات لعدم ورود الحاج العراقى لجأ الشريف أبو الطيب بن داود الى فرض المكوس عام ٤٠٢ هجرية [٢] . ثم ألغاها الشريف أبو الفتوح بن جعفر بعد عودته الى منصب الشرافة ، وسار سيرة حسنة بين الناس . غير أنه اضطر الى فرض المكوس في الفترة في عام ٤٢٢ وحتى وفاته سنة ٤٣٠ هجرية واستمر ابنه الشريف شكر في فرض هذه المكوس حتى

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢١٩.
ابن خلدون: العبر جـ ٤ ص ١٠٠.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٢.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٤٦ — ٢٤٧.
(٢) دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٤.

ألغاها عام ٤٤٩ هجرية نظرا للرخاء الذي أصاب مكة بوصول الاعطيات له وللاهالي من كلتا الخلافتين العباسية والفاطمية (١) .

كذلك نرى مما ذكره المؤرخون عن أعمال على بن محمد الصليحي حاكم اليمن الذي أتى عام ٤٥٥ هجرية وتم على يديه نقل الحكم الى عميد الهواشم محمد بن جعفر ، أن هناك مظالم على الحجاج والتجار رفعها الصليحى ومكوسا ألغاها باتفاق مع هـذا الشريـف ومع ذلك فقد أعاد الشريف محمد بن جعفر وفرض المكوس عام ٤٦٢ هجرية لانقطاع أعطيات الخليفة الفاطمى ثم ألغاها في السنة التالية بوصول أعطيات الخليفة العباسى (٢) واستمر في هذا الاضطراب في فرض المكوس حتى نهاية عام ٤٨٤ هجرية (٣) حيث فرض الشريف القاسم بن محمد بن جعفر المكوس على الحجاج والتجار بسبب نقص الاعطيات وقبل أن ركب الحاج العراقى لم يفد في عهده لعدة سنوات مما أدى الى ازدياد الأزمنة واستمرار المكوس حتى رفعها عام ٥١٤ هجرية عند وصول أعطيات الخليفة الفاطمى (٤) .

ومع كل فان المصادر تشير الى ما قام به الشريف فليته بن القاسم ٥١٨ : ٥٢٧ هجرية من اصلاحات استمرت طوال عهده وهى الغاء جميع المكوس

---

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٣٥.
الغساني : العجسد المسبوك ص ٢١٠.
ابن الربيع : قرة العيون جـ ١ ص ١٤٣.
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٨٩.
(٢) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٥.
السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٠.
(٣) الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٦.
(٤) المقريزى : الفاظ الحنفا جـ ٢ ص ٢٢٤.
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٨٤.
الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٦.

التي فرضها آباؤه وأجداده من قبل ، وأحسن معاملة الاهالي عموما ، وسار فيهم سيرة حسنة ، كما أصلح شئون الامارة وعمل على نشر الأمن والاستقرار فيها[1] وعلى العكس من ذلك كان ابنه هاشم بن فليته الذي استهل عهده بفرض المكوس على الحجاج والتجار معا مما أدى الى اضطراب الأمن في مكة . وكذلك كانت سياسة خلفه القاسم بن هاشم في فرض المكوس على الحجاج والتجار . وزاد عام ٥٥٢ هجرية الاعتداء على التجار وأعيان مكة ومصادرة أموالهم مما ألجأ هؤلاء الى الاستنجاد بعمه عيسى بن فليته الذي قام بطرد القاسم من مكه واعادة الاموال المصادرة والغاء جميع المكوس التي فرضت على الحجاج والتجار ، وتولى عيسى بن فليته امر مكة [2] .

ومن العجب أن نسمع عن ثورة ضد هذا الشريف المصلح من جانب أخيه مالك عام ٥٦٥ هجرية بفرض اعادة المكوس على الحجاج والتجار واستمر في ذلك عاما واحدا حيث عاد عيسى بن فليته عام ٥٦٧ هجرية الى ولايته ودخل في طاعة الايوبيين[3] .

ومع كل فان أشراف مكة كانوا يعتبرون المكوس موارد مالية رئيسية لهم يتعذر الغاؤها بسبب ما ينقطع أو ينقص من أعطيات واردة من بغداد أو القاهرة . ولم يقبل عيسى بن فليته مبدأ صلاح الدين في الغاء المكوس كافة الا

---

(١) المقريزى: الفاظ الحنفا جـ ٢ ص ٢٢٩.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٩٣.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٣.

(٢) ابن الاثير: الكامل جـ ١٠ ص ٢٣٩.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٣.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٠.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٣.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٣٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩١.

على أساس تعهد صلاح الدين بضمان ارسال أموال وسلع غذائية لشريف مكة كل عام (١) .

غير أن تدخل الخلافة العباسية في شئون التولية والعزل بين داود ومكثر بن عيسى بن فليته مما أدى الى عزل داود تولية مكثر والتجاء الاخير أمام هذا التدخل العباسى او توقعاته ضده الى اجــراء عدة تحصينات للدفاع عن امارته كلفته أموالا كثيرة فعمد الى مخالفة اتفاق أبيه السابق مع الايوبيين وفرض المكوس (٢) .

وجلبت تلك المخالفة لاتفاقية الغاء المكوس الى تعرض مكثر بن عيسى الى عداء سافر من جانب كل من الخلافة العباسية وصلاح الدين ، فلما أرسلت الخلافة العباسية حملة بقيادة طاشتكين أدت الى قتلى وجرحى من الطرفين ، ونهب الحجاج ومصادرة أموال التجار ، وانتهت بعزل مكثر واعادة أخيه داود عام ٥٧١ الى امارة مكة مرة أخرى فألغى المكوس ، وأعاد الحجاج آمنين كما سبق ذكره « انظر الهامش فصل النزاع بين الاشراف » فان مكثر نافس اخاه وتولى منصب الامارة مرة ثالثة وما لبث أن عاود سياسته في فرض المكوس (٣) .

كذلك جاء سيف الاسلام طغتكن أخو صلاح الدين حين عودته الى اليمن لأداء فريضة الحج موسم ٥٨١ هجرية فاصدر مكثر أوامره الى سادن الكعبة

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٧٣.
الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ١٧٠.
(٢) دحلان: خلاصة الكلام ص ٣٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩١.
(٣) الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٥.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٤.

بغلقه بابها أمام سيف الاسلام بسبب ما كان بينهما من خلاف حول أخذ المكوس من الحجاج القادمين من البحر عن طريق عيذاب جده . فتعرض مكثر للتأديب وأعيد أخوه داود لامرة مكة فترة الى أن تغلب عليه مكثر مرة اخرى عام ٥٨٧ هجرية وانفرد بامارة مكة مدة عشر سنوات حتى عام ٥٩٧ هجرية حيث انتقلت الامارة الى اسرة ثالثة من اسرات الاشراف بتحريض من الخلافة العباسية وبرضى من الايوبيين (١) .

واذا كان قتاده بن ادريس أول أشراف هذه الاسرة الحاكمة الجديدة قد ألغى المكوس حسب سياسة الايوبيين . فإنما كان على أثر حدوث خلاف حدث بينه وبين أمير الحج العراقى سنة ٦٠٧ هجرية أدى الى نشوب قتال بينهما (٢) .

وفي العام التالي حصل الشريف قتاده بن ادريس من الركب العراقى مكوسا بلغت جملتها ثلاثين الف دينار واستمر في فرض المكوس على الحاج العراقى فقط (٣) .

وقد حاول الخليفة العباسي التقرب الى شريف مكة بأن أرسل اليه الخلع والاموال وطلب منه القدوم الى بغداد غير أن قتاده رفض هذا الطلب اذ شك في الأمر وتوقع الشر . وبدأ في أخذ الاستعدادات الحربية للدفاع اذ توعده الخليفة بارسال جيش لقتاله . ووصل جيش الخلافة العباسية في العام

---

(١) الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٤٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٥٨.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٤١.
(٢) انظر فصل العلاقة بين الاشراف.
(٣) الفاسي: عقيل المرام ورقة ٨٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٠

التالي الى المدينة المنورة فتصدى له آل مهنى أشراف المدينة بناء على اتفاق مسبق مع شريف مكة . وكان أن حلت الهزيمة بجيش الخليفة فانسحب عائدا الى بغداد دون التوجه الى مكة (١) .

وبعد أن تعرض الشريف قتاده بن ادريس بالقتل على يد ابنه الحسن عام ٦١٧ هجرية في ظروف صراعه مع أشراف المدينة ، وتولى الحسن بن قتاده امرة مكة بادر بالغاء المكوس على الحجاج والتجار . واستمر هذا الالغاء ساريا مع بداية النفوذ اليمنى بالحجاز حتى عهد عمر بن رسول ثم ياقوت المسعود ثم الشريف راجح بن قتاده . ثم عادت هذه المكوس في ظروف الصراع بين الايوبيين وبنى رسول حول السيادة في الحجاز حتى عام **٦٣٩** هجرية حين أمر نور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسولية باليمن الى الغاء المكوس والجبايات عن الحجاج والتجار حتى نهاية الحقبة الزمنية لهذا البحث .

---

(١) ابن الاثير: الكامل جـ ١٢ ص ٢٩٠.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢١٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٤.

التنافس بين الأيوبيين وبين بنى رسول حول النفوذ في الحجـاز

لم يتعرض النفوذ الايوبي للحجاز لأي منافسة خارجية فترة من الوقت حتى بدأ التدخل اليمنى . وجاء ذلك في ظروف الخلاف بين الاخوين من بنى قتادة، فاستنجد احدهما بالفرع الايوبي الحاكم باليمن فأرسل الملك المسعود الايوبي قوة عسكرية استطاعت السيطرة على مكة عام ٦١٩ هجرية وتولى الامارة فيها نور الدين عمر بن رسول ومعه الشريف راجح بن قتاده [١] .

ويبدو أنَّ سلطان هذا الشريف لم يكن شيئا مذكورا أمام سلطان عمر بن رسول نائب الملك المسعود ملك اليمن، بل ان هذا الأخير أخذ يباشر سلطة العزل والتولية عام ٦٢٠ هجرية حين استدعى نائبه عمر بن رسول وعين مكانه الامير صارم الدين ياقوت المسعودي الذي أطلق على نفسه أمير الحج والحرمين ومتولى أمر الجند بمكة ومدبر أموالها [٢] .

وفي عام ٦٢٦ هجرية عزم الملك المسعود الايوبي الذهاب الى مصر وعين على اليمن نور الدين عمر بن رسول ورحل الى مصر عن طريق الحجاز وفي

---

(١) الطبرى: اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٩.
ابن الربيع : قرة العيون جـ ٢ ص ٨.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٤٩.
يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ١ ص ٤١٠.
عليان: الحياة السياسية ص ٣٠.
محمد بهجت: الصلات السياسية ص ١٨٩.

(٢) الطبرى: اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٤١.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٣٠٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٤.
القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٨١.
عليان : الحياة السياسية ص ٣٣.

طريقه أصيب بمرض أدى الى وفاته ودفن بمكة المكرمة بناء على وصيته، وعلى أثر وفاته أعلن نور الدين عمر بن رسول نفسه ملكا على اليمن وولى ياقوت المسعودي نائبا عنه على مكة وبدأ عهد جديد في بلاد الحجاز كي يبدأ حكم بنى رسول باليمن والحجاز دون الايوبيين (١) .

ولم يكن السلطان الكامل الايوبي يرضى عن ضياع النفوذ الايوبي بالجزيرة العربية فكان أن جهز جيشا بقيادة طغتكين عام ٦٢٧ هجرية أرسله الى مكة للاستيلاء عليها والقضاء على اليمنيين فيها فاستطاع طغتكين ان يحقق هذا النصر معلنا الخطبة للسلطان الكامل الايوبي (٢) .

ولم يهنأ طغتكين طويلا ذلك أن ابن رسول أعد جيشا سنة ٦٢٧ هجرية لاستعادة مكة وجعل قيادته بين الشريف راجح بن قتادة الذي استمال اليه رؤساء مكة لتذكيرهم بما فعله نور الدين عمر بن رسول من أعمال حميدة، حينما كان واليا على مكة وحين أحسَّ طغتكين بقرب هذا الجيس وأنه لن يستطيع له دفعا ، فضل تجنب الهزيمة فترك مكة هاربا الى ينبع ودخل راجح مكة وخطب فيها لسلطان اليمن نور الدين عمر بن رسول الذي بعث له على أثر ذلك الاعطيات والخلع وجعله واليا على مكة (٣) .

---

(١) الغساني: العسجد المسبوك ص ٢٩٥.
الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٠.
يحيي بن الحسين: غاية الأماني جـ ١ ص ٤٢١.
(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٩.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ٧٠.
(٣) الغساني: العسجد المسبوك ص ٢٩٧.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٣١٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٩.

أما طغتكين الايوبي فقد أرسل مبعوثا الى مصر أبلغ السلطان الايوبي بما حدث له ووصلت النجدة فأعد السلطان جيشا كبيرا بقيادة الأمير فخر الدين شيخ الشيوخ وطلب من أمير ينبع أبو سعيد ومن أمير المدينة شيحه بن قاسم الانضمام الى الامير فخر الدين وطغتكين ومساعدتهما في استرداد مكة وتمكن هذا الجيش الايوبي من دخول مكة ومحاصرة قوات بنى رسول فيها وأنزل بهم الهزيمة، وخطب فيها للملك الكامل سنة ٦٢٧ هجرية بألقاب سلطان القبلتين وخادم الحرمين الشريفين أبو المعالى محمد الملك الكامل ناصر الدين خليل أمير المؤمنين [١] .

غير أن الحرب استمرت سجالا بين الايوبيين وبين رسول حول السيطرة على الحجاز، ففي شهر ربيع الثاني سنة ٦٢٨ هجرية جهز الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول صاحب اليمن جيشا بقيادة أبى عبدالله ومعه الأمير راجح للاستيلاء على مكة فاستطاعوا محاصرة الجيش الايوبي فيها، مما أدى الى فرار قادة الجيش الايوبي الى وادي نخله في طريق مكة الطائف ، وانتهز الامير راجح بن قتادة هذه الفرصة ودخل مكة واحتلها بالجيش اليمنى وأعلن سكانها الولاء والطاعة وخطب فيها لصاحب اليمن الملك المنصور نور الدين بن رسول للمرة الثالثة [٢] .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١١.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٣٤.
باقاسي: بلاد الحجاز ص ٧٠.
عليان: الحياة السياسية ص ٥١.

(٢) الغساني: العسجد المسبوك ص ٢٩٧.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥١.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٣١٤.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٩.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٣.

وفي السنة التالية جهز الأيوبيون جيشا في شهر جمادي الآخرة بقيادة الامير طغتكين أيضا واستولى على مكة وتركها الشريف راجح وأبو عبدالله قائد الجيش اليمنى وهرب باقى الجيش معهم [1] .

وما أن بلغت أخبار هذه الهزيمة صاحب اليمن الملك المنصور حتى بادر باعداد حملة عسكرية كبرى في نفس السنة، لكنها لم تستطع مواجهة جند الايوبيين المرابطين في مكة فعادت الى اليمن دون أن تحقق أهدافها [2] .

وبذلك عادت أمارة مكة معلنة ولاءها لطاعة الايوبيين وعاد الى امارتها الامير طغتكين معلنا الخطبة للسلطان الايوبي حتى ٦٣٠ هجرية [3] .

وفي السنة التالية جهز صاحب اليمن حملة عسكرية بقيادة الشريف راجح بن قتادة الذي تمكن من القضاء على الجيش الايوبي فيها، وقد رأى الملك المنصور أن سيطرته على مكة لا بد وأن تأخذ الصبغة الشرعية، لذلك بعث في نفس السنة الى الخليفة العباسي طالبا منه أن يقلده بلاد اليمن والحجاز ويرسل

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٤.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٥.
باقاسي: بلاد الحجاز ص ٧٢.

(٢) الغساني: العسجد المسبوك ص ٣٠١.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٣.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٩.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٥.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٥.
الطبرى: اتحاف فضلاء الزمن ورقة ٣٦.
الغساني: العسجد المسبوك ص ٣٠٢.
عليان: الحياة السياسية ص ٥١.

له كتاب التقليد والخلع فاستجاب الخليفة له وأرسل له تقليدا بولاية اليمن والحجاز في العام التالى(١) .

وعلى أثر ذلك أخذ الملك المنصور نور الدين بن رسول صاحب اليمن يقوم ببعض الاعمال التي تمكنه من السيطرة على مكة، اذ بدأ في ارسال أعطياته الى أمير مكة راجح بن قتادة كما أرسل اليه الخلع من اليمن وأغدق في توزيع الاموال على سكان مكة ليكسب ولاءهم له (٢) .

وفي سنة ٦٣٢ هجرية أرسل الأيوبيون قوة عسكرية بقيادة خمسة من الأمراء يرأسهم القائد أسد الدين جفريل فاستطاعت هذه القوة من محاصرة الأمير راجح بن قتادة في شهر رمضان مما جعله يترك مكة ومعه جند اليمن متجهين الى اليمن .

وتولى أمر مكة الأمير جفريل نيابة عن السلطان الايوبي الكامل ولكن أمارة مكة لم تستقر أمورها له دون متاعب، وحينما علم نور الدين صاحب اليمن استعد بقوة عسكرية لاسترداد مكة (٣) .

---

(١) يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ١ ص ٤٢٢.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٢.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ٨.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٦ ص ٢٤٤.
(٢) الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٣.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٠.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٢٥٠.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٦ ص ٢٤٥.
عليان: الحياة السياسية ص ٥٦.
(٣) المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٢٥٤.
يحيي بن الحسين: غاية الأماني جـ ١ ص ٤٢٣.
بهجت: الصلات السياسية ص ١٨١.

وفي السنة التالية جهز نور الدين جيشا بقيادة الشهاب بن عبدالله يرافقه الامير راجح وأرسل معهم الاموال ليستميلوا أهل مكة ضد جيش الايوبيين المرابط في مكة ، وحينما بلغت مسامع هذا الجيش جفريل خرج لملاقاته ودارت معركة حامية الوطيس أسر فيها القائد اليمنى الشهاب بن عبدالله وبعث به الى القاهرة ومعه الامير راجح (١) .

وفي السنة التالية عاد الملك المنصور صاحب اليمن بارسال حملة عسكرية اخرى من اليمن واستطاع جفريل ان يخرج لملاقاتها والقضاء عليها وأنزل بهم هزيمة نكراء . وحينما علم المنصور بهزيمة الجيش أعد حملة في سنة ٦٣٥ هـ قادها بنفسه ويرافقه الامير راجح ومعهم ألف فارس واستطاع الامير راجح ان يدخل مكة ،وعسكر الملك المنصور نور الدين بجزء من الجيش خارج مكة في مكان يقال له السرين (٢) . وبذلك تمكن راجح من القضاء على الامير جفريل نائب الايوبيين في مكة وأجلى عسكر الايوبيين عن مكة (٣) .

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٣ ص ٢٢٧.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٦.
يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ١ ص ٤٢٥.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٢.

(٢) السرين مكان يقع بين مكة واليمن ويوجد به أسواق وهى محطة من محطات طريق ركب الحاج اليمنى.
انظر ياقوت: معجم البلدان جـ ٣ ص ١٢٠.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٨.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ص ٧٨.

(٣) الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٥٩.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٣.
القوصى: تجارة مصر ص ١٦٩.
بهجت: الصلات السياسية ص ١٨٣.

وعلى أثر هذا الخبر الذي وصل الملك المنصور وهو في السرين دخل مكة معتمرا مع باقي فرقة جيشه المرابطة معه في شهر رجب . أما الامير جفريل فقد فر حتى وصل المدينة المنورة واختبأ لدى أمير المدينة اذ بلغه أن السلطان الملك الكامل الايوبي قد توفي وخلفه على سلطنة مصر والشام ابنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي أمره بالبقاء عند أمير المدينة وأرسل له جيشا يتقدمه الف فارس في سنة ٦٣٧ هجرية وعلى رأسه الامير شيحه أمير المدينة وتمكن هذا الجيش من دخول مكة بدون قتال بعد أن أخليت عن عسكر المنصور صاحب اليمن حينما رأوا قوة الجيش الايوبي وضخامته اذ خافوا من الهزيمة وخرجوا من مكة ، وعلى أثر ذلك خطب على منابر مكة للسلطان الملك الصالح نجم الدين ابن الملك الكامل الايوبي [١] .

وقد بلغت هذه الاخبار مسامع الملك المنصور نور الدين فغضب وقرر أن يسترد أمارة مكة بقيادة الامير راجح أيضا وأن يقود الجيش بنفسه هو، وحينما رأى الامير شيحه هذا الجيش والامير جفريل فرّا من مكة وعادا الى السلطان الصالح فجهزهما الملك بقوة كبيرة كثيرة العدد والعدة بقيادة الامير شيحه ومعه قائدان آخران هما علم الدين الكبير ، وعلم الدين الصغير وتم ذلك سنة ٦٣٨ هجرية [٢] .

---

(١) المقريزى: السلوك جـ ١ ص ١٨٩.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٣ ص ١٠٢.
المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٨٦.
أبو شامه: الروضتين جـ ٢ ص ٩٥.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٣٥.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقه ص ٢٥٥.
الغساني: العسجد المسبوك ص ٣٠٥.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٣٠٢.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٦ ص ٣٤٦.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٠.

ومن المفيد ذكره أن هذا الأمر لم يرض السلطان نور الدين ، ففي العام التالي جهز جيشا جرارا الى مكة ، ولما بلغت مسامع وصوله الى رجال الايوبيين في مكة أرسلوا الى سلطانهم بمصر يطلبون منه النجدة فأرسل اليهم مائة وخمسين فارسا بقيادة مبارز الدين برطاس وعسكر رجال الملك المنصور في السرين وبعثوا الى الملك المنصور يخبرونه بتجهيزات الايوبيين ويطلبون منه النجدة والعون فقاد الجيش الملك المنصور بنفسه حتى تمكن من دخول مكة بقواته الضخمة ولاذ الجيش الايوبى بالفرار من مكة على أثر هزيمتهم في شهر رمضان سنة **٦٣٩** هجرية دخل الملك المنصور صاحب اليمن مكة وصام بها رمضان والغى المظالم التى انتشرت بسبب التنافس والحروب التي حدثت في هذه السنوات بين القوتين الايوبية والرسولية (١).

وبهذا استطاع الملك المنصور صاحب اليمن أن يثبت حكمه في مكة ويعلن اسمه على منابر المسجد الحرام كما انه أصلح دار امارة مكة لأن الايوبيين قد خربوه وبنى على بئر زمزم قبة مقابلة للحجر الأسود وولى على مكة ابن المسيب (٢).

وقد فضل الامير مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس قائد قوات الايوبيين أن يبايع الملك المنصور نور الدين لتغلبه على جيشهم فأنعم عليه الملك

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ص ٢٥٥.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٣١٠.
المقريزى: الذهب المسبوك ص ٨٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٧.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٣.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٨ ص ١٧٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٢٠.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٥.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١١٣.

المنصور وعلى باقى الجيش الايوبي حتى أن باقى القوات الايوبية المرابطة في ينبع بايعت الملك المنصور وأيضا قدم والى مدينة ينبع أبو سعد على بن قتاده ولاءه للسلطان المنصور وبهذا انتهى التنافس الايوبى في الحجاز وأصبحت مكة وينبع تابعة لنبى رسول(١).

وفي السنة التالية أمر الملك المنصور بعزل ابن المسيب عن ولاية مكة وعين مملوكه الأمير فخر الدين بن شلاج نائبا عنه في مكة. أما القرى المجاورة لمكه وينبع فأسند امارتها للشريف أبى سعد على بن قتاده صاحب ينبع وعاد في آخر هذه السنة الى اليمن(٢).

وفي سنة ٦٤٦ هجرية عزل الملك المنصور الامير فخر الدين الشلاج أمير مكة وأعاد ابن المسيب أميرا عليها الذي عاهد الملك على أن يلتزم بتطبيق جميع التعليمات التي يأمر بها السلطان المنصور، غير أنه لم يلتزم بهذه المعاهدة واستبد بالأمر واستولى على الصدقات التي كانت تصل لفقراء مكه وشيد حصنا منيعا لحماية نفسه واستطاع أن يوحد قبائل هذيل تحت لوائه كما أنه هدم الاسطوانة التي بناها الملك المنصور وكتب فيها أمره بالغاء المكوس والجبايات عن الحجاج وأعاد فرض المكوس(٣).

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٥.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٢١.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ١٨.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٣٢.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٧.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٦.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ٢٠.

(٣) الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٧.
يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ١ ص ٤٣١.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٣٣٢.

وقد حرك سلوك الامير ابن المسيب السخط والغضب لدى سكان مكه والحجاج فطلب سكان مكه من الامير ابى سعد على بن قتاده فأتي الى مكه واستطاع القضاء على ابن المسيب والقى القبض عليه واجتمع بأعيان مكه فقال لهم: « انى قد تحققت انه يريد الهرب بمال السلطان الى العراق فالمال عندى محفوظ والخيل والرجال محاصرون برجالى حتى يصل مرسوم السلطان [1]

غير أنه بعد أيام يسيرة من هذه الاحداث وصلت الاخبار بوفاة الملك المنصور نور الدين عمر بن رسول مؤسس الدولة الرسولية في اليمن في قصر الجند بمدينة المنصورة ليلة التاسع من ذى الحجة سنة ٦٤٧ هجرية ونقل جثمانه ودفن بتعرا [2].

كان الملْك المنصور يتمتع بصفات جمة منها الكرم والشجاعة وحزم المواقف وحسن التصرف في أوقات الشدة. وكان عظيم السياسة وقد قدر له أن يحكم مكه باسمه سبع سنوات دون منافسة وأُثنى عليه لكثرة صدقاته في الحرمين الشريفين وازدهرت الاحوال الاقتصادية في عصره، وشيدت القصور، وبنيت المحطات المختلفة في أمكنة المسار ليتظلل الحجاج تحت ظلها فترة الموسم [3].

---

(١) يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ١ ص ٤٣٣.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ٢٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢١٩.

(٢) الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٧.
يحيي بن الحسين: غاية الاماني جـ ١ ص ٤٣٤.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ٢٧.

(٣) المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٤٦٨.
عليان: الحياة السياسية ص ١٠٧.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٤٣.

وتولى الملك ابنه الملك المظفر شمس الدين يوسف بن رسول في سنة ٦٤٧ هجرية وفي عهده سقطت الدولة الايوبية في مصر وقامت دولة المماليك، وقد عاصر أباه في السنوات الأخيرة من حكمه، ووطد سلطانه على مكه في أول حكمه بسبب انشغال سلاطين المماليك الاوائل المعز ايبك وقطز في تثبيت دعائم دولتهم ضد الاخطار الداخلية والخارجية (١).

ثم تلا ذلك سقوط الخلافة العباسية على يد المغول سنة ٦٥٦ هجرية وهى صاحبة السيادة الشرعية على الحجاز . وخلا الجو للملك المظفر للعمل على تدعيم سيادة بني رسول على بلاد الحجاز وربما راوده أمل تولى خلافة المسلمين بعد سقوط الخلافة العباسية مستندا على ما تحقق لابيه وله من سيادة على بلاد الحجاز (٢) .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٢٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٨.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٤٧.
باقاسي: بلاد الحجاز ص ٦٨.

(٢) المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٤٢٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٧.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٥٦.
بهجت: الصلات السياسية ص ١٩٢.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز



الحياة الاقتصادية في بلاد الحجاز

ا ـــ النشاط التجاري :

كان لموقع بلاد الحجاز أهمية بالغة بالنسبة للنشاط التجاري داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فبلاد الحجاز تقع في غربي شبه الجزيرة العربية ، وهي تمتد مسافة طويلة على ساحل البحر الأحمر ، كما أنها تتصل شمالا ببلاد الشام ، وتتصل جنوبا ببلاد اليمن . وكذلك تتصل بمصر برا وبحرا . وساعد هذا الموقع الممتاز على ازدهار النشاط التجاري لبلاد الحجاز منذ أقدم العصور [١] فقد أخذت القوافل التجارية القادمة من اليمن تسير عبر أراضي الحجاز في طريقها شمالا الى بلاد الشام وتمر القوافل التجارية في طريقها بمدن هامة جدا كصنعاء ومأرب ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومنها الى مدائن صالح ثم غزة وجنوبي الشام وبعضها يسير الى مصر . وكانت هذه القوافل التجارية والمراكب تحمل في ذهابها وايابها مختلف البضائع المطلوبة آنذاك [٢] .

أما عن الطريق البحري لبلاد الحجاز فقد كانت المراكب التجارية تسير الى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الأحمر وفي نفس الوقت كانت هذه الثغور الحجازية على البحر الأحمر تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصين ومصر فضلا عن اليمن [٣] .

---

(١) على السليمان: النشاط التجاري ص ٨٣.
(٢) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٠.
على السليمان: النشاط التجاري ص ٨٦.
(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٤٠.
نعيم زكى: طرق التجارة ص ١٣٨.

وتعتبر مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف من أهم المدن التجارية ببلاد الحجاز وكذلك ميناء جده الذي كان له شهرة تجارية فائقة في الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز. وترجع أهمية مكة المكرمة الى عاملين :

أولها : هو موقعها الممتاز على طريق القوافل التجارية القادمة اليها من بلاد الشام الى اليمن أو العكس ، وبذلك غدت مكة المكرمة محطة تجارية هامة تتوقف فيها القوافل للراحة والبيع والشراء من ناحية ، وكى تتزود بالماء والمؤن من ناحية أخرى ، لتستأنف رحلتها [1] .

والعامل الثاني الذى لعب دورا هاما في تاريخ مكة الاقتصادي هو وجود الكعبة الشريفة فيها حيث يقصدها ألوف عديدة من المسلمين كل عام في موسم الحج [2] . مما يؤدى الى نشاط البيع والشراء بين الحجاج القادمين اليها بمختلف البضائع من كافة أنحاء العالم الاسلامى ، كذلك مما زاد في أهمية مكة التجاري هو قربها من ميناء جدة الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، فالمسافة بينهما لا تزيد على أربعين ميلا [3] .

وعلى هذا فلم تكن مكة المكرمة محطة تجارية فقط بل اشتهر أهلها بالتجارة والوساطة التجارية بين البلاد الاسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها .

ويذكر الرحالة ابن جبير [4] أن مكة كانت ملتقى الصادر والوارد بالقوافل المحملة بمختلف البضائع ، وهى موسم اجتماع الحجيج القادمين اليها

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٣٨.
ابن بطوبة: الرحلة ص ١٢٥.
أحمد الشريف: مكة والمدينة ص ١٨٤ — ١٨٥.
(٢) عبدالعزيز الأزهرى: قصص عكاظ ص ٤٤ — ٥٠.
(٣) على السلمان: النشاط التجاري ص ١٠.
(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٨٢.

من أنحاء العالم الاسلامي بمختلف النعم والفواكه والثمرات والمنسوجات والبضائع مما يؤدى الى قيام أسواق عامة في مواسم الحج ، وهذه الأسواق تقام في أيام معلومة وفي أماكن مستقرة فأصبحت تقليدا من تقاليد الحج [١] .

في عام ٢٦ هـ/٦٤٦ م أمر الخليفة عثمان بن عفان بنقل مرفأ مكة القديم من الشعيبة الى جدة لقربها من مكة (الفاكهى: المنتقى ٤٦) وأخذت جدة من ذلك التاريخ تتطور حتى صارت أهم ثغور الحجاز على الساحل الشرقي للبحر الأحمر اليه ترد شتى المراكب القادمة من مختلف البلاد مما جعل أسواقها مكدسة بأنواع البضائع والمنتجات .

وما أن تصل المتاجر الى ميناء جدة حتى تنقلها القوافل التجارية الحجازية برا من ميناء جدة الى مكة المكرمة كذلك كانت الحال بالبضائع الواردة الى ميناءى الجار وينبع فهما يعتبران منفذا المدينة المنورة على البحر الأحمر [٢] .

وقد زادت أهمية ميناء جدة من الناحية التجارية فلم تعد مرفأ مكة التجاري بل غدت مرفأ الحجاز بأسره [٣] ، ومما ساعدها على ذلك أنها أكثر اتساعا من ميناء ينبع وغيره من الثغور الحجازية ، كما كانت ترتبط بعدة طرق تجارية مع بعض البلدان الأخرى مثل الطريق الذي يربطها بمكة المكرمة شرقا وبلاد الحجاز والشام شمالا وأيضا ببلاد اليمن جنوبا ، وكل هذا جعل ميناء جده أهم الموانىء الحجازية وأنشطها تجاريا عبر العصور الاسلامية [٤] .

---

(١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزة ص ١١.
أحمد الشريف: مكة والمدينة ص ١٨٢.

(٢) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ١١.

(٣) الشافي : الجواهر المعدة في فصائل جده ورقة ٧.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٨٨.
علي السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٦٨.

(٤) الشافي : الجواهر المعدة ورقة ٨.
ابن جبير: الرحلة ص ٤٨.
السليمان: النشاط التجاري ص ٩٧.

وذكر الرحالة «ابن جبير» أن مدينة جدة كانت تتبع أميرمكة المكرمة [١]، وكان أمير مكة يحصل المكوس في جدة من الحجاج القادمين اليها، وحين غدا صلاح الدين الأيوبي سلطانا على مصر والشام أمر باسقاط المكوس في جدة من الحجاج، ثم لما أدرك أن موارد مكة لا تفى باحتياجات أهلها دفع لأمير مكة مالا عوضا عن هذه المكوس [٢].

أخذت جدة تزدهر اقتصاديا نظرا لازدياد مواردها المالية نتيجة تضاعف عدد الحجاج والتجار القادمين اليها من شتى أنحاء العالم الاسلامي.

وورد في وثائق الجنيزة أن تجارا من المغرب الاسلامي والأندلس اعتادوا بيع بضائعهم من الحرير والنحاس وغيرها من منتجات بلادهم في مدن مصر والشام، ولكن اذا حدث ولم يصادف هؤلاء التجار نجاحا أو سوقا رائجة لبضائعهم في بلاد الشام ومصر فانهم يتجهون ببضائعهم فورا الى ميناء جدة حيث يجدون فيها أسواقا رائجة لبضائعهم [٣].

أما الجار فكانت مدينة وثغرا عامرا الى أن أصاب بلاد الحجاز بعض الفتن والاضطرابات منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي عندما اقتحم الأعراب وقطاع الطرق ميناء الجار وفاجأوا أهله بالقتل والسلب والنهب. ورغم عدم استقرار أحوال ميناء الجار فانه ظل يستقبل المراكب الواردة من الديار المصرية وبقى الحال على ذلك حتى أواخر القرن السادس الهجري/

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٤٨.
(٢) ابن نهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٠.
ابن جبير: الرحلة ص ٤٩.
أبو المحاسن: النجوم جـ ٦ ص ٧٩.
المقريزي: السلوك جـ ١ ص ٦٤.
(٣) حسنين ربيع: وثائق الجنيزه ص ١٥ — ٢٠.
على السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٩٣.

الثاني عشر الميلادي [١] . فمنذ ذلك التاريخ أخذت أهمية ميناء الجار تضعف بينما أخذت تزداد أهمية ميناء ينبع وغدا ميناء ينبع يتمتع بالازدهار والنشاط التجاري منذ سنة ٦٢١ هـ/١٢٢٤ م حين جعله الأيوبيون في مصر ميناء رئيسيا للمدينة المنورة ويأتي في المرتبة الثانية بعد ميناء جدة بالنسبة لبلاد الحجاز كافة . فأصبحت أغلب الغلال والمؤن التي تصل المدينة المنورة من مصر تصلها عن طريق ميناء ينبع الواقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وغدا ثغرا رئيسيا للمدينة المنورة .

وقد أسهم هذا الميناء في ازدهار المدينة المنورة تجاريا منذ بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي [٢] .

وتنقسم مدينة ينبع الى قسمين ، ينبع النخل ، وينبع البحر ، وعندما يطلق المؤرخون المسلمون اسم ينبع فانهم يقصدون بها ينبع النخل ، لأن ينبع البحر كانت قليلة الشهرة في بادئ الأمر ، ثم صارت ميناء للمدينة المنوة ، ومنفذا لها على ساحل البحر الأحمر [٣]

ولقد لعب ميناء « عيذاب » الواقع على الساحل المواجه لميناء جده دورا هاما في تجارة بلاد الحجاز واليمن [٤] . وكانت عيذاب في العصور الوسطى

---

(١) نعيم زكي: طرق التجارة ص ١٤٠.
على السليمان: النشاط التجارى ص ٩٢.
(٢) نعيم زكي: طرق التجارة ص ١٤٢.
على السليمان: النشاط التجاري ص ٩٥.
(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ١١٠.
حمد الجاسر: بلاد ينبع من ص ٨ — ١٢.
على السليمان: النشاط التجاري ص ٩٢.
(٤) أحمد دراج: عيذاب، مثال، ص ٥٥.
حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٢.
عطيه القوصى: تجارة مصر ص ١٢٣.

الاسلامية تعتبر من أعظم وأهم مراسي العالم فقد كان يصلها أعداد كبيرة من مراكب المسلمين بالهند وغيرها وترسو بها فضلا عن أنها كانت الميناء الذي تنتهي اليه قوافل الحجاج الذين يعبرون البحر الأحمر الى جده .

وكانت عيذاب بالنسبة لهؤلاء الحجاج تمثل مركز تجمع لهم ولتجار الشرق القادمين اليها بسلع وبضائع من الحبشة واليمن [١] . وكان البحارة والتجار يفضلون الرسوّ فيها عند قدومهم اليها أو عند رحيلهم عنها ، وذلك لعمق وغزارة الماء في ميناء عيذاب وخلوه من الشعاب المرجانية التي تعوق الملاحة في بعض شواطىء البحر الأحمر [٢] .

وقد ذكر ابن جبير في رحلته الى الأراضى الحجازية سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣ م بأن عيذاب كانت (من أحفل مراسى الدنيا لأن مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها على الدوام) بالاضافة الى مراكب الحجاج التي تقصدها دائما في مواسم الحج [٣] .

واعتمادا على ما جاء في كتاب « قوانين الدواوين » لابن مماتى يتبين لنا أن الزكاة والجزية هما الضريبتان اللتان تتم جبايتهما من التجار في ميناء عيذاب، ومما يؤيد هذا ان التجار المسلمين والتجار من أهل الذمة القادمين من البلاد الاسلامية هم فقط الذين كانوا يعملون في تجارة البحر الأحمر في العصر الأيوبي ولم يكن مسموحا لأي تاجر من المدن الايطالية أو من الهند أو الصين أن يسير من عدن في البحر الأحمر شمالا [٤] .

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٤٣.
حسنين ربيع : البحر الأحمر ص ١٧.
(٢) حسنين ربيع : المرجع السابق ص ١٧.
(٣) ابن الجبير: الرحلة ص ٤٣.
حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٢.

Hassaneen Rabia: The financial Sustem, of Egypt, A H. 564 - 741, P. 166.

وقد لعب تجار الكارمية دورا هاما في تجارة بلاد الحجاز خلال العصر الأيوبي وتجار الكارميه هؤلاء هم فئة من كبار التجار المسلمين احتكروا تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وغيرها من السلع . وقد كان مركز نشاطهم الأول في المحيط الهندي ، واتخذوا قواعد لهم في موانى ساحل الهند الغربي وفي موانىء الخليج العربي ، وعند مدخل البحر الأحمر [١] .

إن أول اشارة وردت في المصادر المتداولة عن طائفة تجار الكارمية الذين لعبوا دورا هاما في تجارة البحر الاحمر ترجع الى سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م وذلك حين اشار ابن ايبك الدواداری الى تأخر التجار وانقطاع الكارم في عهد الخليفة المستنصر الفاطمى ، بسبب حوادث الشدة المستنصرية ، وهذا دليل واضح على أن نشاط تجار الكارمية بدأ منذ العصر الفاطمى ، ان لم يكن قبل ذلك ، واستمر طوال العصر الأيوبي وشطرا من عصر سلاطين المماليك [٢] .

وقد زادت أهمية هؤلاء التجار المسلمين عندما نجح الأيوبيون في اقرار نفوذهم في البحر الأحمر وفي تنظيم شئون التجار في اليمن . وقد سبق أن رأينا نشاط هؤلاء التجار قد تعرض للخطر بسبب امتداد نفوذ الصليبيين الى ميناء البحر الأحمر . كما رأينا كيف نجح صلاح الدين الايوبي في احباط محاولات البرنس العدائية في البحر الأحمر لغزو بلاد الحجاز [٣] .

وقد احتكر تجار الكارمية تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي وبخاصة تجارة

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٢ — ١٣.
حسنين ربيع : البحر الأحمر ص ١٧.

(٢) ابن ايبك : الدرة المضيئة جـ ٦ ص ٣٨٠، تحقيق صلاح الدين المنجى، ١٩٦١.
حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٣.

(٣) وقد سبق التحدث عن محاولات اعتداء الصليبيين على الأراضي المقدسة في الفصل الأول من هذه الرسالة.
انظر حسنين ربيع : البحر الأحمر ص ١٤.

التوابل وغيرها من البضائع الشرقية التي كانوا يجلبونها عن طريق عدن الى مصر حيث يبيعونها الى تجار المدن الايطالية وغيرهم [1] .

ولقد قام الأيوبيون بمثل ما قام به الفاطميون من العمل على صد خطر القراصنة في ميناء البحر الأحمر فرصدوا سفنا من أساطيلهم من أجل هذا الغرض بشكل خاص [2] .

ب ـــ أنواع السلع الواردة والصادرة :

كان يرد بلاد الحجاز أنواع عديدة من مختلف السلع والمنتجات . وتعتبر التوابل وبخاصة الفلفل من أهم هذه السلع لضرورة استخدامه في الطعام . وجرت العادة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ان يباع حمل الفلفل في تجارة البحر الأحمر بمبلغ يتراوح بين خمسين دينارا ومائة وخمس وعشرين دينارا [3] .

وكانت الدارحيني (القرفه) من أهم السلع التي لعبت دورا هاما في تجارة بلاد الحجاز . وكان سعرها يعادل سعر الفلفل أو أغلى منه قليلا . لذلك اعتبرت من السلع المربحة . أما القرنفل فقد بلغ ثمنه ضعف ثمن الفلفل وقد جلبه العرب وجلبوا معه أيضا الخليجان وهو نوع من البهار من الشرق عبر

---

(١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٤.
القوصى : تجارة مصر ص ١٧٦.
(٢) ربيع : النظم المالية ص ١٦.
ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٥.
السليمان : النشاط التجارى ص ٨.
نعيم زكى : طرق التجارة ص ١٩٢.
(٣) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٣.
القوصى : تجارة مصر ص ٢١٦.

الخليج الفارسي ثم بواسطة القوافل البرية أو عبر البحر فورا مرورا بالبحر الأحمر [١] .

كذلك كان الزنجبيل من أكثر التوابل شيوعا واستعمالا في بلاد الحجاز كافة ، فهو لا يقل أهمية وطلبا عن الفلفل والبهار والقرنفل . ومن هذه السلع الرئيسة أيضا الراوند والكافور والعود الهندى والزعفران والكركم والهال (الحبهان) وجوزة الطيب التى استعملت في أنواع كثيرة من الطعام كما استخدمت في الطب وتحضير بعض الأدوية لعلاج بعض الأمراض [٢] .

ولم يكن النشاط التجاري في بلاد الحجاز مقصورا على تجارة التوابل ، بل شملت أيضا العطور والبخور وهي ذات أنواع كثيرة منها عود الند والمسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكى وجميع هذه السلع كانت ترد الى بلاد الحجاز من بلاد الشرق الأقصى وفارس ، والى جانب هذه السلع اشتمل النشاط التجارى على الذخائر النفيسة كالجواهر والياقوت وسائر الأحجار الكريمة [٣] .

وكان يأتى الى بلاد الحجاز قوم من اليمن بقصد التجارة يعرفون باسم السرو فيجلبون معهم نوعا من الزبيب الاسود والأحمر . كذلك كانوا يجلبون معهم

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٨٧.
حسنين ربيع : البحر الأحمر ص ١٤.
القوصى: تجارة مصر ص ٢١٨.
نعيم زكى: طرق التجارة ص ٢١٩.
(٢) القوصى: تجارة مصر ص ٢٢٠.
ربيع : البحر الأحمر ص ١٤.
(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٨٦.
ربيع : البحر الأحمر ص ١٥.
نعيم زكى: طرق التجارة ص ٢٢٦.

كميات كبيرة من اللوز ، علاوة على الحنطة وبقية أنواع الحبوب بالاضافة الى قصب السكر والسمن والعسل [1] .

وكانت القوافل التجارية تأتى من اليمن الى أسواق مكة وهي محملة بمنتجات أخرى لليمن مثل الجلود والثياب والبخور ، وبمنتجات افريقية نفسها ، من الصمغ والعاج والدقيق والتمر . كما كانت القوافل تأتى مكة أيضا محملة بمنتجات الشام ومصر كالزيتون والغلال [2] .

وهكذا كان يجتمع في أسواق مكة المكرمة منتجات كل من الهند والحبشة والعراق واليمن وخراسان وبلاد المغرب [3] .

وكانت بلاد الحجاز بلدا مصدرا لحاصلات بلاد العرب فتحمل القوافل التجارية في ايابها الزيت والبلح والقرظ والصوف والوبر والشعر والجلد والسمن . وكانت مصر تستورد من بلاد الحجاز الخيول والجمال والجلود المدبوغة [4] .

وقد اعتادت بعض قبائل اليمن التي تعرف بالسرو الا يبيعوا ما يجلبونه الى مكة من الزبيب واللوز والسكر والبقول والسمن والعسل بالدنانير والدراهم ، انما كانوا يرغبون في مبادلة بضائعهم تلك بما يجدونه في أسواق مكة من الخرق والعباءات والأقنعة والملاحف المتان ، وغير ذلك من ملابس الأعراب

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٨٨.
(٢) على السليمان: النشاط التجاري ص ١٥١.
(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٨٧.
(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٩٨.
حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٥.

وثيابهم . وقد اثارت طريقة المبادلة هذه دهشة بعض المؤرخين والجغرافيين العرب [١] .

جـ — الضرائب والمكوس وطرق جبايتها :

فرض أمراء بلاد الحجاز بعض المكوس والضرائب على البضائع الواردة الى بلاد الحجاز . وكانت كلمة مكس تطلق على الجباية ، كما كانت تطلق على كل ما يأخذه العشار (الماكس) . وهذه المكوس ليس لها سند شرعي وانما توارث الحكام فرضها وجبايتها من العصور السابقة [٢] .

وذكر ابن جبير أنه قبل عصر صلاح الدين كان المكس يجبى من الحجاج والتجار في ميناء عيذاب واذا لم يجب منهم في عيذاب جبى منهم في جده [٣] . وأضاف الرحالة المسلم ابن جبير [٤] مقدار المكس الذي كان مفروضا على الحاج الواحد . واذا امتنع الحاج عن دفع هذا المبلغ يمنع من الحج والتجارة ويعذب بشتى انواع العذاب .

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٤٨.
ابن جبير: الرحلة ص ٩٩.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٠٨.
ابن الديبع: قرة العيون جـ ٢ ص ٧٨.

(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٦٩.
علي السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٦٢.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٢٩.

(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٢٩.
حسنين ربيع: النظم المالية ص ٥٠.
القوصي: تجارة مصر ص ٢٣٢.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٦٢.

وألغى صلاح الدين الأيوبى نائب السلطان نور الدين محمود في مصر في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م معظم المكوس الفاطمية التي كانت تجبى في الديار المصرية حتى يدرك المسلمون انتهاء العمل بمذهب الشيعة والعودة إلى مذهب السنة . وقد بلغ عدد المكوس التى ألغاها صلاح الدين الأيوبى ثمانية وثمانين مكسا . كما بلغت جملة حصيلتها في السنة الواحدة مائة ألف دينار وبذلك لم يبق من المكوس الفاطمية سوى مكس الحاج الذي ألغاه أيضا صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م [١] .

أما سبب الغاء مكس الحاج هذا فهو أن الشيخ علوان الأسدى الحلبى ، أراد في نفس العام المذكور ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦ م أن يؤدى فريضة الحج وكان على صلة طيبة بصلاح الدين فلما طلب منه متولى جباية المكس بجدة دفع مكس الحج رفض وهم بالعودة من حيث أتى دون أن يؤدى فريضة الحج فخشى الاشراف عاقبة الأمر ، لذلك أخذوا في ملاطفته وارضائه وبعثوا الى مكثر بن عيسى يخبرونه بأمر الشيخ علوان ، فأمرهم باطلاق سراحه واعفائه من المكس ، والسماح له بالتوجه الى مكة المكرمة [٢] .

فلما بلغ الشيخ علوان مكة المكرمة ، اجتمع به الامير مكثر بن عيسى فشكا

---

(١) أبو شامه: الروضتين جـ ٢ ص ٢٥.
ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ص ٦٦.
الباز العرينى: مصر في عصر الأيوبيين ص ٢١٥.
أحمد دراج: عيذاب ص ٦٠.
ربيع: النظم المالية ص ٥٠.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٠.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٦٩.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٦.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٦٠.

اليه قائلا : « إنّ دخل مكة لا يفى بمصالح أهلها ، وهذا ما يضطره الى أخذ المكوس » فكتب الشيخ علوان بذلك الى صلاح الدين الأيوبى .

وكانت العادة قد جرت أن يأخذ شريف مكة من كل حاج سبعة دنانير ونصف ولا يسمح لأحد من الحجاج بدخول مكة دون دفع هذا المكس ويحبس ولا يطلق سراحه حتى يفوته الوقوف بعرفة [1] .

وعلى أثر ذلك خصص صلاح الدين الايوبى جراية سنوية لأمير مكة مكثر بن عيسى فجعل له في كل سنة مبلغ ألفى دينار وألف أردب قمحا ، فضلا عن عدة اقطاعات في صعيد مصر واليمن ، ويبلغ مجموعها ثمانية آلاف أردب قمح تحمل اليه كل سنة حتى جدة لتعويضه عن تلك المكوس التى ألغاها [2] .

استمر الغاء المكوس هذه طوال عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ولكنها عادت بعد وفاته، ومما يدل على ذلك ان الملك العادل الثاني سيف الدين بكر ابن الملك الكامل أعاد فرضها في سنة ٦٣٥ هـ/ ١٢٣٧ م ، يضاف الى ذلك أن خلفاء صلاح الدين الأيوبي أهملوا ارسال ما التزم به صلاح الدين الأيوبي

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٠٩.
ابن جبير: الرحلة ص ٥٨.
القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٠٩.
السباعي: تاريخ مكة ص ١٧٩.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٠.
ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢١٤.
المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٢٣٣.
أبو المحاسن: النجوم جـ ٦ ص ٧٩.
أبوشامه: الروضتين جـ ٢ ص ٢٠٦.
على السليمان: النشاط التجاري ص ١٠٤.

نحو البيت الحرام ، مما دفع شريف مكة الى تحصيل المكوس من الحجاج والتجار [١] .

وعندما امتد نفوذ بنى رسول من اليمن الى الحجاز قام الملك المنصور عمر ابن رسول صاحب اليمن سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١ م بالغاء مكس الحاج والتجار وكتب بهذا الالغاء رقعة جعلها قبالة الحجر الأسود على بئر زمزم، وبقيت تلك الرقعة حتى سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م حيث نزعها محمد بن أحمد بن المسيب اليمنى [٢] .

وكانت تلك المكوس التي يدفعها التجار بجدة ، تؤمن لهم الطريق الى مكة وتحقق لهم الحماية والأمان سواء ظلوا بجدة ، أم أقاموا بمكة المكرمة . وكانت المكوس تؤخذ في جدة من الحجاج الواردين بطريق البحر .

ونظرا لأن جدة تابعة لأمير مكة ، فان تلك المكوس والعشور ، يقوم بجبايتها وتحصيلها في ميناء جدة مشرف من قبل أمير مكة . وكان المشرف الى جانب ذلك يحرس عمالة جدة ، ويقبض لوازمها ، وصدقاتها ، ومكوسها وعشورها [٣] .

د ــ الحرف والصناعات :

كانت الزراعة في بلاد الحجاز تعتمد بصفة عامة على المطر وعلى مياه العيون . ومن أهم الحاصلات الزراعية : القمح والشعير والذرة والفواكه

---

(١) القوصى: تجارة مصر ص ٢٢٧.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٥، ٢٥٧.
المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٢٣٢.
يحيي بن الحسين: غاية الأماني جـ ١ ص ٤٣١.
ابن الديبع : قرة العيون جـ ٢ ص ٣٦.
(٣) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٤ ـــ ٢٥.

والرطب والعنب والموز . ومن المعروفة ان مكة المكرمة ليست بلدا زراعيا ، فهي منطقة مجدبة جرداء ، لا تصلح للزراعة كما أنها تتميز بالجفاف ، وارتفاع درجة الحرارة . لذلك لا ينبت فيها زرع سوى شجر البادية [١] .

وعلى خلاف الحال بمكة المكرمة كانت بعض المناطق المجاورة لها ، وبخاصة منطقة الطائف ، والوديان الموجودة بين مكة وجدة ينبت فيها مختلف الحاصلات الزراعية . وبالتالي تمد مكة المكرمة بما تحتاجه من المنتجات الزراعية . ومما يجدر ذكره أن أهل مكة كانوا يمتلكون بعض المزارع والحدائق والبساتين في منطقة الطائف بالاضافة الى ما يملكونه في مكة ، من ابل وبقر وغنم ، وما لديهم من خبرة في تربيتها وانتاجها ورعايتها في الوديان والشعاب المجاورة [٢] .

أما المدينة المنورة ، فكانت على العكس من مكة المكرمة ، فهى تقع في منطقة خصبة ، لذلك عمل أهلها بالزراعة وقد ساعدهم على ذلك ما توفر فيها من العيون والآبار فكثرت حولها حدائق النخيل ، مما جعل التمر من أهم حاصلاتها الزراعية ، بل هو المحصول الرئيسي فيها . وهو على أنواع متميزة من حيث الجودة . ويعتبر أهم المحاصيل التي تصدر من المدينة المنورة [٣] .

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٤٧.
على السليمان: النشاط التجاري ص ٨٣.
(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٧.
ابن جبير: الرحلة ص ١٠٢.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٠٠.
أحمد الشريف: مكة والمدينة ص ٢١٨.
(٣) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٨٠.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ١ ص ٦٨.
القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٨٩.
علي السليمان: النشاط التجاري ص ٩١.
حمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة ص ٣٥.

ويعمل كثير من أهل المدينة المنورة بالزراعة ، لأنها توفر لهم معظم احتياجاتهم الغذائية . وما فاض عن حاجتهم من الثمار والخضار يقومون بتصديره ، أو مبادلته مع مدن الحجاز الأخرى بما يفتقرون اليه من منتجات ، وبالاضافة الى ذلك كان أهل المدينة المنورة يتعاملون تجاريا مع الحجاج والتجار الذين يفدون اليها من مكة وهم في طريقهم الى بلادهم ، أو لزيارة قبر ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام (١) .

لذلك كانت تجرى في أسواق المدينة عمليات البيع والشراء فيباع في أسواقها الحطب الذي يجلبه الحطابون من الأشجار . ويأتي من بيع التمر عوائد اقتصادية مربحة لأهل المدينة المنورة ، كما أنهم يستخدمون النوى علفا لابلهم ، وهذا ما يميز ابل المدينة عن غيرها من الابل ،كما استخدم أهل المدينة جريد النخل في سقف المنازل أو صنعوا من خوصهـا المكاتل والقفف والمكانس والحصير والاطباق والمراوح . كذلك استخدموا جذوعها أعمدة لبيوتهم لتستند عليها السقوف . ولذلك اعتبر أهل المدينة النخيل من أكرم الأشجار بالنسبة لهم (٢) .

ومما يجدر ذكره أن أشجار النخيل في المدينة المنورة تزرع متفرقة تاركة بينها مساحات خالية مما يتيح الفرصة لقيام زراعات محصولية أخرى في هذه المساحات الخالية وأن أهم ماكان يزرع في تلك المساحات هو الشعير ، فعلية كان يعتمد أهل المدينة بعد التمر ، لأن محصوله يسد جانبا كبيرا من احتياجاتهم

---

(١) الفيروز ابادي: المغانم المطابه ص ١٥ — ٢٠. تحقيق حمد الجاسر.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٨٠.

(٢) الفيروز ابادي: المغانم المطابه ص ٣٠.
حمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة ص ٦٣.
أحمد الشريف: مكة والمدينة ص ٣٥٧.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ١٦٧.

الغذائية ، والى جانب هاتين الغلتين الرئيسيتين كان يتوفر في المدينة المنورة محاصيل أخرى ، لكنها كانت أقل كمية منها ، ومن تلك المحاصيل القمح والكروم والقثاء والبقول ، وكذلك بعض أنواع الفواكه مثل الرمان والليمون وغيرها [١] .

واذا ما انتقلنا الى أنواع الصناعات التي كانت موجودة في بلاد الحجاز ، فاننا نلاحظ ان المعلومات التي وصلتنا عنها قليلة جدا ، ومتناثرة بين سطور معدودة في بعض المصادر . ومن البديهي ان العمران يتطلب قيام صناعات تتعلق بالبناء من نحت ونجارة وصناعة أبواب وما شابه ذلك ، كذلك عرفت صناعات اخرى مثل صناعة الفئوس والمحاريث والمناجل وغيرها من الآلات الزراعية التي يحتاجونها في أعمالهم الزراعية . وبما أن المدينة المنورة اشتهرت بوفرة النخيل فيها فقد قامت فيها صناعات تعتمد على سعف النخيل مثل الزنابيل ، والحبال وما شابه ذلك من مشتقات النخيل [٢] .

ومن الصناعات الهامة التي ورد ذكرها في وثائق الجنيزة ، صناعات الحصير الذي كان شائع الاستخدام في المنازل والمحلات والمساجد وغيرها ، ومن حسن الحظ ان وثائق الجنيزة تمدنا ببعض المعلومات عن صناعة الحصير وصفاته وأنواعه واسعاره . كذلك عرفت آنذاك صناعة النجارة اللازمة

(١) السمهودي: وفاء الوفا جـ ١ ص ٧٨.
الفيروز ابادي: المغانم المطابه ص ١٠٩.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٣٨.
(٢) الفيروز ابادى: المغانم المطابه ص ١٣٠.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ١ ص ٨٦.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٣٨.
المراغي: تحقيق النضرة ص ٦٩.
حسنين ربيع: وثائق الجنيزه ص ٢٥.

للبيوت من أبواب ونوافذ ومختلف أنواع الأثاث ، ومما ساعد على قيام الصناعات الخشبية توفر شجر الطرفاء بكثرة في منطقة الغابة الواقعة في شمالي غربي المدينة المنورة .

كذلك اشتهرت المدينة المنورة منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الذي ندرسه بصناعة الفخار من أوان وأباريق وأكواب وجرار وحلل وغيرها من اللوازم[١] .

وكان مما شاهده ابن جبير خلال رحلته الى بلاد الحجاز بعض أنواع متعددة من اللبن في مكة المكرمة . كما تحدث في رحلته عن صناعة السمن وصناعة بعض أنواع الحلوى في مكة المكرمة . وهذه الحلوى كانت تصنع من جميع الفواكه الرطب منها واليابس مضافا اليها العسل والسكر المعقود[٢] .

ولا يغيب عن البال أن نذكر صناعات بعض الحلى التي اشتهرت بها بلاد الحجاز ، منذ العصور الاسلامية الأولى ، واستمرت خلال العصر الذي نحن بصدد دراسته . وتتمثل أهم صناعات تلك الحلى في صناعة الخواتم والخلاخيل والعقود وكان يستخدم في صناعتها الذهب والمجوهرات والأحجار الكريمة ، ثم يأتي بعد ذلك في الأهمية صناعة الأسلحة من سيوف ونبال ودروع وصناعة أدوات وآلات الصيد كالفخاخ والشباك وما شابه ذلك وكان معظم ذلك النوع من الصناعات يتم تصنيعه في المدينة المنورة[٣] .

---

(١) حسنين ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٦.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٨٨.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١١٨.
الجزيرى: درر الفوائد المنظمة ص ٢٧١.

(٣) الفيروز ابادى: المغانم المطابه ص ٢٠٦ — ٢١٠.
المراغي: تحقيق النصرة ص ١٠٥.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٤٨.
حمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة ص ٨١.
أحمد شريف: مكة والمدينة ص ٣٧٨.

هـ ـــ النقود ودار الضرب بمكة المكرمة :

أمر صلاح الدين الأيوبى ببناء دار في مكة المكرمة لضرب النقود باسمه (١) وذكر القلقشندى في كتابه « صبح الأعشى » ان المعاملات النقدية المتعامل بها في الحجاز خلال عصر الأيوبيين كانت كالمعاملات النقدية المتعامل بها في الديار المصرية والديار الشامية ، وذلك من حيث التعامل بالدنانير والدراهم النقرة (٢) . وبالتالي كانت الدراهم الناصرية التي سكها صلاح الدين وكذلك الدراهم الكاملة التى أمر السلطان الكامل الأيوبي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م بضربها وهى دراهم مستديرة متعامل بها في بلاد الحجاز (٣) .

والى جانب ذلك كانت هناك دراهم أخرى جرى التعامل بها في مكة المكرمة سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م وكانت تضرب مربعة الشكل من معدن الفضة الخالصة ، زنتها نحو النصف ثم انخفض فيما بعد الى السدس ، وهذه الدراهم تنسب الى الملك المسعود صاحب اليمن لذلك سميت بالدراهم المسعودية نسبة الى صاحب اليمن الملك المسعود نور الدين عمر بن رسول (٤) .

---

(١) حسنين ربيع : النظم المالية ص ٩٩.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٥.
ربيع : النظم المالية ص ١٠٠.
عبدالرحمن فهمي: النقود العربية ص ٧٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٠٢.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٣.
القلقشندي: صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٦.
(٤) الخزرجى: العقود اللؤلؤية ص ١٦٨.
الغساني: العسجد المسبوك ص ١٣٨.
ابن الديبع : قرة العيون جـ ٢ ص ٣٩.



الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز



طبقات المجتمع الحجازي

يضم المجتمع الحجازى شتاتا من مختلف بلاد العالم الاسلامى لأهميته الدينية عند المسلمين وبالتزاوج فيما بينهم لذا ذاب السكان الأصليون مع هؤلاء المجاورين الذين يفدون اليهم كل عام ، واتصف بقاؤهم بأعمال رئيسية أهمها التجارة وبعضهم جاور من أجل طلب العلم الأمر الذي أدى الى زيادة عدد الغرباء الوافدين زيادة كبيرة وقل عدد سكانها الأصليين تبعا لتضخم المدينة من المجاورين بأعدادهم الكبيرة ويظهر ذلك جليا في طبقات المجتمع الحجازي آنذاك والتى نوجزها فيما يلي :

١) **الأمراء** : كان أمراء مكة من أسرة الأشراف الحسنيين من أبناء محمد ابن جعفر الحسنى محمد بن سليمان (١) واستمرت هذه الأسرة حتى استطاع أبو هاشم محمد بن جعفر ٤٥٥ هـ أن ينتزع امارتها واستمر حتى سنة ٥٩٧ هـ . وفي تلك السنة استطاع أبو عزيز قتادة بن ادريس إعلان قيام الأسرة الثالثة من أسرات الأشراف (٢) .

ولقد اتصف الأشراف بحسن معاملة الأسر المقيمة في مكة . كما أنهم كانوا يهتمون بسكان البوادى من القبائل ، مما أدى الى استمرارهم فترة طويلة في

---

(١) تتمثل أسرات الأشراف في بني سليمان أبناء الحسن بن جعفر الحسنى تولى أمر مكة سنة ٣٥٨ هـ ثم أسرة الهواشم ٤٥٥ هـ وأخيرا أبناء قتادة بن ادريس سنة ٥٩٧ هـ.
انظر: البرادى، الدرة السنية ص ٢٢.
مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة ص ١٨.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ١٩٧.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٧
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٠.

الحكم ، فقد كانوا يقومون بزيارة مرضاهم ، والذهاب الى جنائزهم لمشاركتهم في أحزانهم ، كما كانوا أيضا حريصين وحذرين في مسائل الخصومات [١] . فعملوا على تجنب الأحكام القاسية . وكانوا يميلون دائما الى طرق الصلح في فض المنازعات . ووضعت القوانين لهذا الغرض ، ومما يؤكد ذلك ما نلاحظه في الوثيقة التي وضعها الشريف أبو نمى الأولى سنة ٨٥١ هـ ، وتسمى بقانون أبي نمى [٢] .

٢) سكان مكة الأصليين :

ومن الجدير بالذكر أن سكان مكة الأصليين من قريش ، وبعض القبائل التى استقرت في مكة نالت من قريش حسن الجوار، أما القرشيون الأوائل فقد خرجوا من مكة مع الفتح الاسلامى إلى الشام والعراق ، واستقروا في هذه الأمصار ولم يبق من القرشيين الأصليين في مكة الا العدد القليل أضف الى ذلك بعض العائلات القرشية التي سكنت بوادي مكة والطائف حيث كانوا يشتغلون بالزراعة وبخاصة في وادي الوهط في الطائف [٣] .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٢٠.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٦٧.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ٦٥.
على السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٠٧.

(٢) الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٨٥.
ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٥.
الفاسى: تحصيل المرام ورقة ٨٥.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٧ ص ٤٠.

(٣) الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٩٠.
ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٦.
البرادعى: الدرة السنية ص ٣٣.
على السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٠٨.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١١٠.

٣) المجاورون بمكـة :

وهم الذين يأتون مكة من مختلف أقطار العالم الاسلامى مع ركبان الحج في كل عام وجاوروا البيت الحرام ، ومنهم التجار والعلماء وطلبة العلم وما لبثوا أن استقروا والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة واصبحوا يشكلون جزءا منه [١] .

ومن المفيد أن نذكر أن المدن في الحجاز منذ القرن الرابع الهجري وفد اليها تجار مسلمون من بلاد بعيدة مثل الهند والمغرب والأندلس ، واستقروا في هذه المدن ناقلين اليها منتجاتهم في أوطانهم [٢] ويؤكد هذا القول وثائق الجنيزة [٣] وما يذكره لنا من كثرة هؤلاء التجار في هذه الفترة الزمنية كما يؤكد هذا القول صاحب كتاب شفاء الغرام [٤] ، حيث يقول : (ان هؤلاء التجار بنوا في مكة أربطة كثيرة أوقفت على سكان هذه الأقاليم وجزء منها خصص لسكن هؤلاء الحجاج في أيام الحج) .

٤) أغاوات الحرمين : [٥]

قام هؤلاء الأغاوات بخدمة الحرمين والحجرة الشريفة منذ عهد السلطان

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٩٨.
النهروالي: الأعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٨١.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٨.

(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٠.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ٥٤.
حمد الجاسر: بلاد ينبع ص ٢٠.
على السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٠٨.

(٣) ربيع : وثائق الجنيزه ص ٢٥.
باقاس: بلاد الحجاز ص ١١١.

(٤) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٥ — ١٠٢.

(٥) الأغاوات: جمع أغا والمقصود بها خدم بيت الله الحرام وخدم الحرم النبوي الشريف وهم غالبا ما يكونوا من الافارقة خصصوا ليكونوا خدما للحرمين.
انظر: الانصارى: تحفة المحبين ص ٥٣.

صلاح الدين يوسف بن أيوب [1] ومن قبل ذلك كان أمراء مكة والمدينة وولاتهما ومن جاور من الحجاج يقومون بالخدمة في المسجدين الحرام والنبوى الشريف ، وهم المسئولون عن النظافة فيهما وأمر الخدمات [2] حتى تولى السلطان صلاح الدين أمر بلاد الحجاز سنة ٥٦٨ هـ فأرسل فتيانا من الأحابيش والصقالبة وكساهم بملابس بيضاء وعلق عليها شارات خاصة بهم فكان أول سلطان وضع قاعدة الخدام في الحرمين الشريفين وأوقفت لهم الأوقاف [3] ، وأهم الوظائف التي أسندت اليهم المحافظة على المسجد النبوى نهارا وقفل أبوابه وحراسته ليلا وكذلك تنظيف القناديل ومسحها وتنظيف المسجد وفرش البساط الخاص بالأمراء وايقاد البخور للمسجدين وتطييب الكعبة بالعطور [4] .

ويشبه التكوين الاجتماعى بالمدينة نظيره في مكة من حيث طبقة الأشراف من بنى الحسين بن على علاوة على سكانها الأصليين من الأوس والخزرج ثم قلة من مهاجرى قريش ، إلى جانب المجاورين الذين استوطنوا دار الهجرة

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١١٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٣.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٤.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١١٤

(٣) الأنصارى: تحفة المحبين ص ٥٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٥.

(٤) ابن جبير: الرحلة ص ١٥٣.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٠.
على السلمان: العلاقات الحجازية ص ٢٠٩.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١١٣.

واندمجوا مع السكان الأصليين عن طريق النسب ويشكلون أكبر نسبة في عدد السكان . ومن أشهر هذه العائلات بنى مهى ، وآل الرفاعى ، وآل سفر ، وآل الطيار . ومن هذه الأسر التجار والصناع وطلبة العلم والعلماء الذين جاوروا في المدينة المنورة .

العادات الاجتماعية والدينية

لأهل مكة عادات وتقاليد خاصة بهم في حالات الوفاة والزواج والولادة . ففي الزواج مثلا : اذا رغب فتى الزواج من فتاة ، يتفق أهله مع أهلها على مراسم الزواج وتقام الولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وكذلك تقام الأفراح والولائم يومين قبلها ويوما بعدها [٢] . وفي الوفاة يقيم أهل المتوفى عزاءهم ثلاثة أيام بعد صلاة المغرب يستقبلون المعزين فيها [٣] . أما في حالة الولادة فان المولود يغسل بعد ولادته بأربعين يوما ، إذ ينظفونه ويلبسونه ملابس جديدة بيضاء ولكنها تكون مزركشة بالقصب ويذهبون به ، ويضعونه عند باب الكعبة في مكة . ثم يذهبون به الى المدينة المنورة ويدخلونه الحجرة الشريفة ويغطونه بستارتها ويدعون له بالخير [٤] .

---

(١) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٧١١.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٢.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ٥٤.

(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٦.
العياش: المدينة بين الماضي والحاضر ص ١٨٥.

(٣) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٦.

(٤) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٥.
البتانونى: الرحلة ص ١٦١.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٧.
العياش: المدينة بين الماضي والحاضر ص ١٨٧.

وكان من عاداتهم أن يقدم كل واحد منهم كل سنة كمية من الحنطة كهدية الى الحجرة الشريفة بعد أن تغسل جيدا ثم يضعها في كيس جديد من القماش ، فاذا وصل الباب المؤدى الى الحجرة الشريفة استغاث برسول الله واضعا الكيس بكل أدب . وهذه الأكياس يأخذها خدم الحجرة ، ويقومون بتقديمها الى عظماء المسلمين في فترة الموسم تبركا (١) .

ولأهل المدينة أوقاتهم التى يروحون فيها عن أنفسهم ، فيخرجون للتنزه في يومي الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ، فيذهبون فرادى وجماعات ، ويعودون في المساء . وبعضهم يخرج من أول النهار حاملا زاده معه وهذه النزهة تسمى مقيالا (٢) . بينما يحب المكيون الذهاب الى الطائف لطيب هوائها وكثرة مائها ومزارعها (٣) .

ولقد سبق لنا القول بأن المكيين اشتهروا بتأنقهم في الملبس وكثرت في ملابسهم الألوان الزاهية . أما الأمراء فكانوا يرتدون ملابس مصنوعة من الحرير وموشاه بالذهب والفضة (٤) ومن المفيد أن نذكر أن هذه الملابس التي

---

(١) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٥٠.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ١٦٧.
العياش: المدينة بين الماضي والحاضر ص ٢٠١.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١١.
(٢) العياش: المدينة بين الماضي والحاضر ص ٢٤١.
(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٤.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٤.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١١.
(٤) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٣.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٤.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٢.

كان يرتديها أمراء مكة هي الخلع.المرسلة من الخلفاء الفاطميين لهم ثم صار باقي الأمراء يرتدون هذه الملابس الدالة على الأبهة والعظمة [١] .

أما طبقة العلماء والمجاورين وطلبة العلم فكانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان ويضعون على رءوسهم العمائم ويرتدون الجبة التي تختلف من شخص لآخر حسب ما وصل اليه من درجة علمية [٢] .

ولقد تمتع أهل مكة بفضائل وأفعال جميلة ومكارم وأخلاق حسنة وايثار للضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء، فمن مكارمهم أنه متى صنع أحدهم وليمة يبدأ أولا باطعام الفقراء والمنقطعين المجاورين فيستدعيهم بلطفه ثم يطعمهم [٣] وأكثر المساكين يتجمعون بالأفران حيث يصنع الناس خبزهم فاذا حمل الواحد خبزه تبعه المساكين فيعطى كل واحد ما قسم له حتى لو كان لديه رغيف واحد فانه يعطى ثلثه أو نصفه لطالبه ، ولا يرده خائبا حتى تطيب نفسه من غير ضجر ولا سخط [٤] .

---

(١) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٢٨٤.
ماجد: نظم الفاطميين ص ٩٢ — ٩٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٧.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١٢٢.

(٢) البتانونى: الرحلة ص ٢٦٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٧.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٣.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٦٧.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٧.
الغمرى: مسالك الأبصار جـ ١ ص ١٠٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٦.

(٤) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٨.
ابن جبير: الرحلة ص ٦٩.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٨.

ومن عاداتهم أيضا استعمال الطيب والاكتحال واستعمال السواك بعود من الأراك الأخضر [1] .

الأعياد والاحتفالات الدينية

لم يعرف المجتمع الحجازى سوى الأعياد الرسمية الدينية التي تمثلت في عيدي الفطر والأضحى، فقد اتسم الأول في مكة بتزاور أهلها نهارا ولهوهم ليلا وذلك بألعاب الشطرنج وسباق الخيل ومارسوا العابا أخرى على أصوات المزامير وانشادهم أشعارا في المدح والغزل والهجاء [2] .

أما النساء فيمارسن ألعابهن في فترة عيد الأضحى المبارك وفي يوم عرفات وأيام التشريق لخلو المدن من الرجال في هذه الأيام ولانشغالهم في خدمة حجاج بيت الله الحرام [3] . وفي عيد الفطر يحتفلن في بيوتهن وبخاصة في اليوم

---

(١) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٤٣.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٨.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١٢٣.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٤.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٧.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٨.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٣.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١٢٣.

(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٥.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٨.
السليمان: العلاقات ص ٢١٣.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١١٣.

الرابع منه الذى يعتبر عيد النساء [1] فيتزاورن ويقدمن الحلوى المصنوعة بأيديهن الى بعضهن [2] .

وغدت مكة في عهد الفاطميين تمارس أعيادا مختلفة، اذ اهتم الفاطميون بعيد المولد النبوى الشريف ولقد انتشر الاحتفال بهذا اليوم في الحجاز كما انتشر عيد مولد السيدة فاطمة رضى الله عنها ومولد السيدة خديجة والسيدة آمنة رضى الله عنهما . ،وقد احتفلوا بمولد الامام على كرم الله وجهه ومولد ابنيه الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ واحتفلوا بيوم عاشوراء وآخر أربعاء من شهر صفر [3] .

ومن الواضح أن هذه الأعياد مارسها أبناء خلفاء البيت الفاطمى في مصر وانتقلت الى بلاد الحجاز الذين مارسوها . ويعود سبب ذلك الى أن الحجاز كان خاضعا لسيطرة الفاطميين في هذه الآونة ومع كل فلم يكن أهل الحجاز من الشيعة لذلك لم يحتفلوا بأعيادهم مثل عيد الغدير وعيد النيروز وبعض الأعياد التى كانت موضع اهتمام الشيعة [4] .

---

(١) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٨.
السليمان: العلاقات ص ٢١٣.

(٢) العياش: المدينة بين الماضي والحاضر ص ٢١٧.

(٣) ان ممارسة الحجازيين لمثل هذه الأعياد انتهى بانتهاء العصر الفاطمي ولم يبق منها سوى الاحتفال بعيد المولد النبوى الشريف الذي يتدارسون فيه السيرة النبوية ومناقب الرسول عليه الصلاة والسلام أما باقي أعياد الشيعة فلم تمارس في مكة بالرغم من السيطرة السياسية عليها من قبل خلفاء الدولة الفاطمية.
انظر: الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٨٥ — ٩٠.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٣ — ٢٨.
النهروالي: الأعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٢٢.
ماجد: ظهور الفاطميين في مصر ص ٣٢٥ — ٣٣٠.

(٤) ماجد: ظهور الفاطميين ص ٣٣١.

ومن المحتمل أن تكون هذه الأعياد ممارسة من قبل الشيعة القاطنين ببلاد الحجاز فيما بينهم، ولم تنتشر في بلاد الحجاز انتشارا عاما. وسبب انتشار هذه الأعياد أن أمراء الحجاز هم من أبناء الحسن والحسين لذا فقد ساعدوا على رواج هذه الأعياد[1].

كما أن هناك أعياداً احتفل بها أمراء مكة والمدينة ومنهاالاحتفال بأول يوم من الشهر. اذ يخرج أمير مكة مع كبار رجال الدولة يرتدون الملابس البيضاء ثم يصلون عند مقام ابراهيم ركعتين ثم بعد ذلك يقومون بتقبيل الحجر الأسود ثم بالطواف بالبيت سبعا ثم يرتفع صوت رئيس المؤذنين بأعلى قبة زمزم مرددا عبارات الدعاء للأمير مهنئا اياه بدخول الشهر ثم يرفع صوته بالدعاء مبتدئا بقوله « صبح الله مولانا الأمير بسعادة دائمة ونعمة شاملة » ثم يتابع الدعاء بتبريك الشهر بعبارات مسجوعة مكللة بالدعاء والثناء مختتما قوله بأبيات في مدح الأمير[2]. كما يحتفل في الحجاز بظهور هلال شهر رجب لأن الحجازيين يعتبرونه من الشهور المباركة وهو أحد الأشهر الحرم[3].

---

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٣.
ابن جبير: الرحلة ص ٧١.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٣.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٣.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٧٣.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٤.
الأنصارى: تحفة المحبين ص ٥٨.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٤.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ٥٣.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٢.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٩٨.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٥.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٨.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٨.

ويؤكد لنا ابن جبير[1] أن أهل مكة يعتبرون العمرة في شهر رجب تساوي الوقوف بعرفة لذا فانهم يحتفلون بهذا الشهر احتفالا عظيما ويصف موقف المكيين حينما يدخل عليهم شهر رجب فيقول: كان ذلك في ليلة الخميس. فخرج أهل مكة في تلك الليلة الى التنعيم ميقات المعتمرين وكل يتأنق ويحتفل قدر استطاعته وترى الهوادج تنتشر في بطاح مكة وشعابها وتحتها الأبل قد زينت بأبهى أنواع الزينة وبعد قضاء العمرة يذهب أهل مكة للسعى بين الصفا والمروة، فيزدحم المسعى بالساعيات على هوادجهن والساعين وفي ذلك يتلألأ المسجد الحرام بالأنوار. وعند ثبوت رؤية الهلال لدى الأمير يأمر بضرب الطبول والربادج والأبواق اشعارا بأنها ليلة الموسم[2] وبعد أن ينهوا مشاعر العمرة يخرج أهل مكة في نهار اليوم من شهر رجب يخرج جميعهم حسب مراتبهم حاملين أسلحتهم ممتطين خيولهم ومنهم من يلعب بالأسلحة فيمضون ذلك اليوم فرحا ولعبا ويظهرون فنونا من ألوان الحرب والدفاع عن النفس ولا تزال هذه الألعاب متداولة حتى يخرج الأمير اليهم فيستمرون في اللعب معه ويستمرون في السير معه بالركبان حتى يصلوا الى المسجد الحرام فيطوف الأمير بالكعبة ثم يصلى عند الملتزم ويخرج من باب الصفا الى المسعى ومن المتعارف أن عمرة رجب يمارسها سكان الحجاز عامتهم طوال شهر رجب وتستمر الاحتفالات في مكة بالعمرة في الليل والنهار في هذا الشهر[3].

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٠.
(٢) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٢.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٧.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٩.
البتانونى: الرحلة ص ٢٧٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٩.
(٣) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٢.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦٠.

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر رجب يحتفل أهل الحجاز احتفالا عظيما. ويعتمرون في هذه الليلة، ويسمون العمرة فيها عمرة الأكمة[1] لأنهم يحرمون فيها من أكمة مسجد عائشة رضي الله عنها والأصل في هذه العمرة أنهم يحتفلون ببناء البيت زمن عبدالله بن الزبير[2].

ويقال إن هذه الليلة ليلة الأسراء والمعراج، وبقيت هذه العمرة سنة متبعة عند أهل مكة. وبعض المكيين يذهبون الى المدينة وبعض المدنيين يذهبون الى مكة ويحتفلون ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، يفتح بيت الله الحرام للنساء خاصة فتحتفل نساء مكة في هذا اليوم ويسمون ذلك اليوم يوم الزينة المشهور عند نساء مكة[3] وتعتبر ليلة النصف من شهر شعبان المبارك من الليالى التى يحتفل فيها أهل الحجاز فيتسابقون في هذه الليلة الى أعمال البر والخير كما أن بعض المكيين يذهبون للاعتمار في هذه الليلة، وبعضهم يتجمع في المسجد

---

(١) الأصل في هذه العمرة نسبة الى ان ابن الزبير أكمل بناء الكعبة في هذه الليلة وخرج ماشيا حافيا معتمرا حتى وصل الى الأكمة، والأكمة هي ثنية الحجون الذي دخل منه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما فتح مكة كما أن هذه الليلة هي ليلة الاسراء والمعراج لذا فهم يحتفلون بها.
انظر: الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٨٧.
النهروالي: الأعلام ص ٨٣.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٧٠.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٣.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦١.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٠.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٤.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٧٠.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧٤.
البتانونى: الرحلة ص ٢٦٩.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٢.

الحرام لقراءة القرآن الكريم والطواف والصلاة جماعات وفرادى وفي هذه الليلة يقرءون سورة يسن[1].

وقد استمرت هذه العادة الدينية حتى زمن سلاطين المماليك ويذكر لنا ابن بطوبة[2] أن هذه الليلة من الليالى العظيمة عند أهل مكة اذ يبادرون فيها الى أعمال البر من الطواف والصلاة والاعتمار ويجتمعون في المسجد الحرام على شكل جماعات لكل جماعة امام. ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل. ويقابل ذلك ضوء القمر يتلألأ في الأرض والسماء ويصلون مائة ركعة يقرءون في كل ركعة أم القرآن. وسورة الاخلاص يكررونها عشرا وبعض الناس يصلون في الحِجر منفردين وبعضهم يطوف بالبيت الشريف وبعضهم يخرج للاعتمار.

ومن المعلوم أن سكان الحجاز يحتفلون بهلال شهر رمضان المبارك فيضربون الطبول عند باب أمير مكة ويبدأ الاستعداد للاحتفال في البيت الحرام فتجدد فيه الحصر ويكثرون من ايقاد الشمع والمشاعل حتى يتلألأ المسجد الحرام نورا وتقام فيه صلاة التراويح ومن عاداتهم الافطار في الحرم المكى في شهر رمضان[3].

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٤.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦٥.
العمري: مسالك الأبصار جـ ١ ص ٨٨.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦٦.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤١.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٢.

ويحسن بنا القول أن نذكر بأنه في مطلع القرن السادس الهجرى أقيم في الحرم المكى المقامات الأربعة: الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى. واتخذ كل مذهب من المذاهب ناحية من نواحى المسجد الحرام فالشافعية اتخذت لها الناحية الشرقية من المسجد والاحناف والحنابلة الناحيتين الغربية والشمالية، وأما المالكية فقد اتخذت الركن اليمانى مقرا لها. وبعد ذلك انشئ مقام الزيدية ويقوم كل امام في صلاته بجماعته المعتنقين مذهبه[1].

ويذكر لنا ابن جبير[2] أن عامة الناس بمكة كانوا يعتنقون المذهب الشافعى، أماالأمراء فغالبا اعتنقوا المذهب الحنفى. وكثيرا ماكان يحدث الخلط بينهم فرفع أصوات الأئمة يؤدى الى عدم سماعهم من قبل المصلين وربما يحدث الخلط بين المصلين فيركع المالكي بركوع الشافعي ويسجد الحنفي بسجود الحنبلى وظل الحال على هذا المنوال الى أن صدر أمر السلطان الناصر فرج المملوكى سنة ٨١١ هـ بأن يصلى الشافعي بالجميع[3].

ومن المعلوم احياء الليالى الوتر في العشر الأواخر من رمضان ففي الليلة الحادية والعشرين يختم أبناء مكة القرآن ويحضر هذه الليلة القاضي وجماعة من العلماء وبعد أن يفرغ الصبية من القراءة يقوم بعضهم لالقاء خطبة في الجالسين وعلى والد الصبي أن يقوم بعمل وليمة لهؤلاء الحضور في منزله[3] وفي

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٦.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٨٦.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٧٨.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٢.
(٢) ابن جبير: الرحلة ص ١٠٤ — ١٠٧.
(٣) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٧٠.
(٤) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٧١.

الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان يختم القرآن أيضا من قبل هؤلاء الغلمان ويختار من بينهم غلام ويقوم والده بالاحتفال بالجلوس ويحضر لهم جميع الفواكه الموجودة في البلد رطبة أو مجففة مع القيام بعمل الحلوى المصنوعة بأيديهم ويوقد الشمع ويؤم الطفل المصلين في صلاة التراويح مرتديا أفخر ثيابه مكتحل العينين مخضوب الكفين الى الزندين ويعمل له منبر من الخشب يصعده لتلاوة القرآن، ويقوم المدرس بالقاء خطبة يلهب بها افئدة السامعين لتذكيرهم وحثهم ثم يسكت الخطيب حتى يفرغ الغلام من قراءة القرآن ثم يختم الخطيب خطبته ذاكرا فيها البيت العتيق مذكرا الناس بمآثر البيت مشيرا الى توديع الشهر المبارك والدعاء للخليفة وللأمير[1]. وفي الليلة الخامسة والعشرين يحضرون غلاما يقارب الغلام الأول سنا.ويحضرون الشموع والفواكه الموجودة آنذاك ويزينون الحطيم بقناديل الشمع المختلفة ويُعمل محراب ومنبر من الخشب يحيطونه بالشمع ويحتفل الناس بشهادة هذا المنبر ويعتبر هذا الاحتفال الثالث من العشر الأواخر ويصلى بهم الصبى صلاة التراويح ثم يخرج من محرابه الى المنبر مرتديا أفخر الثياب ويسلم على الحضور ويخطب في الناس بسكينة ووقار خطبة أبلغ من خطبة سابقه وبعد الانتهاء منها توزع الأطعمة على الحضور أو يذهبون الى منزل والد الغلام لتناول الطعام[2].

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٩٠.
ابن جبير: الرحلة ص ١٠٨.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٦٣.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٩٨.
البتانونى: الرحلة ص ٤٢.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٧.
الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٨٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٢.
ابن جبير: الرحلة ص ١٠٩.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٧٤.

ومن أعظم ليالى الوتر عند المكيين ليلة السابع والعشرين من رمضان اذ يحتفلون بهذه الليلة أكثر من احتفالهم بالليالى السابقة، اذ يختم فيها القرآن الكريم ويقام الاحتفال قرب مقام الشافعية وينصب فيه الخشب حتى الحطيم وتبسط الأطباق الصفراء حيث تعلق في الهواء بواسطة سلاسل مربوطة بنصب الخشب وتوقد الشموع وتشعل المصابيح وقناديل الزجاج فيبدو المنظر وكأنه موائد ذات أرجل مشتعلة بالأنوار ويوقدون الشموع أيضا أعلى قبة زمزم[1] ويضعون صبيان مكة على شرفات الحرم. ويضعون في هذه الشرفات المشاعل ويتبارى الأطفال في سرعة إيقاد هذه المشاعل، فيتبادر للناظر أن النار تشب من شرفة الى شرفة لاختفائهم وراء الأضواء ويرفع الأطفال أصواتهم قائلين : يا رب يا رب بصوت واحد[2] فيتقدم القاضى فيصلى بالناس صلاة العشاء قارئا سورة القدر ويكون باقى الأئمة قد ختموا القرآن في الليلة السابقة وتقام الصلاة خلف امام واحد ثم يدعو بهم دعاء ختم القرآن ثم يخطب فيهم خطبة يذكرهم فيها بأهمية ليلة القدر ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة والأمير ويسلم عليهم ويحتفلون بليلة التاسع والعشرين من رمضان بايقاد الشموع والمشاعل ويكثر

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٨٤.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٧.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٦٣.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٩.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٨.
الأنصارى: تحفة المحبين ص ٦٠.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ص ٢٤٤.
البتانونى: الرحلة الحجازية ص ٢٦١.
على السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٢١.

اشعال الشمع في هذه الليلة ثم يجتمع الأئمة الخمسة يتدارسون علوم القرآن ومعهم الصبية يستمعون الى هذه المناظرة[1].

وما كان يحدث في مكة كان يحدث في المدينة المنورة وفي الطائف ونلاحظ أن الحجاز يختلف عن باقى أمصار الدولة الاسلامية في احتفالاته واحيائه وقراءة القرآن[2].

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن شهر شوال يعتبر عند أهل مكة هو أول أشهر الحج المعلومات فيحتفلون بعيد الفطر المبارك.

ومن المعروف أن أيام العيد هى أربعة أيام ثلاثة منها للرجال ويوم للنساء ثم بعدها يستعد سكان مكة لاعمال الحج وما يقدمونه من خدمات للحجاج في أشهر الحج وأمكنة المشاعر وتوفير السكن للحجاج في مكة المكرمة لاستقبال أعظم عيد عند المسلمين وهو عيد الأضحى المبارك الذي يسبقه يوم عرفه فيفد الى مكة لاداء النسك وفود الحجاج من جميع أمصار الدولة الاسلامية لأداء الركن الخامس من أركان الاسلام[3].

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٨.
الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٨١.
ابن جبير: الرحلة ص ١٠٩.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٧٤.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٢.
البتانونى: الرحلة ص ٥٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٤.

(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٣.
العياش: المدينة بين الماضي والحاضر ص ١٥٤.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٦٩.
الطبرى: الأرج المسكى ورقة ٧٨.
الطبرى: القرى لقاصد أم القرى ص ٢٣.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١٧٥.
الجزيرى: درر الفوائد ص ٢٨٦.
ياقاس: بلاد الحجاز ص ١١٨.

الملابس والأطعمة والأشربة

لقد عرف الحجاز في هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث الوانا مختلفة من الألبسة، فقد صنعت ثياب من الحرير والكتان وانواع أخرى من الثياب تتلألأ اذا انعكست عليها أشعة الشمس وأنواع أخرى من العمائم المزركشة بما يشبه القصب وانتشر لباس الجبة(١).

ومن المفيد ذكره أن سيطرة الفاطميين على الحجاز أدى الى انتشارها وأن خِلع الفاطميين التى كان يمنحها الخلفاء للوزراء كانت ترسل من مصر لامراء مكة والمدينة في الأعياد والمناسبات، وهذه الخلع كانت تطعم بالذهب والفضة وتتميز بألوانها الزاهية . كما أن هذه الثياب الموشاة بالطرز الفاطمية انتشرت بين سكان مكة والمدينة(٢) .

ولقد طورها التجار من المكيين بسبب اختلاطهم بتجار الهند فان الطرز أصبحت تختلف عن طراز الفاطميين بما أدخلوه من تغيير من الطرز الهندية. واستمرت هذه الثياب الموشاة طيلة العصر الأيوبى(٣) . أما العلماء وطلبة العلم

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ١٤٩.
ابن بطوطة: الرحلة ص ١١٤.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٦.
البتانونى: الرحلة ص ٢٩.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٥.

(٢) ماجد: نظم الفاطميين جـ ١ ص ١١١.

(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٥.
البتانونى: الرحلة ص ٥٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٤.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٤.
باقاس: بلاد الحجاز ص ١٢٣.

والمجاورون فقد كانوا يرتدون ثيابا وجببا مصنوعة من الكتان وغالبا ما كانوا يرتدون عمائم سوداء [1].

ومن عادة الحجازيين في الطعام والشراب أن يقوموا بتقديم الشاى تحية للقادمين عليهم. كما أنهم يقيمون الحفلات ويتفاخرون بتقديم أصناف الطعام المختلفة في شكلها وطعمها ولقد تنوعت الاطعمة في الحجاز فمنها الهندى والشامى والمصرى والخراسانى وتقدم هذه الأطعمة في الولائم على سمط تمد على الأرض [2].

(١) البتانونى: الرحلة ص ٥١.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٥.
باقاس: بلاد الحجاز ص ١٢٤.

(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٦.
البتانونى: الرحلة ص ٥٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٣٥.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٥.
باقاس: بلاد الحجاز ص ١٢٤.

المنشآت الاجتماعية بمكة والمدينة

المنشآت الاجتماعية بمكة :

تتمثل هذه المنشآت في حفر الآبار وبناء العيون والأربطة واقامة السبل وانشاء البرك وهذه المنشآت هى :

الآبـــار :

بئر زمزم : كان العرب في الجاهلية يتبركون بمياه زمزم واستمر ذلك على مر العصور منذ زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، ولا ريب في ذلك فماء زمزم من المياه المباركة المفيدة للانسان الدواء الشافي لما يشكون منه من أمراض[1] ولقد قام بأمر سقاية الحجاج من مياه زمزم في العصر الجاهلى العباس بن عبدالمطلب ثم أقر هذا العمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وقد استمر عمل السقاية في البيت العباسى حتى زوال الخلافة الأموية ثم استمرت بعد ذلك في عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور سنة ١٣٨ هـ الى آل الزبير بن العوام[2] واستمر أمر السقاية حتى الوقت الحاضر على أيدى هذه الأسرة التي لم تهمل خدمتها بل قامت بخدمات كثيرة إذ أمر

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ ص ٥٣.
الطبرى: القِرى لقاصد أم القرى ص ٤٤٣.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ص ٥٨.

(٢) تولت أسرة الزبير بن العوام أمر السقاية بأمر من الخليفة العباسي أبى جعفر المنصور وكانوا يتولون أمر التوقيت للآذان في مكة، لذا أطلق عليهم بيت الريس نسبة الى رئاستهم للتوقيت.
انظر: الأزرقي: أخبار مكة، جـ ٢ ص ٥٥.
الفاكهى: المنتقى ص ٨٣.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٤٣.

الخليفة أبو العباس السفاح ببناء حجرة بجوار زمزم لمن يتولى أمر السقاية منها[1] ولقد أقيمت على بئر زمزم قبة عام ١٣٨ هـ مع زيادة عدد البرك داخل الحرم وذلك تسهيلا لسقاية الحجاج وتجنبا لازدحامهم على حوض واحد وفي سنة ١٧٣هـ أقيمت مظلة المؤذنين فوق بئر زمزم بجوار القبة التي شيدت سابقا وزيد عدد البرك أيضا وذلك في عهد هارون الرشيد من أجل السقاية، وأحضر خمسين من الغلمان الخراسانيين في نفس السنة لسقاية الحجاج من ماء زمزم فيما بين الصفا والمروة[2] كذلك بنيت قنوات بأمر الخليفة المعتصم عام ٢٢٠ هـ وذلك لايصال ماء زمزم بالبرك الكائنة بالمسجد، ولقد هفت نفسه الى نقش جدران حجرة السقاية بالفسيفساء ووضع الرخام في أرض زمزم والشباك الحديدى فوقها ثم أصلحت البرك التى تصدعت داخل الحرم في عهد الخليفة المتوكل على الله وذلك في عام ٢٤٠ هـ وجددت مظلة المؤذنين فوقها[3] .

وفي عهد المهتدى بالله جدد بناء البرك داخل الحرم وبنى باب حديدى على زمزم يغلق ليلا بعد صلاة العشاء ويفتح مع صلاة الفجر وتم هذا في عام ٢٥٦ هـ[4].

وبعد هذه الفترة الزمنية لم تذكر لنا المصادر التاريخية خدمات أو اصلاحات سوى ما قدمه الخلفاء والأمراء من أعطيات لمن يتولى السقاية بمكة المكرمة .

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ ص ١٠٧.
(٢) المصدر السابق: جـ ٢ ص ١١٠.
(٣) الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ ص ١١٢.
الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ١٧٠.
(٤) الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ١٧٣.

الآبار في مكـــة :

١) بئر العجول :

حفرها كلاب بن مرة وجعلها لسقاية الناس وتقع هذه البئر عند باب الوداع في دار أم هانئ ولهذه البئر أهميتها بالنسبة للحجاج حيث يتزودون منها بالماء حينما يدخلون مكة[١] .

٢) بئر بنـــر :

تقع في أعلى مكة حفرها قصى بن كلاب وجدد بناءها جبير بن مطعم بن عدى بعد أن طمرت وهذه البئر ظل يستقى الناس منها حتى زمن المماليك[٢] .

٣) بئر بــذر :

حفرها هاشم بن عبد مناف واختلف المؤرخون حول من قام بحفرها فيقول ياقوت : ان الذي حفرها هو عبدالدار[٣] ويروى البلاذرى أن الذي حفرها هو قصى بن كلاب[٤] بينما يذكر الأزرقي أن الذي حفرها عبدالمطلب بن هاشم وهو أرجح الآراء وأصطلح على تسميتها أخيرا باسم بئر الحمام[٥] .

---

(١) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٥.
(٢) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٦.
الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٦٨.
البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٧.
(٣) ياقوت : المعجم جـ ٣ ص ٣١٨.
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٨.
(٥) الأزرقي : أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٧.

٤) بئر سجلة أو بئر بنى نوفل :

وتقع بين الصفا والمروة وقد أعطاهما عبدالمطلب لمطعم بن عدى لانشغاله بسقاية الحجاج من بئر زمزم[١].

٥) بئر طــوى :

تشتهر بعذوبة مائها وخصصت لسقاية الحجاج وسكان مكة لوقوعها في مدخلها وقد حفرها عبد شمس بن عبد مناف[٢].

٦) بئر خم ورم :

حفرتا أيضا بواسطة عبد شمس وجعلها لسقيا أهل مكة والحجاج وحفرهما بعد أن انتاب مكة عصر الجفاف[٣].

٧) بئر الجفر :

حفرها أمية بن عبد شمس لسقاية أهل مكة وتقع بطرف أجياد قرب البيمارستان المستنصرى وحينما تعطلت هذه البئر سنة **٦٣٣** هـ أمر الخليفة العباسى باصلاحها[٤].

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٧.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٦٨.

(٢) هذه البئر موجودة حتى الوقت الحاضر يقصدها الحجاج ويتوضأون بمائها من أجل التبرك بها وهي ضمن أوقاف عائلة السيد فضل عقيل وهم من أبناء الحسين بن علي رضي الله عنه.
انظر البلاذرى: فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٨.

(٣) الأزرقى: أخبار مكة جـ ٢ ص ٢١٩.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٧٤.

٨) بئر السنبلـــة :

تشتهر بعذوبة مائها وتقع بأسفل مكة وسميت ببئر النبي — صلى الله عليه وسلم — وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم — بصق فيها حتى اصطلح على تسميتها أخيرا ببئر التفلة[١].

٩) بئر السيرة :

كان يشرب منها سكان مكة لغزارة مائها بعد سقوط الأمطار[٢].

ومن المفيد أن نذكر أن هذه الآبار قد حفرت في العصر الجاهلي ولما تم للرسول — صلى الله عليه وسلم — فتح مكة اصلح هذه الآبار وجدد بعضها واشرف على اصلاحها عتاب بن اسيد والى مكة. واهتم الخلفاء الراشدون والأمويون الذين ساروا على نهجهم بتوفير المياه واصلاح الآبار[١].

ومع بداية مطلع القرن الخامس الهجرى نشطت بناء الأربطة في مكة بواسطة التجار والأمراء الذين اهتموا ببنائها وحفر الآبار بداخلها لتوفير المياه لسكانها حتى أننا نجد في شرط الوقفية ذكر لكلمة سبل التي يذكرها المؤرخون في شرط وقفية الرباط أو المدرسة. وفي هذا دلالة واضحة على استمرار حفر الآبار في بعض هذه الأربطة.

---

(١) البلاذرى: فتوح البلدان جـ ١ ص ٥٩.
(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٧٤.
(٣) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٥٣.

عين شعب الأرين: أمر الخليفة معاوية بن أبى سفيان واليه على مكة عام ٤٣ هـ باجراء عين تستمد ماءها من عين قديمة بشعب الأرين ومد قنوات منها لايصال مائها الى المساكن المجاورة للحرم حتى لا يعانى الحجاج صعوبة في حصولهم على الماء[١].

ويعتبر هذا الصنيع من حسنات معاوية التى قدمها لسكان مكة.

عـين الرشـا :

أجريت في عهد هارون الرشيد وتقع في أعلى مكة داخل شعب الخرمانية. وقد أمر الخليفة بايصال قنوات من هذه العين الى قنوات معاوية[٢].

وقد استفاد سكان مكة والحجاج معا من هذه العيون، ومما تجدر الاشارة اليه أن الخليفة هارون الرشيد قد دفع أموالا لأصحاب عين الرشا لشرائها منهم ليستفيد أهل مكة وحجاجها من مائها[٣]، ويعتبر هذا من أهم الخدمات التى قدمها الرشيد لسكان مكة والوافدين اليها.

عين حنـين :

بعد أن تعرضت الآبار المحيطة بمكة لموسم الجفاف استغل أهل مكة الموقف لصالحهم وبدأوا في احضار المياه من خارج مكة وبيعها للحجاج حتى بيعت

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة جـ ١ ص ٢٢٥.
الفاكهى: المنتقى ص ٦٠.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٦.
(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٧.
(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ص ٣٤٧.
الفاكهي: المنتقى ص ٦٦.

الراوية بعشرة دراهم[1] ، وفي هذه السنة **١٩٣** هـ حجت السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وشاهدت معاناة الحجاج في الحصول على الماء فأمرت والى مكة بدراسة مصادر المياه وكيفية وصولها الى مكة وبعد أن أجريت هذه الدراسة تبين أنه لا يمكن دخول ماء الحل الى الحرم بسبب صعوبة جغرافية مكة وبخاصة المنطقة المحيطة بالحرم، لذا رأى والى مكة والصناع زيادة حفر الآبار داخل الحرم ولم تقتنع السيدة زبيدة بهذه الدراسة فأوفدت من بغداد المهندسين والصناع وألزمتهم بضرورة ايصال مياه عيون الحل الى داخل الحرم، وأظهرت الدراسة أن هناك عيونا خارج الحرم منها عين حنين، وعين وادى النعمان يمكن الاستفادة منهما في سقاية أهل مكة وأمكنة المشاعر[2].

فأمرت السيدة زبيدة ببناء قناة يجرى فيها الماء مخترقة الجبال والسهول وأقامت على قمم الجبال بركا مختلفة لاستقبال مياه الأمطار وايصالها بالقناة الرئيسية لمجرى العين حتى كثرت المياه ولم يعد للناس شكوى من نقص الماء وبنت السيدة زبيدة البرك المختلفة على امتداد مجرى القناة حتى وصل الماء الى الحرم بالاضافة الى بناء الباذانات في كل حى من أحياء مكة من أعلاها حتى الحرم[3].

ولقد أنفقت السيدة زبيدة في سبيل ذلك أموالا طائلة وأوصلت بعض الآبار القديمة التى تقع في طريق مجرى القناة الرئيسية واشترت عيونا كثيرة مثل

---

(١) الأزرقى: أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٢٧.
الفاكهى: المنتقى ص ٦٧.
(٢) المسعودي: مروج الذهب جـ ٤ ص ٤٢٢.
الفاكهي: المنتقى ص ٧٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٧.
عبدالقادر ملا قلندر: الخلاصة المفيدة ص ٨.
(٣) الفاكهى: المنتقى ص ٧٢.
ملا قلندر: الخلاصة المفيدة من ص ١٠ — ١٢.

عين ميمونة، وعين الصرفة، وعين ثقبة، وعين الخريبات وأوصلتها جميعا في قناة واحدة بعين حنين وأمرت بعمل البرك حول الحرم[1]، ومن المفيد أن نذكر في هذا المقام أن توفير المياه في مكة المكرمة يعتبر من أهم الخدمات التي قدمتها السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وهذا المشروع لا زال باقيا حتى الوقت الحاضر يحمل اسمها على مر العصور التاريخية[2]، كما أن الدراسة الحديثة عن توفير المياه في مكة لم تتوصل لمعرفة مصدر جديد للحياة سوى اضافة عيون لهذه العين التي اعتمد عليها مشروع السيدة زبيدة.

وفي سنة ٢٥١ هـ تعطلت مياه عين حنين في احدى بركها، فأخبر والى مكة الخليفة المعتز بن المتوكل العباسى بهذا الخراب الذي حدث لهذه العين فأرسل له أموالا لاصلاحها فتم اصلاحها وأضيف اليها عدة آبار لتغذية المجرى الأساسى للعين[3] حتى زاد منسوب الماء وفي سنة ٢٧٠ هـ تعطلت بعض الباذانات في مكة بسبب دخول الأتربة الى المجرى الأصلى للعين مما أدى الى تصدع القناة الأساسية لمجرى العين فأرسل والى مكة الى الخليفة العباسى المعتمد بالله يخبره بما حدث للعين من خراب فأرسل الخليفة اليه الأموال لاصلاح القناة التي تعطلت والباذانات وأمره بتعيين رجال لحراسة قناة ماء العين والاشراف على نظافتها من ترسب الأتربة في قناتها فقام والى مكة بتعيين

---

(١) ملا قلندر: الخلاصة المفيدة ص ١٥.
محمد رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ص ٢١١.
محمد أنور شكرى: لوحان أثريان ص ٤٠.
(٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٧ ص ١٧٨.
ابن الفلاح الحنبلى: شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٨٢.
الفاكهى: المنتقى ص ٧٦.
(٣) الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٥٨.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٢.

الحراس وأشخاص يهتمون بتنظيف مجرى القناة من الأتربة ولأخبار والى مكة لو حدث خراب في العين [1].

ومن المعلوم أن أمكنة المشاعر كانت تتزود بمياه الآبار، ففي عرفة أربعة آبار [2] وفي المزدلفة مثلها [3] وبمنى خمسة عشر بئراً وهذه الابار منها ما حفر بأمر من الخلفاء الراشدين ومنها ما حفر بأمر من خلفاء الدولة الأموية، ومنها ما حفر بأمر من خلفاء الدولة العباسية الأوائل [4].

وفي سنة ١٩٢ هـ نقصت مياه الآبار في أمكنة المشاعر وأصاب الحجاج عطش شديد حتى بلغت راوية الماء عشرة دراهم وعلمت السيدة زبيدة بما عاناه الحجاج وقد سبقت الاشارة لما قامت به السيدة زبيدة في هذا المجال آنفا وتبعا لذلك مدت عين وادى النعمان الى أمكنة المشاعر وبنيت القنوات من هذا الوادى حتى جبل الرحمة في عرفة في جوف الأرض، وبنيت لها برك في غرفة لتصب قناة العين فيها ثم تسير هذه القناة مع سفوح الجبال الممتدة حتى مزدلفة في قناة محكمة حتى تصل الى المفجر قرب منى وتنتهى هذه القناة عند بئر زبيدة لتصب فيه لسقاية الحجاج في أيام منى [5].

(١) الصباغ: تحصيل المرام ورقة ٢٣٢.
الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ ص ٢٣١.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١١.
ملا قلندر: الأحوال المفيدة ص ١٦.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة جـ ٢ص ٢٣١.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٥.

(٣) الأزرقى: اخبار مكة جـ ٢ ص ٢٣١.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٤.

(٤) ملا قلندر: الخلاصة المفيدة ص ٢٠.

(٥) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٧.
الفاكهى: المنتقى ص ٨٩.
ملا قلندر: الخلاصة المفيدة في أحوال عين زبيدة ص ١٣.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٣.
محمد شكرى: لوحان أثريان ص ٨.

ومن المفيد أن نذكر أن بناء هذه القناة يعبر عما وصل اليه الفن المعمارى الهندسى في تلك الحقبة الزمنية اذ أن القناة لا تسير في خط واحد داخل الأرض بل في تعاريج اقتضتها طبيعة الأرض اذ أن انحدار الماء داخل القناة كان انحدارا تدريجيا.

لم يستطع هؤلاء الصناع أن يوصلوا هذه العين الى مكة لصعوبة المنطقة ووعورتها، فاكتفوابأن تكون عين وادى النعمان لسقيا أمكنة المشاعر ثم بنى فيما بين عرفة ومزدلفة ومنى خمس وعشرون خرزة لسقيا الحجاج في موسم الحج [1].

ولم تتحدث المصادر التاريخية عن أى اصلاحات حدثت لهذه العين سوى ما نشره ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين عن أربعة نقوش أثرية ثلاثة منها تشير الى اصلاح عين عرفة والمصانع التي بها في عهد الخليفة العباسى أحمد الناصر لدين الله والنقش الرابع يشير الى اصلاح هذه العين في عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور المستنصر بالله، ولقد نقلت هذه اللوحات الى مصلحة الآثار العامة بالمملكة العربية السعودية وماجمعته هذه المصلحة من نقوش وآثار مختلفة لم تتم دراسته بعد، وسأكتفى بما أورده ابراهيم رفعت في كتابه واليك نص النقش الأول :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى امام الله ظل مولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره، أمر الامام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل سنة ٥٠٠ هـ لأبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله ببقائه الاسلام » .

---

(١) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٥.
ملا قلندر: الخلاصة المفيدة ص ١٥.
محمد شكرى: لوحان أثريان ص ١٩.

ولدينا عدة ملاحظات على هذا النقش :

أولا : أنه ذكر اسم خليفتين هما الناصر لدين الله والمستنصر بالله وهذان الخليفتان لم يكونا في هذه الحقبة الزمنية، وأن زمن خلافة الخليفة الناصر لدين الله تنحصر في الفترة من **٥٧٥** هـ الى **٦٢٢** هـ[١].

ثانيا : ان الأمير نصير الدين صاحب اربل كان متوليا اتابكيه اربل في الفترة من **٥٦٣** هـ حتى ٥٨٦ هـ [٢] وهذا أيضا يختلف مع ذكره عن تاريخ اصلاح العين كما ورد بالنقش، وخلاصة القول أن هناك خطأ في تحديد تاريخ الاصلاح المذكور بالنقش فالمرجع الذي أورد هذا النقش ذكر التاريخ بالأرقام في حين أن العادة جرت في كتابة مثل هذه التواريخ بالحروف وليست بالأرقام، ويبدو أن ابراهيم رفعت لم يحاول التحقيق في صحة هذه التواريخ وربما يعود ذلك الى عدم تخصصه أو أن عوامل التعرية قد أثرت بشكل أو بآخر على هذا النقش من مصلحة الآثار فلم أستطع ولم تتح لنا الفرصة من أجل التحقيق التاريخى.

ويستدل من النقش الثاني على عمارة عين عرفة والمصانع والبرك بأمر الخليفة العباسى الناصر لدين الله سنة **٥٨٤** هـ ونصه كالتالى:

« بسم الله الرحمن الرحيم: أمر سيدنا ومولانا الامام خليفة الله على كافة أهل الاسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام، أجزل الله ثوابه

---

(١) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة جـ ١ ص ١٣، جـ ٢ ص ٣٤٩.

(٢) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الاسلامية، جـ ٢ ص ٣٤٠.

آمين، وذلك على يد الأمير الاصفهيتلار[1] والكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاشتكين نصر أمير المؤمنين آدام الله توفيقه، وذلك في سنة أربع وثمانين وخمسمائة »[2].

وأما النقش الثالث فيشيرالى عمارة عين عرفة في سنة ٥٩٤ هـ بأمر من الخليفة العباسى الناصر لدين الله واليك نص النقش الثالث :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التي بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلّغه سؤله ومناه وأمله ومبتغاه في سلالته الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الأصفهتيلار[3] الكبير مظفر الدين بكيرى[4] ابن علي صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطانه وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٩٤ هـ تقبل عن يد عبدالرحمن بن أبى جرمى[5] عفا الله عنه[6] » .

---

(١) الاصفهتيلار وصحته الاسفهسلار وهو لفظ فارسي تركي. الكلمة الأولى أسفه فارسية وتعني المقدم والثانية سلار تركية وتعني العسكر فيصبح معنى اللقب مجموعا مقدم العسكر وكان هذا اللفظ مستعملا في الدولة الفارسية ومنها انتقل الى بغداد حتى عصر الاتابكه.
حسن الباشا: الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق ص ١٥٧.

(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٥.

(٣) هكذا مذكور في النص. انظر حاشية (١) في الصفحة السابقة.

(٤) وصحة الاسم مظفر الدين كوكبرى بن الأمير زين الدين أبى الحسن على كجك بن بكتكين. ولد سنة ٥٤٩ هـ في الموصل أما كوكبرى التي ذكرها ابراهيم رفعت (بكيرى) فصحتها كوكبرى أو كوكبورى وهي مكونة من لفظين (كوك) وهو تركي بمعنى أزرق و (برى) ويعنى ذئب والاسم مجتمع يعنى ذئب أزرق.
انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢٧٧.
محسن محمد حسين: اربل في عهد الاتابكه ص ١٨٧.

(٥) ويبدو أن عبدالرحمن بن أبى جرمى هو الذي أشرف على اصلاح العين لذلك ورد اسمه في النقش الأخير.

(٦) انظر: ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٥.

ولقد تعطلت عين عرفة مدة عشرين عاما، لذا فان الخليفة العباسى المستنصر بالله أمر باصلاح العين والبرك التي تعطلت بسبب الخراب الذي حدث لها واليك نص النقش :

« بسم الله الرحمن الرحيم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) شرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهى بهم الملائكة صلى الله تعالى ورجاء عفوه (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) بالاربل [1] الأشرف النبوى الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شرفا، وقد شاده جلال المطوع [2] بعمارة عين عرفة والبرك التي بها ملتفة بعد عطلها خرابا عشرين سنة، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عبدالخلافة [3] المعظم محيي الامامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الامام الأغر أبو الفضائل والمكارم أمثال الخاص النبوى المستنصرى خاص أمير المؤمنين [4]، مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبدالله خليفة الله في أرضه المستنصر ابدا بالله أمير المؤمنين » .

---

(١) يبدو أن النقش أورد كلمة الاربل وكان يقصد بها الاربيل وهي المدينة التي كان يتولى حكمها مظفر الدين كوكبرى، أما صاحب تاريخ أربل في عهد الاتابكة فكان يذكر كلمة اربل ويقصد بها مظفر الدين حاكم اتابكيه اربل.
انظر: حسن الباشا: الالقاب الاسلامية ص ١٥٨.

(٢) جلال المطوع هو الذي اشرف على عين عرفة بأمر من صاحب اتابكين اربل.
محسن محمد حسين: اربل في عهد الاتابكه ص ١٨٩.

(٣) أورد هذا اللقب ابن خلكان في كتابه وهو من ألقاب الأمير مظفر الدين انظر ابن خلكان: ج ١ ص ٨٧.

(٤) أورد هذا اللقب صاحب كتاب (النوادر السلطانية) ص ١٠٥.

الأربطـــة في مكـــة

من المعلوم أن بداية بناء الأربطة في مكة بدأ منذ مطلع القرن الخامس الهجرى. ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن الأربطة اقيمت في مكة قبل هذا التاريخ. ويعود السبب في ذلك الى كثرة الوافدين الى مكة لاقامتهم من أجل طلب العلم والبعد عن العواصم الاسلامية التى كانت ترزح بكثرة الفتن التي انتابت هذه الحقبة الزمنية[1].

والأربطة التي ذكرتها المصادر هي :

١) رباط الســارة :

أوقف هذا الرباط سنة ٤٠٠ هـ، كما يذكر الفاسى. وأن هذا الرباط يقع عند باب السلام، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سوى شرط واحد لوقفية هذا الرباط وهو أن يكون سكنا للمنقطعين. وهو أول رباط أنشئ في مكة[2].

٢) رباط دار الخيزران :

ويقع هذا الرباط قرب الصفا[3]. ويذكر الفاكهى في كتابه ان دار الخيزران أوقف على أن يكون رباطا للمنقطعين والغرباء سنة ٤٠٢ هـ[4]. ويقول النهروانى إن الذي أوقف هذا الرباط والى مكة. وأنه جعل في شرط وقفيته أن يكون سكنا لاقامة الحجاج في فترة الموسم[5].

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٩.
المقريزى: الخطط جـ ١ ص ١٢٨.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠.

(٤) الفاكهى: المنتقى ص ٨٤.

(٥) النهروالي: الأعلام ص ٩٨.

٣) رباط الفقاعية :

أوقفت هذا الرباط والدة الخليفة العباسى المقتدى بالله على النساء المنقطعات الأعجميات وأن تاريخ وقفيته سنة ٤٩٢ هـ[١].

٤) رباط القزوينى :

اوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ، ويقع قرب المسجد الحرام[٢]، ويذكر لنا الفاكهى[٣] والفاسى انه لم يعرف من الذي اوقفه وان شرط وقفيته على جميع الرجال الغرباء المقيمين في مكة من سائر أنحاء العراق. واشتهر هذا الرباط باسم رباط القزوينى، لأن حجاج قزوين كانوا ينزلون في هذا الرباط فترة الموسم[٤].

٥) رباط الدمشقية :

انشأه تجار مدينة دمشق، وسمى رباط الدمشقية نسبة الى مدينة دمشق حاضرة الشام، واوقف هذا الرباط سنة ٥٢٩ هـ. وشرط وقفيته على الفقراء من أهل الشام والعراق العلماء منهم والمجاورين في مكة والحجاج[٥].

---

(١) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣١.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٧٨.
(٢) الصباغ: تحصيل المرام ورقة ١٦٣.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣١.
(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٣.
الفاكهى: المنتقى ص ٨٥.
(٤) باقازى: بلاد الحجاز ص ١٢٨.
(٥) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣١.
النهروالى: الاعلام ص ٩٨.

٦) رباط الزرندى :

أوقف الشيخ نجيب الدين أبو الحسن محمد من أهل زرنده[١] رباطا جعل شرط وقفيته أن يكون سكنا للغرباء من أهل زرندة وساوة [٢] المقيمين في مكة وللحجاج القادمين من بلاد فارس لهم حق الاقامة فيه في فترة الموسم[٣].

٧) رباط المغاربة :

في سنة ٥٦٢ هـ ، أوقف مجموعة من تجار بلاد المغرب رباطا في مكة [٤]. ويقول الفاكهى [٥] ان هذا الرباط يقع عند باب العمرة. بناه تجار المغرب لكى يكون سكنا للمقيمين في مكة من طلبة العلم للرجال دون النساء، وان يسمح للحجاج بالسكن في هذا الرباط فترة الموسم. ويذكر لنا أحد المعمرين في مكة أن هذا الرباط كان موجودا عند باب العمرة أحد أبواب الحرم الشريف. وقد ازيل في التوسعة الأخيرة التي قام بها جلالة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٧٥ هـ .

٨) رباط الحضارمة :

أسس هذا الرباط سنة ٥٧٠ هـ. ويقع في منطقة اجياد [٦]. والذين بنوه تجار من مدينة حضرموت، وان شرط وقفيته على طلبة العلم المقيمين في مكة،

---

(١) زرنده بلدة تقع بين اصفهان وساوه وهي مدينة قديمة وكبيرة وهي من أهم مدن كرمان. انظر: ياقوت معجم جـ ٣ ص ١٣٨.

(٢) ساوه: بلدة تقع بين الرى وهمذان. انظر: ياقوت، معجم جـ ٣ ص ١٧٩.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣١.

(٤) الفاسي: العقد الثمين جـ ٣ ص ٧٦.

(٥) الفاكهى: المنتقى ص ٨٩.

(٦) الفاسي: العقد الثمين جـ ٣ ص ٧٠.

وان يكون سكنا للحجاج القادمين من حضرموت في فترة الموسم [1]. وان هذا الرباط لا زال موجودا حتى الوقت الحاضر. وقد جدد بناؤه في العصر الحديث .

٩) رباط المراغي :

اوقف هذا الرباط قاضي القضاة أبو بكر محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم المراغي سنة ٥٧٥ هـ. ويقع هذا الرباط عند باب الجنائز [2]. وان شرط وقفيته أن يكون مقصورا على الصوفية من الرجال الزهاد من العرب والعجم الذين يقيمون في مكة [3]

١٠) رباط البخارية :

اوقف هذا الرباط سنة ٥٧٦ هـ مجموعة من تجار مدينة بخارى . ويقع هذا الرباط في منطقة السوق الصغير بمكة المكرمة. وجعلوا شرط وقفيته أن يكون سكنا للحجاج من بلاد بخارى. وأن يسكنه الفقراء المقيمون في مكة طوال السنة ما عدا موسم الحج [4].

ولتجار بلاد بخارى عدة أربطة أكثرها في أسفل مكة [5] وغالبا لا يعرف تاريخ وقفيتها ومن الذي أوقفها، ولا يزال موجودا فيها حتى اليوم خمسة أربطة.

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤١.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٦٦.
الفاكهي: المنتقى ص ٩١.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٦٨.

(٣) الفاكهي: المنتقى ص ٩٢.

(٤) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤١.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣١.

(٥) يسمى هذا الحي الواقع جنوب مكة باسم حي المسفلة نسبة الى اسفل مكة.
انظر: ياقوت، معجم جـ ٤ ص ٨٠.

١١) رباط الخاتون :

أوقفت الشريفة فاطمة الخاتون [١] رباطا سمي بلقبها سنة **٥٧٦** هـ. وعرف فيما بعد برباط ابن محمود لأن المشرف على هذا الرباط كان اسمه ابن محمود ويقع هذا الرباط عند باب العمرة [٢]. وأن شرط وقفيته على الصوفية الرجال من العرب والعجم [٣].

١٢) رباط قايماز :

نسبة الى الأمير قايماز بن عبدالله بن قلج بن ارسلان الشامي السلجوقي من أمراء سلاجقة الروم والأرمن. اوقفه على المجاورين المقيمين في مكة من الأحناف في سنة ٥٧٨ هـ. وعلى أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم [٤].

١٣) رباط الزنجبيلي :

في سنة **٥٧٩** هـ بنى عثمان بن على الزنجبيلي نائب أمير عدن امام مدرسته في مكة عند باب العمرة رباطا أوقفه على طوب المدرسة وعلى الاحناف المقيمين في مكة [٥].

---

(١) الشريفة فاطمة بنت الشريف محمد الحسنى محمد بن سليمان وكانت تلقب بالخاتون.
انظر: الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣١.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ، ورقة ٢٤٢.
الفاسى: تحصيل المرام، ورقة ٦٦.
الفاسى: شفاء الغرام، جـ ١ ، ص ٣٣١

(٣) الفاكهى: المنتقى ص ٩٤.

(٤) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٤٤١.
الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٦٥.

(٥) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٢.
أبو شامه: الروضتين جـ ٢ ص ٢٦.
ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٩١.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٢.

١٤) رباط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أوقف هذا الرباط سنة ٦٠٤ هـ. ويقع في السوق الصغير ويعرف برباط المغاربة نسبة لأنه يقع في زقاق المغاربة[١] . وسمى بهذا الاسم لأنه يقع في دار عثمان وأنه موجود حتى وقتنا الحاضر. وقد جُدد بناؤه في العصر الحديث ، وعليه نقش يقرأ على هذا النحو :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله .

(٢) هذا ما وقف وحبس وسبل[٢] وتصدق به القاضى الفقيه الموفق المكين الأمين جمال الدين[٣] .

(٣) ولى أمير المؤمنين أبو الحسن على بن القاضى السعيد الايمن أبى القاسم عبدالوهاب ابن الشيخ أبى عبدالله بن محمد.

(٤) ابن أبى الفرح العدل بالأعمال المصرية رضى الله عنه، وقف وحبس وسبل وتصدق بجميع هذا الرباط .

(٥) على فقراء المغرب الغرباء المتعبدين ذوى الحاجات المجردين ليس للمتأهلين في حظ ولا نصيب .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٦.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٧ ص ٢٠٥.

(٢) سبل والمقصود بكلمة سبل نسبة الى السبيل والسبيل عبارة عن مياه الشرب التي تقدم سبيلا للناس. والغرض من كلمة سبل لوجود بئر في داخل الرباط وجعله سبيلا لكى يرتاده الناس للشرب.

(٣) هو القاضي أبو الحسن على بن عبدالوهاب بن محمد بن ابى الفتوح الاسكندرى، انظر هذا النسب الذي ذكره ابن فهد.
انظر: ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٧.

(٦) تقبل الله ذلك منه وأثابه عليه بالاحسان وقف ذلك وحبسه بجميع حقوقه وقفا صحيحا.

(٧) «   »[1] فمن غير ذلك فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين وجرى ذلك في سنة أربع وستمائة .

فان هذا الرباط لم تذكره المصادر التاريخية المعاصرة لهذه الحقبة الزمنية. وان هذا النقش يوضح لنا تاريخ تأسيس هذا الرباط وان الذي بناه هو أحد قضاة مصر جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى أبى القاسم عبدالوهاب بن الشيخ ابى عبدالله محمد بن أبى الفرح، وانه أوقفه وتصدق به على الفقراء المغاربة الغرباء، المنقطعين في مكة للعبادة.

ويبدو أن هذا القاضى المصرى يرجع الى أصل مغربي لأنه أوقف هذا الرباط على المغاربة. وقد عاينت هذا الرباط من الداخل والخارج ووجدت في داخله بئرا لا يزال باقيا حتى الآن غير أنه لم يعد مستعملا منذ عهد قريب. والسبب يعود الى توفر المياه الصحية في مكة المكرمة. ووجود هذا البئر يوضح كلمة سبل التي وردت في السطرين الثاني والرابع من هذا النقش. ولا يزال فقراء المغاربة يسكنون في هذا الرباط .

١٥) رباط الشرابى :

بنى الأمير شرف الدين الشرابى وزير المستنصر العباسى في سنة ٦٤١ هـ رباطا أمام المدرسة التي بناها عند باب السلام في مكة[2]. وأن شرط وقفية

---

(١) لم أستطع قراءة هذه الكلمات الموجودة في بداية السطر السابع من هذا النقش.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٣.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٣ ص ٣٣٨.

هذا الرباط على طلبة هذه المدرسة، وأن هذا الرباط مكون من طابقين، يسكن الطابق العلوى الطلبة. والطابق السفلى يسكنه المدرسون والمسئولون عن تنظيف المدرسة والرباط [١].

كذلك بنى بيمارستان عرف بالمستنصرى عام ٦٤٨ هـ في مكة لمعالجة مرضى الرجال والنساء. ولقد أمر بانشائه الخليفة العباسى المستنصر بالله عند مدخل شعب أجياد [٢]، وهو عبارة عن مبنين أحدهما خاص بالنساء وثانيهما خاص بالرجال. وكل مبنى مكون من طابقين. وامام كل طابق روقه خاصة به وبينهما فناء به بئر خصص لسقيا من يسكن هذا البيمارستان من المرضى والخدم والأطباء [٣].

السبـل والبرك :

نظرا لضرورة توفر المياه في مكة فقد اهتم بعض الخلفاء والأمراء والسلاطين وعامة الناس بانشاء السبل والسبل عبارة عن خزانات صغيرة تبنى فوق سطح الأرض وتملأ بالمياه لسقيا الناس في غدوهم ورواحهم بها. ومن أهم هذه السبل التى تذكرها لنا المصادر التاريخية هو سبيل الجوخى [٤].

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٥.
الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ٣٣٩.
النهروالى: الاعلام ص ٩٨.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٢١.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٢١.
النهروالى: الاعلام ص ٩٩.
(٤) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
النهروالى: الاعلام ص ١٠٠.

ويقول الفاسى: ان الذي أمر ببنائه هو الخليفة المقتدر بالله العباسى. وأمر بحفر بئر خلف هذا السبيل، ليتزود منه السبيل بماء الشرب[1]. ويحدد لنا الفاكهى موقعه، اذ يقول انه يقع بمنى قرب حجرة العقبة الكبرى. وهو أقدم سبل مكه[2].

وتوجد عنده سبل انشئت لسقيا الناس من أهمها: سبيل الملك المنصور، صاحب اليمن بمكة الذي أمر ببنائه. وجددت عمارة هذا السبيل حينما تعطل زمن سلاطين المماليك[3].

وفي سنة ٥٧٩ هـ، أمر الزنجبيلى ببناء سبيل قرب المسجد الحرام حيث يقع قرب مدرسته التى أمر ببنائها في السنة نفسها[4].

ومن المعلوم أن بأعلى مكة عدة سبل لم توضح لنا المصادر التاريخية تاريخ بنائها ومن أوقفها، ويعرف منها سبيل واحد يسمى بسبيل أم سليمان المتصوفة[5].

أما عن أهمية البرك، فقد اقتضت الحاجة ببنائها لاستخدامها في الأغراض التالية وهي:

لتخزين مياه الأمطار في أطراف الأودية، ولسقيا الدواب التى كانت هي

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٧.
(٢) الفاكهى: المنتقى ص ٩٦.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٨.
ابن بطوطة: الرحلة ص ٨٤.
على السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢١٦.
(٤) النويرى: نهاية الأرب جـ ٣١ ص ٢١٢.
(٥) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٨.

الوسيلة الوحيدة للنقل آنذاك. وتبنى داخل البساتين لتدريب أبنائهم على السباحة، وفرعت منها قنوات لرى المزارع [1].

وتوجد بركتان بأعلى مكة عند باب المعلاة متلاصقتين احداهما لتخزين المياهوالأخرى لسقيا الدواب. وتوجد بأعلاهما أيضا بركتان بداخل بستان المصارمى. وهاتان تستخدمان لرى زرع هذا البستان [2] وفي شعب بنى هاشم قرب مكان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم بركة. يستخدمها الناس لسقيا الدواب [3].

وبأمكنة المشاعر توجد عدة برك لم توضح لنا المصادر التاريخية من أمر بنائها. ويذكر لنا الفاسى أن أحدى هذه البرك أمر ببنائها والدة الخليفة المقتدر بالله العباسى [4] وبنى بعضها بأمر من المظفر صاحب اربل. وبأسفل مكة بركة كبيرة تسمى بركة باب الماجن، اذ تقع عند باب مكة المعروف بباب الماجنى. وتستخدم هذه البركة لسقيا المزارع التى تقع بأسفل مكة. ولم تذكر لنا بعد ذلك المصادر التاريخية أى توضيح عن باقي البرك التي أنشئت داخل الحرم وخارجه وعن تاريخ بنائها.

---

(١) الفاسى: تحصيل المرام ورقة ٦٦.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٢٩.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٦٠.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٩.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٦٢.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٠.
الفاكهى: المنتقى ص ١٠٢.
(٤) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٤٠.

المنشآت الاجتماعية في المدينة المنورة

من أهم المنشآت الاجتماعية التي تمت في المدينة في هذه الحقبة من البحث هى الآبار والعيون وانشاء البازانات في جميع اطراف المدينة لتوفير المياه للحجاج، واقامة الأربطة لسكنى الغرباء والمنقطعين الذين كان قصدهم المجاورة.

الآبــــار :

من المفيد ذكره أن المدينة بلد زراعى لأنها تشتهر بكثرة مياهها، ولذلك تشتهر منازلها بوجود آبار في داخلها هي :

١) بئر أنـا :

هي بئر ليهود بنى قريظة وتقع في منطقة العوالى بالمدينة، يستفيد منها سكان المدينة في سقيا مزارعهم[١].

٢) بئر أنـس :

هي ملك لأنس بن مالك وقد زارها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتشتهر بعذوبة مائها[٢].

٣) بئر اهـاب :

يقع في الحره. ارتادها الرسول صلى الله عليه وسلم وشرب منها ويسميها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها[٣].

---

(١) ابن شبه: تاريخ المدينة ورقة ٢٠٢.
عبدالقدوس الأنصارى: آبار المدينة ص ٢٤١.

(٢) السمهودى: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٥٣.
العباسى: عمدة الأخبار ص ٢٦٦.

(٣) ابن شبه: تاريخ المدينة ورقة ١٠٣.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٥٤.

٤) بئر حلوة :

وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد في زقاق حلوة. وهذه البئر أوقفت في القرن الرابع لسقيا الحجاج[(١)].

٥) بئر القريصة :

تقع في شرق المدينة أتاها الرسول صلى الله عليه وسلــم وشرب منها. ويقال بأن خاتمه وقع فيها. وهي معروفة حتى اليوم ببئر الخاتم. يقصدها الحجاج للزيارة تبركا بها[(٢)].

٦) بئر حــار :

هذه البئر ملك لأبى طلحة الخزرجى وتقع خارج سور المدينة المنورة. وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين الى المدينة[(٣)].

٧) بئر عــروة :

وتقع في طرف وادى العقيق. وتنسب الى عروة بن الزبير. وتشتهر بعذوبة مائها. ويذهب اليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها[(٤)].

---

(١) المراغي: تحقيق النصرة ص ١٠٧.
السمهودى: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٦٢.
(٢) المراغي: تحقيق النصرة ص ١٢٤.
العباسي: عمدة الأخبار ص ٢٢٦.
الأنصارى: اثار المدينة ص ٩٥.
(٣) السمهودى: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٨٦.
العباسي: عمدة الأخبار ص ٢٥٤.
(٤) ابن شبه: تاريخ المدينة ورقة ١١٣.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٨٧.
الأنصارى: اثار المدينة ص ٩٥.
العباسى: المدينة بين الماضي والحاضر ص ٢١٨.

٨) بئر فاطمة بنت الحسين :

تقع في الحرة جنوب غربي المدينة المنورة. وقامت بحفرها السيدة فاطمة بنت الحسين. واوقفته لسقيا المسلمين[(١)].

العيـــون :

١) عين الخيف :

تقع شمال شرق المدينة المنورة، من بعد الخيف الشامى المسمى عند أهل المدينة بالسيح. ولقد انشئ لها قنوات ومجارى لسقيا المزارع التي تحيط بها واصلحت هذه القناة التي خربت في عهد الخليفة هارون الرشيد ولم تذكر المصادر التاريخية ان اصلاحات حدثت لهذه العين في الحقبة الزمنية لهذا البحث.

ومن المفيد أن نذكر أن أصحاب المزارع اهتموا باصلاح هذه القنوات حينما تتعطل لأنهم المستفيدون من ذلك[(٢)].

٢) عين الشهداء :

تقع هذه العين قرب جبل احد شمال المدينة. وانشئت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة، واصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة الى شهداء أحد أو

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ ٢ ص ٤١٨.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٩٩٠.
العباسى: عمدة الأخبار ص ٢٥٦.

(٢) ابن هاشم: السيرة جـ ٣ ص ١٢٨.
الأنصارى: اثار المدينة ص ١٠٢.
على حافظ: فصول في تاريخ المدينة ص ٣٨.
حمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة ص ٥٤ ــ ٥٥.

الى حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه ويذكر لنا السمهودى أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية بن أبى سفيان. أما المراغى فانه يؤكد بأنها كانت عينا قديمة. وكان يستفيد منها المزارعون في سقيا مزارعهم. ومن المرجح أنها سميت بعين الشهداء نسبة الى شهداء أحد. ومن الملاحظ أن الذي كان يقوم باصلاحها حين خرابها أصحاب المزارع لحاجتهم اليها في سقيا مزارعهم[١].

٣) عين الزرقاء :

تقع جنوب غرب المدينة. وتستمد ماءها من عين الجعفرية. تتصل بمياه آبار عديدة. أوصلت بواسطة قنوات لتتصل هذه الآبار بعضها ببعض لتلتقى بمجرى هذه العين ثم تنقسم الى ثلاث قنوات رئيسية تصب في ثلاثة بازانات بداخل المدينة لسقيا أهلها والحجاج معا[٢].

ولقد أنشأ هذه العين الخليفة معاوية بن أبى سفيان سنة ٥٠ هجرية بعد أن رأى راحة أهل الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام وكان هدف الخليفة واهتمامه من ايصال ماء العين الى المدينة هو استمالة سكانها اليه[٣].

وسميت بعين الزرقاء نسبة الى والى المدينة مروان بن الحكم لزرقة عينيه[٤].

---

(١) المقريزى: الذهب المسبوك ص ٣٠.
الأنصارى: آثار المدينة ص ١٠٣.
العباسى: المدينة بين الحاضر والماضي ص ١٤٢.
حمد الجاسر: رسائل في تاريخ المدينة ص ٦١.
(٢) الأنصارى: آثار المدينة ص ١٠٤.
على حافظ: فصول من تاريخ المدينة ص ٤٠.
العباسى: المدينة بين الحاضر والماضي ص ١٤٠.
(٣) أحمد الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية ص ٦٥ — ٧٠.
الأنصارى: آثار المدينة ص ١٠٧.
(٤) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٠٦.

وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية اذ أن احدى هذه الآبار المتصلة بها تسمى ببئر الأزرق. وهى تقع قرب عين جعرانه[1].

وتذكر لنا المصادر أن هذه العين لم يحدث لها اصلاح سوى ما قام به ابن أبى الهيجاء[2] سنة ٥٦٠ هـ حينما تعطلت بعض قنوات هذه العين، اذ أمر باصلاحها، وقام ببناء بازانات جديدة تحت سطح الأرض ينزلها السقاة بواسطة سلالم بنيت لهذا الغرض. كما أنه قام بتعيين عمال يشرفون على هذه العين وتنظيف قنواتها الرئيسية من الترسبات[3].

الأربطـــة :

لقد نشط بناء الأربطة في المدينة منذ بداية القرن الخامس الهجرى. وكان الغرض الأساسي من بنائها لتكون سكنا للمجاورين والمنقطعين والغرباء والأرامل وطلبة العلم، لكى يقيموا فيها. وبعضها خصص في شرط وقفيته أن يكون سكنا لزوار المدينة. ومن أهمها :

١) رباط سيدنا عثمان بن عفان :

في سنة ٤٢٣ هـ اشترى مجموعة من تجار المغرب الدار الصغرى لسيدنا

---

(١) المراغى: تحقيق النصرة ص ١٤٨.
ابن النمار: الدرة الثمينة ص ١٨.

(٢) هو مقاتل بن عطية ولد سنة ٥١٥ هجرية وكان شاعرا ويعتبر من شعراء العصر العباسي الثاني ولقد قصد الذهاب الى أداء النسك سنة ٥٦٠ هـ. وحينما ذهب الى زيارة المدينة المنورة قام بأعمال خيرية فيها. منها عمل البازانات وزيادة عدد قنوات العين.
انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٨ ص ١٢٠ — ١٢٤.
وخير الدين الزركلى: الأعلام جـ ٩ ص ١١٩.

(٣) السمهودي: وفاء الوفاء جـ ٣ ص ١١١٨.
المراغي: تحقيق النصرة ص ١٣٦.

عثمان بن عفان رضى الله عنه. وجعلوها رباطا لطلبة العلم من بلاد المغرب[1] الذين يقيمون في المدينة. وان تجعل هذه الدار سكنا للحجاج في موسم الحج[2].

ولقد تمت توسعة هذا الرباط فيما بعد. وبعد توسعته خصصوا غرفة منه لتكون مكتبة. وغدت هذه المكتبة من أهم المكتبات التى احتوت على أعظم كتب الفقه المالكى ويمكن القول بأن هذا الرباط كان يسكنه علماء وطلبة العلم اذ انها كانت تقام فيه حلقات الدروس[3].

ويذكر بعض نظار هذا الرباط وصفا لهذه المكتبة ويقول ان الدواليب أو الخزائن الحاوية للكتب الموجودة في مكتبة هذا الرباط قد اهديت الى مكتبة الحرم النبوى في أواخر القرن الثاني عشر الهجرى[4].

٢) رباط الناصر لدين الله :

أمر الخليفة العباسى الناصر لدين الله في سنة ٥٧٠ هـ ببناء رباط في المدينة المنورة ليكون سكنا لطلبة العلم والغرباء المقيمين في المدينة. ويقع هذا الرباط عند باب النساء قرب الحرم النبوي الشريف[5].

---

(١) المراغي: تحقيق النصرة ص ١٧٦.
الانصارى: آثار المدينة ص ٤٩.
(٢) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٥٨.
(٣) الأنصارى: آثار المدينة ص ٥٠.
(٤) المرجع السابق ص ٥٣.
(٥) المراغي: تحقيق النصرة ص ١٧٨.
القلقشندي: صبح الأعشى جـ ١٢ ص ١٦١.
الانصارى: آثار المدينة ص ٥٤.

٤) رباط المراغي :

اوقف قاضى القضاة أبو بكر بن عبدالله المراغي سنة ٥٧١ هـ رباطا يقع عند باب السلام. وجعل في شروط وقفيته ان يكون سكنا للصوفية الزهاد المقيمين في المدينة. وان يكون سكنا للحجاج من العرب والعجم للزيارة فترة الموسم [١].

٥) رباط البخارية :

لقد بنى تجارة مدينة بخارى عدة أربطة في المدينة. وأشهرها الرباط الذي يقع أمام باب الرحمة وجعلوا شرط وقفيته أن يكون سكنا للمجاورين والغرباء المنقطعين في المدينة المنورة [٢].

٦) رباط الزنجبيلى :

أمر ببناء هذا الرباط عثمان بن على الزنجبيلى نائب أمير عدن في سنة ٥٧٩ هـ ويقع عند باب النساء . أوقفه على الاحناف المقيمين في المدينة المنورة. وجعل في شرط وقفيته أن يكون سكنا للحجاج القادمين من عدن أثناء موسم الحج [٣].

٧) رباط والدة الخليفة الناصر لدين الله :

أوقفت والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسى رباطها المعروف بالمدينة

---

(١) العباسي: عمدة الأخبار ص ٣٩٦.
المراغي: تحقيق النصرة ص ١٧٨.
الأنصارى: آثار المدينة ص ٥٥.
(٢) المرجع السابق ص ٥٦.
(٣) المراغي: تحقيق النصرة ص ١٧٩.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٧٨.

المنورة قرب باب جبريل عليه السلام سنة **٥٩٩** هـ، وجعلت في شرط وقفيته أن يكون سكنا للفقراء المنقطعين المقيمين في المدينة وسمى هذا الرباط فيما بعد باسمها (١).

٨) رباط الاصفهاني :

أوقف جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصفهاني رباطه المعروف برباط الاصفهاني. ويقع هذا الرباط في الدار الكبرى لسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. وأوقف هذا الرباط في أواخر القرن السادس الهجرى. وجعله سكنا للفقراء المنقطعين من الاعاجم من بلاد الفرس. ويذكر السمهودى بأن هذا الرباط يسمى برباط العجم نسبة الى شرط وقفيته ولقد جعل شرط وقفيته بأن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم (٢).

٩) رباط خالد بن الوليد :

يقع هذا الرباط في دارى خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص حيث كانتا متجاورتين وقد اشتراهما تجار بلاد غزنه سنة ٦٢٠ هـ، وبنيتا رباطا بعد هدمها لسكنى الغرباء من سكان الهند المجاورين في المدينة. وكان شرط وقفيته أن يكون سكنا للحجاج فترة الموسم. وسمى هذا الرباط فيما بعد برباط السبيل (٣).

---

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٧٩.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ١٠٥٧.
(٢) المراغي: تحقيق النصرة ص ١٨٠.
السمهودي: وفاء الوفاء جـ ٣ ص ١٠٥٨.
(٣) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٨٠.
الأنصارى: آثار المدينة ص ٥٧.

توسعة المسجد الحرام وعمارته :

أول من قام بتوسعة المسجد الحرام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد أدخل ضمن مساحة المسجد الدور المجاورة بعد أن اشتراها وهدمها. وأحاط المسجد أيضا بجدار قصير ثم سار على نهجه ونسج على منواله من تولى الخلافة بعده وهو عثمان بن عفان الذي قام بتوسعته وعمارته[١].

ويذكر الأزرقى[٢] في كتابه أن عبدالله بن الزبير قد زاد في الجدار المحيط بالمسجد ورفعه وسقف جزءا منه ليحتمى الناس تحته حماية من أشعة الشمس.

ويقول الفاكهى: [٣] ان توسعة ابن الزبير كانت من جانبه الشرقي وبعد أن تم القضاء على عبدالله بن الزبير وتمكن عبدالملك بن مروان أمر واليه على مكة الذي يدعى الحجاج بن يوسف الثقفى بتجديد بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة مما حدث لها من خراب وأرسل الأساطين لتزين بها أروقة المسجد.

---

(١) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٨٩.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٦٨.
باسلامه: عمارة المسجد الحرام ص ٣٤.

(٢) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٩٠.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٨.

(٣) الفاكهى: المنتقى ص ٧٤٠.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٩.

ويذكر الأزرقي[1] أن الأساطين هذه قد تمت جزء منها من حجارة مكة والآخر أرسله عبدالملك بن مروان من الشام وهو من الرخام.

وقد حليت رءوس هذه الأساطين بصفائح من فضة وذهب حتى لقد بلغت هذه الحلية أربع أوقيات[2].

ثم أتى بعده ابنه الوليد بن عبدالملك وقام بتعمير المسجد الحرام بعد أن نقل أساطين الرخام اليه من الشام. وأرسل اليه الفسيفساء حتى تزيد النوافذ والأبواب وكانت هذه الزيادة سنة ٨٩ هـ[3].

ثم توقف تعمير المسجد واصلاحه حتى كانت خلافة أبي جعفر المنصور العباسي الذي وسع المسجد من جهة الشمال ومن جنوبه عند باب اجياد وقد بناه بالحجارة وزينه بالقناديل والمشاعل وزاد من الأساطين الرخامية، وأنشأ المنارة التي تقع فوق باب بني سهم وتولى هذا التشييد زياد بن عبيد الله الحارثي القائم بأعمال شرطة مكة[4].

---

(١) الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٩٣.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٩.
باسلامه: عمارة المسجد الحرام ص ٣٦.

(٢) الأزرقي: تاريخ مكة. جـ ٢ ص ٩٤.
ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢٠.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١١٠.
النهرواني: الأعلام ص ٦٨.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٨٨.

(٣) الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٩٥.
الفاكهي: المنتقى ص ٨١.
باسلامه: عمارة المسجد الحرام ص ٣٧.

(٤) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٩.
باسلامه: عمارة المسجد الحرام ص ٣٧.

وقد زينه بالفسيفساء وسقف أروقته بخشب العرعر الذي أتى به من الطائف وقد قام بتوسيع مساحة المسجد أيضا فأدخل دار الندوة، ودار شيبة ابن عثمان ودار العجلة ضمن مساحة المسجد. وبعد ذلك رصف أروقته بالحجارة المنحوته[1].

ومما يدل ويشهد على ما قام به انه عثر على نص كان موجودا حتى زمن أبى الوليد الأزرقى صاحب كتاب تاريخ مكة[2].

وقد سجل هذا النص الأعمال المعمارية للمسجد الحرام في عهد أبى جعفر المنصور وقد كتب على اسطوانة من اسطوانات المسجد الحرام وهذا نصه :[3]

« بسم الله الرحمن الرحيم، محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » أمر عبدالله أمير المؤمنين أكرمه الله بتوسعة المسجد الحرام، وعمارته والزيادة فيه نذرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم، وكان الذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وأمر ببنائه وتوسعته في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ منه ورفعت الأيدى عنه في ذى الحجة سنة أربعين ومائة بتيسير أمر الله بأمر أمير المؤمنين ومعونة منه له عليه وكفاية منه له وكرامة أكرمه الله بها فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نرى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه »[4] .

---

(١) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٩٦.
(٢) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٩٨.
(٣) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١١٢.
(٤) هذا النص منقوش على أحد أعمدة المسجد الحرام التي بداخل أروقته حتى الوقت الحاضر وقد ذكرها الأزرقى في كتابه تاريخ مكة جـ ٢ ص ٧٣.
وابراهيم رفعت: جـ ١ ص ٢٢٦.

وحين حج ابنه المهدى سنة مائة وستين هجرية وجردت الكعبة من كساءاتها المختلفة. قام بتعمير المسجد الحرام وأمر بزيادة ارتفاع أروقته. وشراء الدور المجاورة التي تقع من الجانب الغربى للمسجد لاضافتها اليه[1].

وتنفيذا لذلك فقد ترك أموالا كثيرة عند قاضى مكة محمد بن عبدالرحمن المخزومى ليقوم بتجديد بناء المسجد وتوسعته[2].

ونتيجة لذلك فقد أدخل دار جبير بن مطعم، وسباع الخزاعى. وأدخل أيضا دار القوارير. ثم الصق الجدار بالجدار القديم، وشيد الأروقة الجديدة بعد أن نقل أساطين الرخام من دمشق الى مكة التي جرت بواسطة العربات وأقيمت هذه الأساطين في الأروقة على ثلاثة صفوف. وقد اعتمدت على أساسات من الحجارة والتدرة[3].

وقد زاد أيضا في عدد أبواب المسجد الحرام وأصلح بعض المنائر فيه[4].

هذا كله عن عمارة المسجد الأولى في زمن المهدى. وله زيادة ثانية قام بها في تربيع المسجد حتى أصبح عرضه كطوله تقريبا، وتحت العمارة الثانية للمهدى

---

(١) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢٩.
باسلامه: عمارة المسجد الحرام ص ٣٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٨.
(٢) الأزرقى: جـ ٢ ص ٧٤.
النهروالى: الأعلام ص ١٣٢.
(٣) الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٧٥.
باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٣٩.
(٤) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٧٥.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣١.
باسلامه: تاريخ عمارة المسجد ص ٤٠.

في سنة ١٦٤ هـ حينما تبين له أن عمارته الأولى لا تتناسب فنيا مع التوسعة التي جددت له في زمنه، فأمر المهندسين بتوسعته حتى تتوسط الكعبة المسجد ولو استنفد الأمر ما في بيوت المسلمين من أموال[١].

وقد نصبت الرماح على الدور التي تقع في الوادى ووضعت الاشارات، وقيست بالأذرع المعمارية فاشتروا الدور من الناس، ونقلت المؤن من مصر والشام، وأحضر العمال والصناع من أمصار الدولة الاسلامية[٢].

وقد بدأ تنفيذ هذا العمل سنة ١٦٧ هـ اذ قاموا بجرف مجرى الوادى عند باب أجياد ورفعوا أروقة المسجد عن مستوى الوادى خوفا من دخول ماء السيل الى الحرم وانتهى العمل منه زمن ابنه الهادى[٣].

ويقال ان عدد الأساطين من الجهة الشرقية بلغت ثلاثة ومائة اسطوانة، ومن الجهة الغربية مائة اسطوانة ومن الجهة الشامية ثلاثون ومائة اسطوانة، ومن الجهة اليمانية واحد وأربعون بعد المائة اسطوانة.

ويلاحظ أن المسافة بين كل اسطوانتين عشرة أذرع وبلغت جملة الاسطوانات المحلاة بالذهب ثنتان وأربعون اسطوانة[٤].

---

(١) الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٧٦.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣١.
(٢) الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٧٧.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٨.
(٣) الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٧٧.
الفاكهي: المنتقى ص ١٢١.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٩.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢١.
(٤) الصباغ: تحصيل المرام ورقة ٣٠٤.
ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٤.
الأزرقي: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٨٤.
باسلامه: تاريخ عمارة المسجد ص ٤١.

وبلغت المحلاة بالفضة ثنتان وسبعون اسطوانة وقد حليت الفسيفساء أيضا بماء الذهب والفضة [1] .

وأما القناديل فقد صنع بعضها من النحاس والآخر من القوارير [2] . أما عن نوافذ المسجد فقد بلغ عدد نوافذه أربعمائة نافذة ، ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن أي اصلاحات أو توسعة حدثت سوى ما قام به بعض أهل الخير في مكة حينما كتبوا الى الخليفة المعتضد العباس سنة ٢٨٤ هـ يطلبون توسعة الحرم الذي ضاق عن عدد المصلين وبخاصة في المواسم الدينية الأسبوعية أو السنوية كل عام [3] .

ولهذا فقد أمر بادخال دار الندوة ضمن الرواق الشامي للمسجد ثم وضع لها باب سمى باب الزيادة لأنها خرجت عن شكل تربيع المسجد [4] .

وقد تم الانتهاء من الزيادة هذه سنة ٢٨١ هـ ، أما التوسعة الأخيرة فهى الزيادة التى حدثت عند باب ابراهيم زمن خلافة المقتدر بالله العباسى سنة ٣٠٧ هـ من الجهة الغربية للمسجد [3] .

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٣٠.
الفاكهى: المنتقى ص ١٢٣.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٣٢.
الصباغ: تحصيل المرام ورقة ٣٠٧.

(٢) الفاكهى: المنتقى ص ١٢٤.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٣٣.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٣٦.
الفاكهى: المنتقى ص ١٢٧.

(٤) الصباغ: تحصيل المرام ورقة ٣٠٩.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٦.
باسلامه: عمارة المسجد الحرام ص ٤٤.

(٥) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٥.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٣٦.
باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٤٥.

ولم تطرأ بعد ذلك أية توسعة جديدة حتى زمن سلاطين المماليك [١] .

أما الاصلاحات فقد اقتصرت على النوافذ والأبواب والقناديل حتى نهاية هذا البحث .

وللمسجد الحرام أربع منائر رئيسية شيدت زمن عبد الملك بن مروان . وأنشئت المنارة الخامسة زمن الخليفة أبى جعفر المنصور على باب العمرة [٢] .

وقد قام ابنه من بعده بانشاء منارة سادسة على باب السلام . ثم أنشأ وشيد قايتباى المنارة السابعة [٣] والتي بقيت حتى يومنا هذا ، شاهدة على براعة ما قام به الخلفاء والسلاطين والامراء من أعمال عظيمة لمكان عظيم من بناء وتشييد وزيادة وزخرفة احتفاء به لما له من مكانة في قلوبهم وأيضا لطبع خلافتهم بطابع دينى أمام جموع المسلمين في أمصار الدولة الاسلامية .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٦.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٢٨.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٧ ص ٢٦٩.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٤٠.

(٢) الفاسى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ٩٤.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٤٧.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٣٧.
باسلامه: تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٤٧.

توسعة المسجد النبوى وعمارته

حين تمت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى يثرب التي سماها طيبة تيمنا واستبشارا . كان أول عمل قام به فيها أن اختط مسجده الشريف وسط دور الأنصار وقد بنى حوله حجرات أزواجه رضى الله عنهن [1] .

وقد ضرب النبى صلوات الله وسلامه عليه أروع الأمثلة والمثالية في العمل والمشاركة بنفسه في تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله [2] .

هذا وقد جعل مواد بنائه أن يبنى من اللبن واستخدم في سقفه واسطواناته النخيل فجعل سقفه من الجريد المغطى باللبن . واسطواناته من خشبه الاسطوانى الشكل وبعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى[3] . خلفه أبو بكر رضي الله عنه فلم يزد على ما كان عليه أيام النبى صلى الله عليه وسلم[4] .

---

(١) السمهودي: وفاء الوفا جـ ١ ص ١٦٣.
المراغي: تحقيق النصرة ص ٣٢.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٥٨.

(٢) السمهودي: وفاء الوفا جـ ١ ص ١٦٤.
العباسى: عمدة الأخبار ص ٥٨.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٥٩.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣١.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا ص ١٧٨.
المراغي: تحقيق النصرة ص ٣٤.

(٤) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٦٠.
العباسى: عمدة الأخبار ص ٧١.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٧٠.

وحين آلت الخلافة الى عمر رضى الله عنه قام بتوسعته من جهة القبلة أخذا من اشارة النبى الى التوسعة من جهة القبلة فلقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لو زدنا في مسجدنا هذا وأشار بيده، نحو القبلة) وقد أقام أساسه بالحجارة في جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع [١].

وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشب النخل . ولم يغير في الأبواب شيئا عما كانت عليه من قبل [٢] .

وفي خلافة عثمان بن عفان زيد المسجد زيادة هائلة ولكنه جعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد مرة ثانية وبخاصة في المواسم الدينية للمسلمين الأسبوعية والسنوية كل عام [٣] .

وقد غير الوضع عما كان عليه من قبل فوضع الاسطوانات الحجرية بدلا من خشب النخيل [٤] .

وقد زاد في مساحته من الجهة الشامية خمسين ذراعا ، ومن جهة المشرق ستين ذراعا . ومن جهة المغرب خمسين ذراعا . ومن جهة الجنوب مائة ذراع . ولم يزد من أبوابه ، بل زاد من عدد نوافذه [٥] .

---

(١) العباسي: عمدة الأخبار ص ٧٢.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٧١.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٣١.
(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٥.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٧٣.
(٣) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٢٦٣.
المراغي: تحقيق النصرة ص ٤٧.
ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٣٨.
(٤) المراغي: تحقيق النصرة ص ٤٧.
(٥) المصدر السابق ص ٤٨.

هذه جملة ما زيد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وحين تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوى من جهة المشرق والمغرب ، وشراء الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها فأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وثلاث دور لعبد الرحمن بن عوف،ودار عبدالله بن مسعود ، ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله ، ودار عمار بن ياسر ، ودار العباس بن عبد المطلب (١) .

وأمر بارسال الأعمدة الرخامية من الشام ، والفسيفساء من مصر ، وخمرة النورة في المدينة (٢) .

وأقيم الأساس من الحجارة والرصاص والحديد ، وبنى الجدار بالحجارة المنقوشة التي حشيت بالرصاص فأصبح طول المسجد بعد ذلك مائة وثمانين ذراعا ، مائة وعشرة من ناحية الشمال (٣) .

ونقشت جدره بالفسيفساء ، وبذلك أدخل قبر النبى صلى الله عليه وسلم ضمن المسجد (٤) .

---

(١) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٢٩٨.
المراغي: تحقيق ص ٤٩.
(٢) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٦١.
العباسي: عمدة الأخبار ص ١٠٣.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٩.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٧٤.
(٣) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٦١.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٠١.
(٤) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٠٢.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٧٥.

هذا وأقيم أربع منائر في زوايا المسجد [1] .

وفي عهد الخليفة أمر جعفر المنصور سنة ١٤٠ هـ تصدع جدر المسجد فأمر بتجديدها .

وفي عهد ابنه الخليفة المهدى سنة ١٦١ هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراعا ، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل والنص الآتى يبين ما قام به من انشاء وزيادة [2] واليك نص النقش الخاص بأمر الخليفة :

« أمر عبدالله المهدى أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحكام عمله ابتغاه وجه الله عز وجل والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نرى من حسنته في ذلك وأحسن ثوابه « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » .

وكان مبتدأ ما أمر به عبدالله المهدى محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وستين ومائة ، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة ، فأمير المؤمنين أصلحه الله بحمد الله على ما

---

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٧٥.
السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٠٢.

(٢) وقد ذكر هذا النص المراغي في كتابه تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ص ٥١ كما أوردها ابن النجار في كتابه الدرةالثمينة ص ٦٣ وأن كلا من ابن النجار والمراغي قد نقلا عن رواية ابن زباله ويقال إن هذا النص كان منحوتا في احدى اسطوانات المسجد النبوي الشريف ولكنها غير موجودة في الوقت الحاضر.

أذن له واختصه من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته حمدا كثيرا ، والحمد لله رب العالمين على كل حال » .

ثم استمر بعد ذلك خلفاء البيت العباسى في ارسال الأموال الى ولاتهم في المدينة لاصلاح وترميم ما يتصدع من المسجد [١] .

ولما حج نور الدين محمود بن زنكى سنة ٥٥٥ هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص وفي خلافة الناصر لدين الله العباس عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة ارسال النقاشين والصناع من بغداد سنة ٥٧٦ هـ لعمارة المسجد [٢] .

وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لاضاءته .

ولقد احترق المسجد ولم يبق منه الا الحجرة الشريفة وذلك في عهد الخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٤ هـ . فأمر بعمارته سنة ٦٥٥ هـ وأكمل زمن السلطان المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن وانتهت عمارته سنة ٦٥٧ هـ بعد أن أنفق على عمارته أموالا طائلة [٣] .

---

(١) المراغي : تحقيق النصرة ص ٥٢ — ٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٣.

(٣) السمهودي : وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٢٠.
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٤٣.
يحيي بن الحسين : غاية الأماني جـ ١ ص ٤٤٣.
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٨٦.

بناء المساجد وتجديدها

أ ـــ المساجد بمكة :

مسجد التنعيم :

أشهر هذه المساجد التي تقع في منطقة التنعيم خارج حدود مكة المكرمة .

وينسب الى السيدة عائشة رضى الله عنها .

ولا يكاد يعرف من بنى هذا المسجد . والذى أمر بتجديد بنائه هو الخليفة المقتدر بن الراضى سنة **٣١٥** هـ والذي قام بتعمير الأعلام التي تحدد نهاية حدود الحرم . وبداية حدود الحل والدة الخليفة المقتدر العباسى[١] .

ويذكر لنا المراغى في كتابه تحقيق النضرة[٢] . أن زوج الملك المنصور صاحب اليمن أمرت بتجديد مسجد السيدة عائشة سنة **٦٤٥** هـ وأيضا بانشاء حوض خلف المسجد لتخزين الماء ، وقد بنى بالحجارة .

ويؤكد لنا هذا القول ما ذكره ابراهيم رفعت في كتابه مرآة الحرمين بأنه شاهد هذا الخزان الذي شيد لخدمة المصلين بالمسجد[٣] .

مسجد نمرة :

يسمى هذا المسجد بمسجد عرنه ويقع على حدود عرفه وهو مسجد كبير يتسع لجمع غفير من المسلمين .

---

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٧٨.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٨.

(٢) المراغي: تحقيق النصرة ص ٥٧.

(٣) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٣٩٧.

وقد شيد أروقته الخليفة الرشيد [1] .

ثم جدد بأمر من الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وأيضا زمن السلطان صلاح الدين الأيوبى وأخيرا أصلح السلطان نور الدين عمر بن رسول ما به من خراب سنة ٦٤٢ هـ [2] .

مسجد الصخرات :

سمى بهذا الاسم لوقوعه وسط الصخرات الثلاث ويقع أسفل جبل الرحمة [3] .

هذا ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن أمر بنائه وتجديده فلا تزال جداره مهدمة حتى يومنا هذا [4] .

مسجد الكبش :

ويقع بمنى على يسار الذاهب الى عرفه وسمى بهذا الاسم لموقعه بمجر الكبش ، وتيمنا بما أفدى الله به نبيه اسماعيل حين شرع أبوه الخليل على تنفيذ أمر ربه بذبحه عليه السلام [5] .

---

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٧٨.
العباس: عمدة الأخبار ص ٨٩.
(٢) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٤٤.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٠٠.
(٣) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ١٣٩.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٧٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٧٤.
(٤) انظر ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٥، ٤٦، ٤٧.
(٥) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ١٣٠.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٦.

وجدد بأمر من الحاكم بأمر الله الفاطمى . ثم جدده الخليفة الناصر لدين الله العباسى .

مسجد البيعة :

وسمى بهذا الاسم نسبة الى ما وقع فيه من بيعة الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان قرب العقبة بداخل شعب نهاية حدود منى [1] . والذي أمر ببنائه في هذا المكان هو الخليفة أبو جعفر المنصور العباسى. وقد جدد بناؤه سنة ٢٤٤ هـ ، وفي سنة ٦٢٩ هـ جدد بناؤه بأمر من الخليفة المستنصر العباسى [2] .

مسجد منى :

ويسمى مسجد ال . ويذكر لنا الفاسى [3] بأن هذا المسجد يقع قرب دار المنحر يمين الصاعد الى عرفه ، ولقد أمر ببنائه وتشييده الخليفة المهدى، وجدده أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٥ هـ وشيد له أربعة أروقة [4] .

كما يذكر لنا ابراهيم رفعت أنه شاهد نصا يؤكد عمارة الملك المنصور صاحب اليمن مكتوب فيه ما يلي :

---

(١) الفاكهى: المنتقى ص ٧٦.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٨٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٧.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٥٧.

(٢) ابن فهد: ورقة ٢٦٥.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٧ ص ٢٨٩.

(٣) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١١٧.

(٤) الفاكهى: المنتقى ص ٧٨.

« هذا مسجد سيدى الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هدية فيه : ان الملك قطب الدين ابا يكر البن الملك المنصور عمر بن على ابن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته في سنة ٦٤٥ هـ » (١) .

مسجد الكوثر :

ويقع هذا المسجد بمنى . وقد عمر زمن الخليفة المعتمد سنة ٢٥٦ هـ وقام بتجديده الوزير محمد بن على المعروف بالأصفهانى سنة ٥٥٩ هـ (٢) .

وقامت بتجديد بنائه والدة الخليفة الناصر لدين الله العباسى (٣) .

وجدد بناءه أيضا الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧ هـ (٤) .

هذا ومع سردنا لمساجد مكة الا أنه توجد مساجد أخرى أشهرها :

مسجد الرايه

ويقع بأعلا مكة .

ومسجد الجن :

ويقع هذا المسجد بنهاية سور مكة وهو الذي استمع فيه الجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يتلو القرآن الكريم .

---

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤١٧ .
(٢) الفاكهى : المنتقى ص ٨٠ .
النهروالى : الأعلام ص ٤٣ .
(٣) الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ١١٨ .
(٤) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٦٩ .
يحيي بن الحسين : غاية الأماني جـ ١ ص ٤٣٣ .
الفاسى : شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٣ .

ولقد تحدث القرآن الكريم مبينا ومفصلا بلسان عربى مبين هذا المشهد فيقول تبارك وتعالى : « قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فأمنا به ولن نشرك بربنا أحدا الآيات » ويوجد أيضا بمكة مسجد بلال بن رباح بأعلى جبل قبيس عند مشق القمر [1] .

وأيضا يوجد مسجد أبى بكر الصديق بأسفل مكة .

وهذه خلاصة أشهر مساجد مكة القديمة .

ب — مساجد المدينة المنورة :

مسجد قبــاء :

هذا هو أول مسجد أسس على التقوى، وكان أول عمل قام به النبى صلى الله عليه وسلم عند وصوله الى قباء في هجرته الى المدينة المنورة [2] .

وجدد بناؤه في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وللمسجد أهمية اسلامية وذكرى طيبة تهفو اليها نفس كل مؤمن ، ولعموم زائرى المدينة [3] .

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين كان له كأجر عمرة » .

---

(١) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢٣.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٠٧.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٧٤.

(٢) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٧٩.

(٣) المصدر السابق ص ٨٠.

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك جدد المسجد وزيد في توسعته . فأرسلت الأسطوانات من دمشق كما جدد بناؤه في عهد أبى جعفر المنصور [١] .

وفي سنة ٥٥٥ هـ أمر نور الدين محمود زنكى بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام [٢] .

مسجد القبلتين :

ويقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي العقيق .

ويقال ان الذي جدد بناءه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧ هـ [٣] .

مسجد الفتح :

ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق صاحبه تسمية غزوة الخندق تبعا لهذا المكان، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم فيه فاستجاب الله دعاءه، والذي قام بتعميره عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين كان واليا على المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك، اذ شيد أروقته [٤] وفي سنة ٥٧٥ هـ جدد

---

(١) المصدر السابق ص ٨١.
(٢) المراغي: تحقيق النصرة ص ٥٩.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٢ ص ٣٥٤.
(٣) المراغي: تحقيق النصرة ص ٦٠.
العباس: عمدة الأخبار ص ١٠٣.
السخاوي: الدرة الثمينة جـ ١ ص ٨٨.
(٤) السخاوي: التحفة اللطيفة ص ٨٩.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٢٠.

الأمير أبو الهيجاء أيضا بناءه وشيد قبابه وأعمدته المرخامية ، وعقودا محكمة بين أعمدته (١) .

مسجد الاجابة :

ويقع شمال البقيع قرب قرية بنى عوف من الأوس وترجع سبب هذه التسمية الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه ودعا الله فاستجاب الله له ، ولذا سمى مسجد الاجابة (٢) .

مسجد المائدة :

ويقع هذا المسجد شرقي المدينة وأقيم على شكل مائدة الطعام .

وكان يسمى أولا باسم مسجد الجمعة لأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه أول جمعة بالمدينة وحين جدد بناؤه شيد على شكل مائدة فسمى باسمها (٣) .

---

(١) ابن النجار: الدرة الثمينة ص ٨٠.
(٢) المصدر السابق ص ٨٢.
(٣) المراغي : تحقيق النصرة ص ٦٣.
الأنصارى: آثار المدينة ص ١٢٣.

جـ ــ مساجد جدة والطائف :

يوجد في وسط جده القديمة أربعة مساجد أقدمها المسجد الجامع .

وهذه المساجد أنشئت مع بداية القرن الخامس الهجري حين تعطل ركب الحاج المصري البرى . فأصبح طريق الحجاج الى جده عن طريق البحر [(١)] .

ولذا اهتم الأمراء بانشاء المساجد في جدة لازدحام المصلين بها فترة الموسم [(٢)] .

ولم تذكر لنا المصادر التاريخية السنوات التي أنشئت فيها المساجد ولا سنوات تجديدها .

أما الطائف فقد اهتم خلفاء البيت العباسى ببناء المساجد فيها اذ أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء مسجد عبدالله بن العباس رضى الله عنهما سنة ١٣٨ هـ الذي يقع قرب داره لهجرته من مكة الى الطائف زمن خلفاء بنى أميه [(٣)] .

ثم سار على نهجه الرشيد الذى أمر بتوسعة المسجد سنة ١٨٤ هـ ، وأخيرا قام بتجديده الخليفة الناصر لدين الله العباس [(٤)] ، ثم السلطان المنصور صاحب اليمن اذ جدده وجدد أيضا بناء مآذن في سنة ٦٤٨ هـ [(٥)] .

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص ٣٦.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٧.
(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢٢.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
(٤) الفاكهى: المنتقى ص ٨٧.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠٤.
الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٧٣.
(٥) الفاكهى: المنتقى ص ٨٧.

وهناك مسجد الهادى الذى ينسب الى الخليفة العباسى الهادى بن المهدى الذي جدد بناءه ولم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن تجديد بنائه فيما بعد .

مسجد المثناه :

وهو الذى يوجد فيه أثر كوع الرسول صلى الله عليه وسلم ويقع هذا المسجد بطرف وادى الوهط بالطائف في قرية المثناه [١] .

وقد اصطلح على تسميته باسم مسجد الكوع لوجود أثر كوع الرسول صلى الله عليه وسلم داخل صخرة فيه، ولم تحدثنا المصادر التاريخية عمن بناه أو من أمر بتجديد بنائه [٢] .

بناء الأسوار حول المدن

امتازت المدن الاسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجرى حتى سقوط الخلافة العثمانية ببناء الأسوار حول المدن وكان القصد منها حماية المدينة من اعتداءات القبائل عليها [٣] .

ونخص في هذا البحث الحديث عن أسوار مدن الحجاز وأهمها سور مكة .

---

(١) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٩٨.
النهروالى: الأعلام ص ٨٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٣.
(٢) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٦٠.
(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢١٥.
المقريزي: الخطط جـ ١ ص ١١٣.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٠.

كان يحيط بمكة سور من أعلاها الى أسفلها ويقع هذا السور بعد مسجد الجن وله باب محكم يسمى باب المعلاة .

ويمثل آخر حدود المدينة وآخر دورها ويأتى بعد السور ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو لحماية وادى ابراهيم من سيول الأمطار العارمة التي تجتاح مكة [1] .

ومن جهة الشمال تقع القرارة وبها الباب الشامى ومن ناحية الشبيكة بعد جبل الكعبة يقع السور وبه باب الشبيكة [2] .

ومن الجهة الجنوبية بعد بركة الماجن يمتد السور ويقع به الباب الجنوبي [3] .

ولم تحدثنا المصادر التاريخية عمن بنى هذا السور .

ويذكر لنا الفاسى [4] في كتابه شفاء الغرام ، أن الشريف أبا عزيز قتاده ابن ادريس هو الذى قام بتجديده من الجهة الشرقية .

ويذكر لنا الفاكهى في كتابه أن سور مكة كان موجودا زمن خلافة المقتدر العباسى سنة **٢٩٥** هـ وهذا الرأى هو الأرجح .

---

(١) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ٢ ص ١٤٥.
(٢) النهروالي: الأعلام ص ٩٥.
الفاكهى: المنقى ص ٨٢.
(٣) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١١.
النهروالى: الأعلام ص ٩٦.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٧٢.
(٤) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ١٢.
(٥) الفاكهى: المنتقى ص ٨٤.

وجدد بناء هذا السور من جهة الشبيكة الملك المظفر صاحب اربل سنة ٦٠٧ هـ وهو الذى مهد الجبال التي تقع طرف هذا السور [١] .

سور المدينة :

حينما تعرضت مكة لاعتداء القرامطة طلب أمير المدينة من الخليفة المقتدر بالله العباسى ببناء سور حول المدينة وذلك لحمايتها من أي اعتداء يقع عليها ، فأمر الخليفة في سنة ٣١٨ هـ ببناء سور حول المدينة على أن يكون سورا منيعا حصينا يحيط بها من جميع جوانبها . وقد وضع له أربعة أبواب : [٢]

الأول : باب ابقيع بالمشرق .
والثاني : الباب الشامى ويقع من الشمال [٣] .

والباب المصري : يقع غربا [٤] .
والباب الجنوبي : يقع جهة القبلة .

---

(١) ولد أبو سعيد مظفر الدين كوكيرى بن الأمير زين الدين أبى الحسن على كسجك بن بكتكين في السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩ هـ وهنا اختلاف في لقبه، فالذهبى في كتابه تاريخ الاسلام ورقة ١٨٣ يطلق على اسمه كوكبرى وابن خلكان يطلق عليه كوكبورى لاعتقاده بأنها كلمة تركية مكونة من كوك يعنى أزرق، ويرى تعنى ذئب ويقصد بها ذئب أزرق.
أنظر: بن خلكان: وفيات الأعيان ص ٢٧٧.
محسن محمد حسين: اربل في العهد الأتابكى ص ١٣٩ بغداد ١٩٧٦.

(٢) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٧٩٠.
المراغي: تحقيق النصرة ص ٩٦.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١١١.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٤٠.

(٣) السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٧٩٤.
المراغي: تحقيق النصرة ص ٩٧.
العباسى: عمدة الأخبار ص ٢٥٣.

(٤) ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين ص ٤٤٧.

وفي سنة ٣٧٢ هـ تم تجديد بناء هذا السور بأمر من عضد الدولة بن بويه زمن الخليفة الطائع بأمر الله العباسي وفي سنة ٥٥٥ هـ جدد بناء هذا السور على نفقة نور الدين محمود زنكى حينما أتى لزيارة المدينة المنورة [١] .

وفي سنة ٦٤٦ هـ جدد بناء سور المدينة بأمر من الملك المنصور بن رسول صاحب اليمن [٢] .

أما مدينتا جده والطائف ، فلم ينشأ لهما أسوار في الفترة الزمنية التي تخص هذا البحث .

ولكن تم بناء أسوارها زمن سلاطين المماليك حينما أصبحت جده ميناء هاما للحجاز فاهتم سلاطين المماليك بها فبنوا حولها أسوارا كما فعلوا ذلك حول الطائف أيضا .

---

(١) المراغي : تحقيق النصرة ص ٩٨.

(٢) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ٢ ص ٩٨.

الفصل الرابع

الحياة العلمية في بلاد الحجاز

الحياة العلميــة :

لبلاد الحجاز دور قيادى في الحركات العلمية وفي الحفاظ على التراث الاسلامى والعربى . وفي العقيدة الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى وقتنا الحاضر [1] .

وتعددت المراكز العلمية بين حلقات بالمساجد وأخرى خارجها مثل المدارس، وقد بدأت الحركة العلمية بالحجاز ممثلة في حلقات العلم بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المسجد الحرام ، وقد لعبت الحلقات دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية وظلت المساجد تقوم بدور فعال في تطور الأمة الاسلامية فكريا وحضاريا منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين [2] ، الذين تولوا أمر الحركة العلمية في المسجدين الحرام والنبوى الشريف. اعتمادا على الكتاب والسنة في جميع المعاملات والعبادات والعقيدة [3] .

ومنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نجد التابعين وتمسكهم بآثار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . فنجد الامام مالك يتتبع منهاج الرسول صلى الله

---

(١) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣ ص ١٥٨.
مرزوق بكرى: المسجد محور للنشاط ص ٤٦٠ رسالة المسجد.
(٢) النهروالي: الأعلام ص ٧٨.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٦٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٣.
(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٦٠.
أحمد سيف: عمل أهل المدينة ص ٣٥.

عليه وسلم في أوائل القرن الثانى الهجرى ، ثم يسير على منهاجه طلبته ، حتى أصبح متعارفا بعمل أهل المدينة [١] .

وساعد على ذلك كثرة الصدقات التي تفد اليها من قبل التجار والقضاة والخطباء والتي كانت تعطى للمجاورين. بالاضافة الى ذلك فريضة الحج. فقد كان يفد مع الحجاج علماء من جميع أقطار العالم الاسلامى . فتقام في مكة المناظرات العلمية ، فيتدارس العلماء أحوال المسلمين ، وما يتعلق بالعقيدة الاسلامية . ويأخذون عن بعضهم علم القراءات ، والتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية [٢] . ومنهم من يجاور ومنهم من يعود الى بلده . ويشعرون بما استفادوه من علوم . وأما من يقيم فيدرس ويدرس ويجاور . لذا فان المجاورين في الحرمين أصبحوا يشكلون جزءا من المجتمع على مر العصور [٣] .

حلقات العلم في المسجدين الحرام والنبوى الشريف :

قلنا ان حلقات العلم في المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف قد لعبت دورا هاما في الحياة العلمية والثقافية في بلاد الحجاز [٤] .

---

(١) مرداد: نشر النور والزهور جـ ١ ص ١١.
Dohaish Abdulatif, History of Education P. 33.
أحمد سيف: همل أهل المدينة الطبعة الأولى ١٩٧٧ — دار الاعتصام مصر ص ٣٧٢

(٢) الفاسي: العقد الثمين جـ ٢ ص ٩٨.
النهروالى: الأعلام ص ٨١.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٦.
محمد حسين يوسف: رسالة المسجد ص ٤٦٦.
الشامخ: التعليم في مكة والمدينة ص ١١.

(٣) أحمد أمين: ظهور الاسلام ص ١٨.
حسين ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣ ص ١٦٠.
محمد الحسينى: الحياة العلمية ص ٩ — ١١.

(٤) شوقي ضيف: تاريخ الأدب عصر الدول والامارات ص ٥٢ — ٦٢.
عبدالرحمن الحوت: رسالة المسجد ص ١٥٢.
محمد الحسينى: الحياة العلمية ص ١٥.

ومن المفيد أن المسجد كان ولا يزال يساهم مساهمة فعالة في تطوير الحركات العلمية فكريا وحضاريا [1] .

ويذكر لنا ابن جبير موضحا لهذه الحلقات ، وما يدور فيها من علوم دينية مختلفة ، وأهم هذه العلوم ، علم القراءات ، وتفسير القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والفقه ، والعلوم العربية ، وكان لعلم التصوف نصيب قليل في هذه العلوم[2] .

أما دروس الشعر والعلوم العقلية كالمنطق ، والفلسفة ، فلم يكن لها نصيب من حلقات العلم بالمسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف [3] ومن الجدير ذكره أن أروقة المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف قد انتشرت فيها حلقات العلم ، لأن المسجدين يمثلان المركز الأول للتوعية الدينية ، فازدحمت الحلقات برجال الحديث والقراءات بسبب كثرة وجود العلماء المجاورين بمكة والمدينة . الذين هاجروا اليهما لبعدهما عن الفتن والاضطرابات السياسية [4] .

وظل هؤلاء العلماء يؤدون رسالتهم فيهما جيلا بعد جيل . والدراسة في الحرم المكى والنبوى الشريف لم تنهج منهجا مقررا ، أو محددا فالمدرس هو الذي يقرر ما يريد تدريسه لطلبته . وهو الذي يختار المنهج الملائم لهم . والدرس يعقد يوميا من قبل هذا الشيخ في المسجد وتضم الحلقة الجميع بلا تفرقة ، جاعلا البساطة والتواضع الواجب الأساسى تجاه طلبته .

---

(١) محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة ص ١٩.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٤٤.
الحسينى: الحياة العلمية ص ٢٠.
(٢) ابن جيد: الرحلة ص ٦٧.
(٣) شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربي — عصر الدول ص ٦٣.
(٤) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٧.
عبدالرحمن الحوت: رسالة المجد ص ١٥٥.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٤٦.

ونلاحظ أن الطلبة يستمعون الى شيخهم ، فيناقشهم ويناقشونه . والطالب يدرس بجد واخلاص . لذا فان الدراسة تأخذ صبغة التنظيم . كما أنهم يسخدمون طريقة الاملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراية . وقد كان لكل مذهب من المذاهب ركن خاص به في المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف [١] . ويجتمع رجال كل مذهب على حدة للصلاة والدراسة معا .

وتحدثنا كتب المؤرخين وكتب الوفيات دائما عن مدى تحصيل طلبة العلم . فهم لا يحصلون على شهادات ، ولكن يحصلون على اجازات علمية من أساتذتهم . واتبع العلماء في منع هذه الاجازات التقاليد العلمية فيقال : « وفيها توفى ... وكان شيخا جليلا ، اماما عالما فاضلا ... منعكفا على العبادة ... والاشتغال بالله تعالى ... سمع من ... وتوفى ... » .

وهذا نموذج من أنواع الاجازات التي قام بمنحها العلماء ويذكرها المؤرخون ورجال كتب الوفيات [٢] .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هؤلاء العلماء لم يتقاضوا راتبا معينا لقاء الدروس

(١) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣ ص ١٩٠.
الحسيني: الحياة العلمية ص ٣٢.

(٢) الطبرى: القرى لقاصد أم القرى ص ٤٧.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٢ ص ٣٩٢.
ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٨٣.
الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٨٨.
الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٦.
المكناس: درة الحجال جـ ١ ص ١٥.
الفيروزبادى: درة الحجال جـ ١ ص ١٥.

في المسجدين ـ الحرام ، والنبوى الشريف ـ كما أنهم لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة لأن تعليمهم كان في سبيل الله [١] .

ومن المفيد ذكره أن حلقات العلم لم تكن تقتصر على الدرس ، بل كان يتم فيها مناظرة العلماء ، من المجاورين والوافدين عليهم من شتى أقطار العالم الاسلامى . وبهذا كانت تعقد في الحرمين المكي والمدنى في أوقات موسم الحج حلقات مختلفة من جميع العلوم النقلية والعقلية ومختلف المعارف[٢] .

ومن الملاحظ أن بيوت العلم قد انتشرت في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وتوارثها أبناؤهم من بعدهم ، كما كان يتوارث بيوت الخطباء والأئمة في المساجد [٣] .

أما عن المدارس النظامية فان هذه الحقبة التي تخص البحث قد انتشرت فيها المدارس بمكة المكرمة ، أما المدينة المنورة فلم تحدثنا المصادر عن المدارس التي أنشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية [٤] .

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٣٢.
الأنصارى: تحفة المحبين والأصحاب ص ٢٢.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٣.
(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢١٥.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٢ ص ١٠١.
مرداد: نشر النور والزهر جـ ١ ص ٤ مطبوعات نادى الطائف.
الحسينى: الحياة العلمية ص ٣٦.
(٣) مرداد: نشر النور والزهر جـ ١ ص ١٧.
الحوت: رسالة المسجد ص ١٥٧.
(٤) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام جـ ٣ ص ١٦٩.
الحسينى: المدارس النظامية ص ٣٧.

المدارس النظامية

١) مدرسة الأرسوقى :

تبين لنا المصادر أن أول مدرسة انشئت فيها خلال تلك الحقبة الزمنية لهذا البحث هى مدرسة الارسوقى . ويذكر لنا الفاسى [١] في كتابه شفاء الغرام أن تأسيس هذه المدرسة كان سنة ٥٧١ هجرية وأن مؤسسها هو العفيف عبدالله ابن محمد الأرسوقى .

كما يذكر لنا ابن ظهيرة [٢] أن تاريخ تأسيس هذه المدرسة هو سنة ٥٩٢ هجرية .

ويتضح لنا من وقفية هذا الرباط الذي يعود الى رقيبه وهو المعروف برباط العفيف صاحب هذه المدرسة ولكن أبا رقيبة قد نسب اليه أن الذي أوقف الارسوقي صاحب المدرسة وعن شريكه القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى سنة احدى وسبعين وخمسمائة والحجر الذي على باب هذا الرباط يوضح هذا التاريخ .

ومن المعلوم أن هذه المدرسة كانت تدرس المذهب الشافعى اذ تعتبر أول مدرسة نظامية تأسست في مكة المكرمة [٣] . وتقع عند باب العمرة من جهة الشبيكة . أما الرباط فيقع أول المسفلة [٤] .

---

(١) الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٣٣٠.

(٢) ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ص ٦٨.

(٣) الفاسي : شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٣٢.
الفاكهى : المنتقى ص ٩١.
النهروالى : الأعلام ص ٨٩.
ناجى معروف : المدارس الشرابيه ص ٣٤٨ الطبعة الثانية ١٣٩٧.
الحسين : الحياة العلمية ص ٣٨.

(٤) الفاسى : شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٦.

٢) مدرسة الزنجبيلي :

وثاني المدارس النظامية التي أسست في مكة هي مدرسة الزنجبيلي . وقد تم تأسيسها سنة ٥٧٩ هجرية عند باب العمرة . وبنى بجوارها رباط خاص بسكن الدارسين فيها، ويفصلها عن المسجد الحرام دار واحدة [١] . ويذكر لنا ابن ظهيرة أن تاريخ تأسيس بناء هذه المدرسة كان سنة عشرين وستمائة للهجرة [٢] .

ويذكر لنا صاحب كتاب شفاء الغرام أن الزنجبيلي توفى قبل سنة ٦٢٠ هـ [٣] . ومن المرجح ان يكون التاريخ الأول هو التاريخ الصحيح لبناء هذه المدرسة كما أن الرباط أوقف هذه السنة .

ويذكر لنا المؤرخون أن الدراسة فيها كانت على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان [٤] . وللمدرسة عدة أسماء منها : المدرسة الفخرية نسبة للأمير فخر الدين والاسم المتعارف عليه هو مدرسة الزنجبيلي نسبة الى مؤسسها فخر الدين عثمان بن على الزنجبيلى نائب عدن [٥] .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٢.
ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٣٥.
أبو شامه: الروضتين جـ ٢ ص ٢٦.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ٣ ص ٣٩٧.
ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٤٩.

(٢) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٦٨.

(٣) الفاسي: شفاء الغرام جـ ٢ ص ٢٣٦.

(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٨ ص ٢٦١.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ٣ ص ٣٩٨.
ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٤٩.

(٥) ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٤٩.

٣) مدرسة طاب الزمان :

سميت بهذا الاسم نسبة الى طاب الزمان الحبشية عشيقة المستنصر العباسى ، أوقفتها سنة ٥٨٠ هجرية ، على أن يدرس فيها المذهب الشافعى والأرجح أن طاب الزمان الحبشية هي عشيقة المستضىء . وتقع هذه المدرسة بدار زبيدة ، وأوقفتها طاب الزمان وقصرتها على فقهاء الشافعية (١) .

٤) مدرسة النهاوندى :

تقع هذه المدرسة عند الدريبة . وقد أسست في أوائل القرن السابع الهجرى . ولم تذكر لنا المصادر لماذا سميت بهذا الاسم . ومن هم فقهاؤها (٢) .

٥) مدرسة ابن أبى زكريا :

سميت بذلك نسبة الى على بن أبى زكريا ويعرف بأبى ظاهر المؤذن وأوقفها باسم الامام الشهيد ، ولا يعرف شيء عن المدرسة سوى ما ذكره الفاسى في كتابه (٣) .

٦) مدرسة ابى الحداد المهدوى :

وتعرف هذه المدرسة بمدرسة الأشراف الأدارسة وتاريخ وقفيتها في شهر

---

(١) الفاكهى: المنتقى ص ١٠٤.
النهروالى: الأعلام ص ٩٨.

(٢) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٤٤.
الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ١١٨.
معروف: المدارس الشرابية ص ٣٥٠.

(٣) الفاسي: تحصيل المرام ورقة ٦٥.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠.
ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٥٠.

ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هجرية ، أوقفت على المالكية ولا يعرف من أوقفها ولا شرط وقفيتها . وكانت الدراسة فيها على مذهب الامام مالك [١] .

٧) المدرسة المظفرية :

في سنة ٦٤١ هجرية ، أنشئت مدرستان في مكة . الأولى المظفرية والثانية الفخرية [٢] وتعرف بأسماء عديدة « الفخرية ـ مدرسة الشلاح ـ أو المنصورية ـ أو مدرسة السلطان » .

ويظهر لنا أن هذه الأسماء الخمسية ، أطلقت على هذه المدرسة نسبة الى الاسم واللقب ، أو نسبة الى الواقف أو المتولى أمر هذه المدرسة . فالفخرية نسبة الى فخر الدين ، والشلاح نسبة الى فخر الدين الشلاح أمير مكة . والمنصورية نسبة الى المنصور صاحب اليمن ، الذي عمرها على يد الأمير فخر الدين الشلاح . ومدرسة السلطان نسبة الى السلطان السابق ، وتسمى المظفرية نسبة الى الملك المظفر صاحب اليمن [٣] .

ويذكر ابن بطوطه [٤] في رحلته عن هذه المدرسة أنه سكن بها وجلس في حلقات الدرس . وكان مقيما في الشباك الذى يشرف على المسجد الحرام ، وجلس في حلقات درس الفقيه الزاهد الحاج أبو الحسن على بن رزق الله الانجرى من أهل طنجة .

---

(١) الفاسى: تحصيل المرام ورقة ٦٦.
ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٥٠.

(٢) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠.

(٣) ابن بطوطه: الرحلة ص ١٥٠ — ١٥٤.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٢.
ناجى: المدارس الشرابية ص ٣٥٢.

(٤) ابن بطوطه: الرحلة ص ١٥٥.

ويصف ابن بطوطة [1] هذه المدرسة فيقول : ان لها رواقين من الداخل ، رواق يشرف على الكعبــة تجاه الركن اليمانى ، والآخر يشرف على مخرج باب العمرة . وبداخلها فناء بنيت فيه بركة وسبيل باسم الملك المنصور صاحب اليمن .

ويضيف صاحب كتاب «العسجد المسبوك» [2] ان أخت السلطان الملك المنصور صاحب اليمن وزوجته حجت سنة ٦٤٥ هـ . وسكنتا بهذه المدرسة طوال فترة اقامتهما بمكة . وانهما أمرتا بحفر بئر داخل المدرسة من أجل توفير المياه لطلبة هذه المدرسة لسقيا الطلاب . ولكى يظل السبيل مملوءا بالماء ، خدمة لطلب العلم .

ومن المعلوم أن الأمير شرف الدين الشرابى المستنصر العباسى بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب بنى شيبة وأوقف على هذه المدرسة كتبا كثيرة . وتاريخ وقفيه هذه المدرسة سنة ٦٤١ هـ وظلت المدرسة حتى أواخر القرن العاشر الهجرى ، ثم أهملت بعد ذلك . وبنى بجوارها رباطا على أن يكون ملحقا بالمدرسة وسكنا للطلبة والدارسين [٢] .

ويصف ابن فهد [1] في كتاب اتحاف الورى بأن مكتبة هذه المدرسة كانت تضم كتبا نفيسة في فنون العلم والمعرفة .

---

(١) المصدر السابق: ص ١٥٦.

(٢) الغساني: العسجد المسبوك ص ٢١٠.

(٣) النهروالي: الأعلام ص ٢٥١.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١١٨.
ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٧١.

(٤) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٥.

وذكر ابن بطوطة [1] في الرحلة وصفا للمدرسة وللرباط معا فيقول : انهما تتكونان من طابقين تقام بهما المدرسة .

كما يذكر صاحب كتاب المدارس الشرابية [2] أنه لم يعثر على أسماء المدرسين أو الفقهاء بهذه المدرسة على الرغم من أنها ظلت تقام فيها الدراسة ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف منذ تأسيسها حتى زمن المؤرخ قطب الدين الدين النهرواني .

ويؤكد لنا صاحب كتاب المدارس الشرابية [3] أنه أتى الى مكة لأداء الحج والعمرة سنة ١٩٥٤ ميلادية ، وبدأ يتجول عند باب السلام ، من الجانب الأيمن لملاحظة ما بقى من أطلال هذه المدرسة الشرابية ، فرأى بقايا من المباني القديمة . كما وجد عددا من الحجرات الصغيرة تشبه الخلاوى . ويبدو أنها من حجرات رباط الشرابى . وهى تشبه في الحجم والسعة ومادة البناء شرابية بغداد . وهذا يوضح أن التصميم والبناء في كل من شرابية بغداد وواسط ومكة ، كان على أيدي مهندسين معماريين من العراق أوفدهم الشرابى لبناء المدارسه . كما أنه لاحظ الرباط الذي بجوار المدرسة ، والذي بناه وكيل الشرابى في مكة الشهاب ريحان ، كما لاحظ أمكنة التدريس بهذا الرباط .

ويذكر بأن هذا الرباط ظل قائما حتى العهد العثمانى .

وكانت أوقاف الشرابى على طلبة هذه المدرسة والمدرسين بها قرى في

---

(١) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٨.
(٢) ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٧٢.
(٣) المصدر السابق ص ٣٧٤، ٣٧٥.

وادى مر وقرى أخرى في وادي نخلة على أن يتم توزيع ريع هذه الأوقاف بشرط هذه الوقفية (١) .

وقد وقف الواقف على المدرسين والفقهاء والسكان بالمدرسة والرباط ما اشتراه من حدائق في وادي مر ووادي نخلة من أعمال مكة المشرفة وجعل ريع ما يحصل عليه منها كل سنة ، خمسة أقسام ، قسم للمدرسين بالتساوى فيما بينهم وثلاثة أقسام للطلبة بالسوية ، والقسم الأخير يقسم ثلاثة أقسام :

قسم يصرف على مصالح المدرسة من والماء . والقسمان الآخران يصرفان لخدمة المدرسة والمكتبة (٢) .

ومن المعلوم أن هذه المدارس أنشئت في مكة المكرمة واهتمت بدراسة العلوم الدينية وأهمها القرآن وعلومه فقد كان الشغل الشاغل للمدارس تدريس العلوم الدينية على المذاهب الأربعة ، فمدرسة الزنجبيلي اختصت بتدريس المذهب الحنفى . ومدرسة ابن الحداد بتدريس المذهب المالكى . وأما الشرابية فقد اهتمت بتدريس المذاهب الأربعة وعلوم اللغة . وأما المدرسة المظفرية فقد اختصت بتدريس فقه الشافعى وعلم الحديث والرواية (٣) .

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٥٦.
الفاكهى: المنتقى ص ٢٤١.
النهروالى: الأعلام ص ٢٦٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٦٧.
(٢) ناجى معروف: المدارس الشرابية ص ٣٧٦.
(٣) ابن بطوطة: الرحلة ص ١٥٤.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٢٤٠.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ١٠٥.
النهروالى: الأعلام ص ٩٨.
باقاسى: بلاد الحجاز ص ١٣٦.

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذه المدارس التي ظهرت في مكة في هذه الحقبة الزمنية أنشأها الحكام المسلمون من خارج مكة ولعل السبب الرئيسى لذلك مكانة مكة بالنسبة لقلوب المسلمين ولهجرة أكثر العلماء المهتمين بالعلوم الدينية الى مكة ، ولذا فان هذه الحقبة أدت الى رواج هذه المدارس وتولى هؤلاء الحكام أمر هذه المدارس وأوقفت أوقاف مختلفة لها .

الكتاتيب :

للكتاتيب دور علمى عام في الحياة العلمية والثقافية في بلادالحجاز، ومن المعروف أن الكتاب ظهر كمؤسسة تعليمية مع بداية نشوء الدولة الاسلامية منذ بداية العهد الاسلامى . اذ يعتبر الكتاب هو المؤسسة التعليمية التي وجدت في المجتمع الاسلامى ليهتم بتربية الصغار . وسمى بهذا الاسم لأن الطفل يتعلم فيه الكتابة والقراءة . ثم انتشر هذا الاسم حتى صار متعارفا على أية مؤسسة تعليمية تعتنى بتعليم الصغار [١] .

ومن الواضح ان الكتاب نشأ مع نشوء المسجد ليسهم في نشر العلم والمعرفة ومع بداية نشوئه كان مقره المسجد [٢] . ومن أهم العلوم التى ساهم الكتاب في نشرها ، قراءة القرآن الكريم ، وحفظه وتجويده . وجميع علماء الدولة الاسلامية تتلمذوا في هذه الكتاتيب في بداية حياتهم [٣] . فمثلا الامام الشافعي درس في طفولته في مكة . وقرأ على يد مقرئها الكبير ابن قسطنطين سنة ١٧٠ هجرية [٤] . وحينما انتقل الى مصر سنة ١٩٨ هجرية ادخل الى المصريين قراءة المكيين وهى التكبير من سورة الضحى الى آخر القرآن الكريم بعد أن انتشرت في مصر منذ الفتح الاسلامى قراءة ورش التى كانت تكون

---

(١) النهروالى: الأعلام ص ٢٦٣.
الشامخ: التعليم في مكة والمدينة ص ١٤.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٧.
(٢) مرزوق بكرى: المسجد محور للنشاط ص ٥٠٥.
(٣) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣.
الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٣.
(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٢ ص ٢١٠.
ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٣٢.
الحسينى: الحياة العلمية ص ٣٢، ٣٣.

المدرسة المصرية في القراءة [1] . وجاء الامام الشافعي فادخل لهم قراءة المدرسة المكية [2] ومثال ذلك قراءة الآية : « ذلك ادنى ألا تعدلوا » وهى قراءة مكية . وأما القراءة المصرية » ذلك أدنى ألا تعولـــوا » وهناك أمثلة كثيرة في اختلاف القراءتين [3] .

وللمدرسة المدنية دور في التحام المدرستين معا اذ أن ورش هو من تلامذة المدرسة المدنية . والمدرسة المصرية تشبه الى حد كبير المدرسة المدنية التي رفع لواءها نافع واستطاع تلامذته أن يجعلوا من قراءته مثلا آخر للمدرسة المدنية في مصر ، وعلى رأسهم تلميذه ورش أحمد بن صالح الطبرى [4] .

وقد تتلمذ ورش على غير نافع مثل اسماعيل وعبد الحميد أبناء أخت الامام مالك [5] . وبهذا فقد اشبهت المدرسة المصرية المدرسة المدنية في وجوه القراءات المختلفة كالوصل والوقف والمد اللازم واثبات الالف في الوصل [6] .

ومن المعلوم أن تاريخ القراءات ارتبط ارتباطا وثيقا بقراءة مكة والمدينة ، فالمدرسة المصرية والبصرية والكوفية ومدرسة بغداد ودمشق تتشابه وتتحد في قراءاتها مع المدرستين المكية والمدنية [7] والنظام المتعارف عليه في الكتاتيب هو تعليم الأطفال قراءة القرآن ومساعدتهم على حفظه وتلاوته تلاوة جيدة [8] .

---

(١) ابن هشام: السيرة جـ ١ ص ٤٣٤.
خورشيد: القرآن وعلومه في مصر ص ١١٢، ١١٣. دار المعارف بمصر ١٩٧٥.
(٢) السبكي: طبقات الشافعية جـ ١ ص ١٨٨.
(٣) خورشيد: القرآن وعلومه في مصر ص ١١٨.
(٤) خورشيد: القرآن وعلومه في مصر ص ١١٨.
(٥) خورشيد: القرآن وعلومه ص ١٢٤.
(٦) ابن النديم: الفهرست ص ٢٨.
(٧) خورشيد: القرآن وعلومه ص ١٤٠.
(٨) الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٨.
الحسيني: الحياة العلمية ص ٣٣.

وقد سبق أن أوضحنا ذلك في الباب الرابع من هذه الرسالة عند الحديث عن العشر الأواخر من شهر رمضان ، واحتفالهم بحفظ أطفالهم للقرآن واحتفالهم في أيام الوتر منها .

حلقات الدرس في الأربطة :

أما النوع **الأخير من** النظام التعليمى فهو حلقات الدرس في الاربطة والزوايا . فان عموم الأربطة التى انشئت في مكة والمدينة كان يسودها طابع الدراسة [1] ، لأن الذين يسكنون في الأربطة هم طلبة العلم . كما كان يوجد اربطة خاصة للصوفية وأهمها رباط الخاتون الذى انشىء وأوقف سنة ٥٧٧ هجرية . ومكتوب على بابه ان هذا الرباط أوقف وحبس على الصوفية الرجال الصالحين من العرب والعجم . والذى أوقفه هى الشريفة فاطمة وهذا الرباط كانت تقام فيه حلقات الدرس والذكر والتدارس فيما بينهم [2] .

ولا يتضح لنا مدى التقدم العلمى في هذا الرباط في نفوس الطلاب ، بل يظهر في نفس الطلاب الحرارة الروحية والشوق للتقرب الى الله . فربما يقضى الطالب فيه سنوات عديدة دون ان يصل الى درجة روحية فيتخرج الطالب وهو غير صالح للتصوف . وربما يقضى طالب آخر فترة قصيرة فيخرج من كبار أهل الطرق الصوفية [3] .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٨٠.
السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١٥٦.
السبكى : طبقات الشافيه جـ ٤ ص ١٨.
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٨٥.
السخاوي : التحفة اللطيفة ص ١٥٩.
(٣) الفاسي : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٤٠.
الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١١٠.
شوقي ضيف : تاريخ الادب جـ ٥ ص ٤٨.

وثانى هذه الأربطة التي اشتهرت بالتصوف رباط الحوزى الذي أوقف سنة ٦١٧ هجرية . وقد أوقف على الصوفية الفرس فقط دون غيرهم [(١)] .

أما النوع الأخير من أنواع الدراسة وهو الأعم والأغلب فهو الدراسة في المقامات الأربعة في المسجد الحرام [(٢)] . وفي الحرم النبوى اتخذ أصحاب المذاهب الاربعة زوايا فيه للدراسة والمناظرة ، فيجتمع رجال المذاهب كل على حده للدراسة والصلاة [(٣)] . واخذ نظام الدراسة صبغة نظامية . واقيمت حلقات في علم الحديث والتفسير وعلوم اللغة . فكان الطلبة يجلسون في المقام كل حسب مذهبه ، ويستمعون من مشايخهم . ويتدرج هؤلاء الطلبة في الاجازات حتى الطالب الى درجة علمية تتم فيها حفلة عظيمة ، يقيمها مشايخه لاعطائه الاجازة الكبرى التي تجيز له التدريس في الحرمين الشريفين [(٤)] .

العلوم العقلية :

تتمثل هذه العلوم في علوم الفلسفة والرياضيات والطبيعة وأول العلماء الذين اشتغلوا بهذه العلوم من سكان الجزيرة العربية هو يعقوب بن اسحق الكنهى فقد صنف في علوم الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضيات [(٥)] .

---

(١) الفاسي: العقد الثمين ص ٢٥٨.
الفاسي: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣٣٠.

(٢) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ١٤٦.
الفاسى: العقد الثمين جـ ١ ص ٢٨٠.
السباعي: تاريخ مكه جـ ١ ص ٢٢٠.

(٣) ابن بطوطه: الرحلة ص ١٨٠.

(٤) الفاسي: العقد الثمين جـ ٢ ص ٨٥.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١٦٣.

(٥) الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٨٠.
ابن الربيع: ذرة العيون جـ ٢ ص ٦٨.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٥٩.

ويصف لنا ابن النديم [1] في كتابه الفهرست انه زاد في هذه العلوم فصنف في الطب والمنطق . وله ما يقرب من مائتين واربعين كتابا . ويقول : انه ترجم أغلب هذه الكتب من اليونانية الى العربية .

ومن الملاحظ أن الكندى اشتهرت علومه بالبصرة التى تعلم بها وهو من أصب يمنى [2] .

ومن المعلوم أن اليمن تعتبر اكثر اقاليم الجزيرة العربية اشتراكا في مراكز العلوم . وفي بداية العصر العباسى الثاني برز عالم يمنى هو أبو محمد الحسن الهنداوى الذي صنف المصنفات المختلفة . ومن أهمها كتاب « سرائر الحكمة » وهو يختص بعلم الفلك كما انه الف في الطب والانساب والتاريخ : وله كتب عديدة في علوم مختلفة [3] .

ومن الملاحظ ان الدعوة الاسماعيلية زمن الدولة الصليحية ساعدت على نشر علوم الفلسفة . ولقد اتخذت من رسائل اخوان الصفا دعاية لنشر هذه العلوم . وبرز دعاة الفاطميين في هذه العلوم .

ولقد انتشرت علوم المعقولات والمحسوسات [4] . ويبدو أنه بعد سيطرة الرسوليين على اليمن والحجاز برزت علوم الطب وعلوم الفلك والرياضيات والهندسة في هذه الفترة الزمنية . ويعود السبب الى تشجيع سلاطين بنى رسول للعلماء . واغداق الاعطيات والهبات لهم [5] .

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٦٢.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٨ ص ١٠٨.
خير الدين الزركلي: الأعلام جـ ٦ ص ١٣٧.
(٣) شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٦٢.
(٤) المرجع السابق: ص ٦٣.
(٥) الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ١٨٦.
ابن الربيع: قرة العيون جـ ٢ ص ٦٧.

علـــم الملاحـــة :

برز علم الملاحة في الجزيرة العربية في منتصف القرن الرابع الهجرى . وبدأ يزدهر هذا العلم مع دراسة للرياح والشواطىء والجزر في البحر الأحمر والمحيط الهندى . وهذا ساعد على اتصال الهند وجزر الهند الشرقية . وانتقال الحضارات بين الجزيرة العربية وهذه الأقاليم [١] . ومن أشهر هؤلاء البحارة هو شهاب الدين أحمد بن ماجد الذي ولد سنة ٨٣٠ هجرية . وكان ينظم الشعر ويجيد النثر وله أراجيز وقصائد تبلغ العشرين كانت مخصصة في علم البحار والفلك والملاحة . وألف كتابا في أصول علم البحر والقواعد . وهو من ضمن مخطوطات مكتبة باريس [٢] . ويختص هذا الكتاب في الملاحة والبوصلة والاسطرلاب [٣] . ويعرض لكتب الملاحة التى قبله . ويذكر ثلاثة من البحارين هم : سهل بن ابان ومحمد بن شانان وليث بن كهلان ، معتمدا في ذلك على كتيب عثر عليه لسهل بن أبان كان تاريخه سنة ٥٨٠ هجرية [٤] .

ومن الواضح أن ابن ماجد استفاد من هؤلاء الملاحين الذين سبقوه ، ويشيد بهم ، الا أن معارفهم البحرية تدل بأنها لم تتجاوز البحر الأحمر والخليج العربي . ويقول في كتابه : ان هذا العلم قد توارثه عن أبيه عن جده ، لذا فان عائلته كانت تشتهر بالملاحظة . وهو ابرزهم لما صنفه من مصنفات [٥] .

---

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٠١.
الغساني : العسجد المسبوك ص ٢٢٩.

(٢) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي جـ ٥ ص ٦٣.

(٣) المرجع السابق : ص ٦٤.

(٤) حسين الصيرفى : علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية العدد ٢٤ مجلة مجمع اللغة العربية ص ١٤٢.

(٥) المرجع السابق : ص ١٤٣.

ولقد استفاد الملاحون البرتغاليون من ابن ماجد وعن طريقه استطاعوا الوصول الى الهند (١) .

العلوم الدينية :

التفسير والحديث والفقه :

من الثابت أن العلوم الدينية انتشرت في جميع أمصار الدولة الاسلامية . فالجزيرة العربية شاركت واشتركت في نشر هذه العلوم والمعارف ، اذ انه لم توجد فوارق بين بلد وبلد . ولم يكن طلاب العلم مكتفين بالأخذ من علماء بلدهم ، بل كانوا يرحلون للقاء العلوم في مصر والعراق والشام ليتلقوا العلم عنهم ، وحيث أن الحج والزيارة كانا ملتقى العلماء وطلاب العلم من جميع الاقاليم (٢) فمثلا العالم الفقيه عبد الملك بن عبدالله النيسابورى كان من علماء الفقه ، أتى الى مكة وجاور بها سنة ٤٧٨ هجرية ومكث بها أبع سنوات قضى جزءا منها بالمدينة المنورة ، ولقب بامام الحرمين . فكان يدرس ويجتهد في فقه الامام الشافعى حتى وصفه علماء بغداد بأنه وقف على المشرق والمغرب لعجزهم امامه في بعض المسائل الفقهية (٣) .

ولما بلغت شهرته في بغداد عاد الى بلده نيسابور اذ أمر نظام الملك وزير

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٦٢.
(٢) ابن النديم: الفهرست ص ٢٣٤.
ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٦٨.
خورشيد: القرآن وعلومه ص ٢٣٠.
(٣) السبكى: طبقات الشافيه جـ ١ ص ٢٤٨.
ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٠ ص ٣٠٤.

السلطان أرسلان ببناء مدرسة له في نيسابور . وكان يقوم بالتدريس فيها حتى يقال بان حلقته كان عدد طلابها ما يقرب من أربعمائة طالب [1] .

واشتهر في مكة علماء آخرون اشهرهم محب الدين الطبرى المكى لقب بشيخ الحرم المكى ولد سنة ٦١٥ هجرية . وتتلمذ على يد استاذه أبى الحسن ابن على بن المقير درس على يده علوم الحديث . وبرع في علم الرواية . ثم قرأ صحيح مسلم على يد عبد الرحمن بن حرمى المشهور بالحافظ . وتتلمذ على أعمامه من عائلة الطبرى امثال على بن يعقوب الطبرى . وتتلمذ على شيخ الحرم المكى نجم الدين التبريزى . وهو الذي اسند اليه مشيخة الحرم المكى سنة ٦٤٩ هجرية [2] .

ومن تلامذته المحدث عبيدالله بن عبد العزيز المهدوى المكى ونجم الدين بن عبد الحميد وعلاء الدين العطار وشمس الدين بن مسلم الحافظ الدمياطى . وهو من قضاة المدينة [3] . وقد برع تلامذته في علم الحديث في الحجاز وبغداد ومصر ، وقد استدعاه المظفر الرسول وسمع منه مؤلفاته ، وسمع منه علوم الحديث وصحح للملك المظفر كتاب العمدة . وهذا الكتاب جمع فيه احكام الصحيحين وهو كتاب مختصر [4] .

ومن أهم كتاب الطبرى كتاب القرى لقاصد أم القرى وقد حققه الاستاذ مصطفى السقا جمع فيه احاديث المناسك من كتب السنة ، وله كتاب آخر يسمى غاية الناسك من أحكام المناسك يصف فيه حجة النبى صلى الله عليه وسلم [5] .

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٧ ص ٥٧٨.
المكناسى: درة الحجاج جـ ٣ ص ١٣٤.

(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ١ ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق جـ ٧ ص ١١٩.

(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٧ ص ١١٩.

(٥) مرداد: نشر النور والزهر جـ ١ ص ٧٨.

ومن مصنفاته الفقهية شرحه على كتاب التنبيه لابى اسحق الشيرازى . وله مختصرات في غريب القرآن منها : الكافى [١] .

ومن المفيد أن نذكر أن محب الدين الطبرى كان رمزا للحركة العلمية في بلاد الحجاز في هذه الحقبة الزمنية . وسمعته فاقت جميع اقطار الجزيرة العربية [٢] .

ومن المعلوم ان علوم التفسير نشطت نشاطا عظيما كعلوم الحديث . فنلاحظ أن الطبرى خدم التفسير خدمات جليلة . وأهمها كتابه الجامع لتفسير القرآن . وقد توفى قبل ان يكمله ويتمه [٣] .

وقد سبقه من علماء التفسير الامام الزمخشرى محمود بن عمر الذى جاور بمكة قبيل فترة الطبرى ، ولقبه الفاسى في كتابه بانه الامام الكبير في التفسير اذ صنف كتابه الكشاف بمكة المكرمة الذى ضمنه آراءه الاعتزالية ، ولقبه ابن خلكان بانه كان امام عصره وان تفسيره الكشاف لم يؤلف مثله من قبل وقام بتدريس كتابه في مكة . وكان يعتز بآراء قاضى مكة أبى المعالى يحيي بن عبد الرحمن الشيباني [٤] .

---

(١) أنظر الطبرى: القرى لقاصد أم القرى ص م تحقيق مصطفى السقا.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٧ ص ١٢٠.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٢٦.
مرداد: نشر النور والزهر جـ ٢ ص ٣٦٦.
(٣) الفاسى: العقد الثمين جـ ٧ ص ١٢٣.
(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٧ ص ١٢٣.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٣٠.

مشاهير العلماء والقضاة والمجاورين بالحرمين :

لقد ازدهرت الحركة العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن الخلفاء الفاطميين والايوبيين وبنى رسول . ولقد اقتصرت هذه الحركة على حلقات المدرسين في المسجدين الحرام والنبوى قبل نشأة المدارس النظامية في الربع الاخير من القرن السادس الهجرى . ولقد برزت عائلات اشتهرت بعلمها فأوقفت ابناءها على هذه الحركة [1] .

وتمدنا المصادر التي تخص هذه الحقبة الزمنية لهذا البحث بذكر العلماء الذين جاوروا في كلتا المدينتين مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولا يكاد يخلو مصدر من هذه المصادر من التحدث عن هؤلاء العلماء الذين جاوروا وبرزوا حتى أصبحت أهميتهم بالغة في الحرمين الشريفين [2] .

ومما لا شك فيه أن هؤلاء المجاورين كانوا من المصريين ، والسبب واضح في أن هذه الفترة ارتبط الحجاز فيها بمصر ارتباطا وثيقا . ويأتى من بعدهم في العدد والعدة الشاميون والعراقيون من عبدهم ثم المغربيون واخيرا اليمنيون ، اذ ان أكثرهم كانوا مصريين ، والسبب هو قرب المسافة بين البلدين ، وارتباط اشراف مكة بالخلفاء الفاطميين، لذاكان من السهل انتقال العلماء من مصر الى

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢١٥.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٢ ص ١٠١.
النهروالى: الأعلام ص ٧٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٩٣.

(٢) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٠.
ابن بطوطة: رحلة ص ٥٤.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٤٠٣.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٠٣.

الحجاز . وربما كانت قلة العراقيين ترجع الى اختلاف الخلافة العباسية مع امراء مكة والمدينة [1] .

ومن الواضح أن هؤلاء المجاورين ربما كانوا تمارا من مختلف أمصار الدولة الاسلامية ، أتوا الى مكة للمجاورة ، أو لتقديم الصدقات للفقراء في الحرمين الشريفين . وربما كان بعض هؤلاء المجاورين يأتون الى مكة ليقضوا فترة من عمرهم الزمنى للراحة والصفاء الروحى [2] . وربما كان بعضهم يأتون للمجاورة ويقضون بقية عمرهم الزمنى في مكة ، حتى صاروا جزءا من المجتمع المكى والمدنى [3] . وربما كانت هجرة أغلبيتهم من منتصف القرن الثالث الهجرى . وسبب ذلك يرجع الى كثرة الاربطة التى أنشئت في هذه الحقبة الزمنية بكلتا المدينتين . وانشاء المدارس النظامية في مكة ساعد على استقرارهم . فأصبحوا بذلك يتولون المناصب العلمية في هذه المدارس العلمية [4] .

ولقد اشتهرت بعض هذه العائلات التي استقرت في مكة والمدينة والذين اصبحوا متخصصين في العلم ونهج ابناؤهم على نهجهم العلمى واشهر هذه

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٨.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٣ ص ١٦٨.
ابن بطوطة: الرحلة ص ٧٦.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٠.
(٢) المقريزى: السلوك جـ ٢ ص ١٧٧.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٧ ص ١٢١.
(٣) المقريزى: السلوك جـ ٢ ص ١٨٠.
(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٣ ص ١٧٩.
النهروالى: الاعلام ص ١٩٨.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٦٨.

العائلات آل الطبرى وآل ظهيرة القرشيين وآل النويرى . وبرز منهم اسماء كثيرة ، استطاعوا ان يشاركوا حتى في القضاء [١] .

ومن الثابت أن آل الطبرى خرج من نسائهم عالمات كن يجزن رواية الحديث الذى اخذن روايته عن آبائهن بالعلماء [٢] .

ومن الثابت أن منصب الخطابة كان ينتقل في ثلاثة بيوت هي : بيت الطبرى ، وبيت ظهيرة ، وبيت النويرى . وأقدم هذه البيوت هو بيت الطبرى . وأول من قدم منهم الى مكة المكرمة هو الشيخ رضى الدين أبو بكر ابن محمد بن ابراهيم بن على الحسينى الطبرى سنة ٥٧٠ هجرية [٣] . وقد انجب الشيخ رضى الدين سبعة أولاد أصبحوا كلهم فقهاء وعلماء ومدرسين وقضاة وخطباء حتى توفى سنة ٦١٣ هجرية [٤] .

ويذكر الفاسى [٥] في كتابه العقد الثمين انه توفى في عرفات سنة ٧١٣ هجرية . ومن الملاحظ أن وظيفة القاضى في الحجاز ، تعتبر الوظيفة الثانية

---

(١) الطبرى: الزوج المسكى ورقة ٧٦.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ١٩٦.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٠٨.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٦٦.
القلقشندى: صبح الاعشى جـ ٨ ص ١٤٠.
النهروالى: الاعلام ص ٢٨٨.
(٣) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٢٥.
الفاسي: العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٧٦.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١١٨.
(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٨٢.
دحلان: خلاصة الكلام ص ٥٠.
(٥) الفاسى: العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٨٦.

بعد ولاية مكة والمدينة المنورة . ولا بد أن يكون قاضى البيت الحرام والمسجد النبوى من كبار العلماء والفقهاء . ومن أشهر من تولى منصب القضاء من عائلة الطبرى هم : القاضى محيي الدين أبو جعفر أحمد بن أبى بكر بن ابراهيم الطبرى المكى ، الذى ولد بمكه سنة ٥٧٣ هجرية . وتلقى تعليمه على يد زاهر ابن رستم ويوسف الهاشمى وابى المظفر بن علوان وابى بكر بن حرزالله . وتفقه عليهم وتتلمذ على ايديهم في علوم شتى . وتولى القضاء محيي الدين أبو جعفر واستمر فيه حتى توفى سنة ٦١٤ هجرية [١] . وكان اخوه تقى الدين أبو الحسن على بن أبى بكر بن ابراهيم الطبرى المكى اماما للمقام وخطيبا للمسجد الحرام [٢] .

ومنهم أيضا أبو اسحاق ابراهيم بن على بن الحسن الشيباني الحسينى الطبرى الذى تولى أمر قضاء مكة سنة ٥٤٠ هجرية . وقد عاصره أبو القاسم الطبرى الذى تولى أمر قضاء مكة سنة ٥٥١ هجرية [٣] .

ولقد تولى أمر القضاء بمكة من هذه العائلة ايضا عبد الكريم بن يحيي عبد الرحمن الشيباني الطبرى المكى الشافعى . ويبدو مما ذكره الفاسى أنه توفى

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٦٧.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٧٨.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٢١٠.

(٢) الفاسي: العقد الثمين جـ ١ ص ٣٣١.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٨٠.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٢٣٥.

(٣) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٤٠.
المقريزى: السلوك جـ ٢ ص ٢٨٦.
مرداد: نشر النور والزهر جـ ١ ص ٣٨.

سنة ٦٤٢ هجرية . واستمر في هذا المنصب حتى عزل في شوال سنة ٦٤٥ هجرية [1] .

ومن أشهر قضاة المدينة المنورة أبو الطيب الحسنى الحنفى الازهرى . وقد وفد من مصر وتتلمذ في الازهر الشريف ثم رحل الى المدينة في منتصف القرن السادس الهجرى وتولى أمر القضاء فيها . ومن أبنائه أحمد وعباس اللذان توليا أمر الخطابة والامامة بالمسجد النبوى الشريف [2] .

ومن أشهر قضاتها أيضا الحاج أحمد الاندلسى الذي تولى أمر القضاء أيضا في بداية القرن السابع الهجرى . ومن أشهر القضاة أيضا القاضى أحمد المغربى المالكى الغربانى ، قدم المدينة سنة ٦٠٠ هجرية وتولى أمر القضاء بها سنة ٦٢٥ هجرية . وتوفى سنة ٦٧٠ هجرية وهو لا يزال بمهنة القضاء . ومن أبنائه عبد القادر الذى تولى أمر القضاء بالمدينة بعد والده . وأما عبد القادر فكان يقوم بتدريس المذهب المالكى في رباط المغاربة بالمدينة المنورة [3] .

ومن المعلوم أن تعدد القضاة في بلاد الحجاز قد صاحبه أيضا تعدد العلماء الوافدين الى الحجاز . والذين كانوا يهدفون من وراء ذلك المجاورة والتعليم . ومن أشهرهم أبو عبدالله محمد بن على بن اسماعيل اليمنى الشافعى الذي

---

(١) الفاسي: العقد الثمين جـ ٤ ص ٢٢٤.
النهوالى: الأعلام ص ١٨٢.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٢.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٧٧.

(٣) الفاسى: العقد الثمين جـ ١ ص ٢٣١.
النهوالى: الأعلام ص ١٩٧٨.
ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٩٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٢.

استوطن بمكة . ولغزارة علمه اسندت اليه رئاسة الفقه والحديث . واستمر بمكة حتى سنة ٦٠٩ هجرية [١] .

ومن العلماء أيضا الشيخ مكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم محمد الاصفهانى الاصل . البغدادى المولد . وقد تفقه في مذهب الامام مالك ثم رحل الى مكة وتتلمذ على يد مشايخها ومنهم أحمد بن أبى بكر الطبرى . وظل يتتلمذ على يده حتى اتيح له التدريس بالمسجد الحرام ، واستمر يمارس هذه المهنة اعواما حتى توفى سنة ٦٠٩ هجرية [٢] .

ويعتبر الشيخ أبو بكر بن ابراهيم بن محمد الاربى من أشهر علماء الفقه الشافعى بمكة المكرمة ، وقد نزل بها ، واستمر في مهنة التدريس بالمسجد الحرام حتى توفى سنة ٦١٣ هجرية [٣] .

أما الفقيه الشافعى امام الدين أبو طالب عبد المحسن بن أبى العميد الذى تولى أمر امامة مقام الشافعى فانه تلقى علومه بهمدان وبغداد ، ثم رحل في طلب العلم الى القاهرة ودمشق . وأجيز من الجامع الأزهر إجازة التدريس ،

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٣٤.
الفاسى: العقد الثمين جـ ١ ص ١٣٦.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٣٣٥.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٣ ص ٦٦٨.
ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٢٢٥.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٢٠.
مرداد: نشر النور والزهر جـ ٢ ص ٧٦.
(٣) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٣١.
مرداد: نشر النور والزهر جـ ٢ ص ٨٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢١٨.

فأتى الى مكة وأقام برباط المراغى وأصبح امام المقام طوال حياته حتى توفى سنة ٦٢٤ هجرية [١] .

وأما الشيخ تاج الدين أبو القاسم الخضر بن عبد الواحد بن على بن الخضر الشافعي ، فقد كان من فقهاء الشافعية ، اتى الى مكة واستوطنها واخذ يدرس في الحرم الشريف سنة ٦٢٦ هجرية ، حتى وفاته سنة ٦٣١ هجرية [٢] .

أما المحدث المعزى جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر بن عثمان البجائى الذى يكنى بأبى الفضل ولد سنة ٥٨٨ هجرية ، وتتلمذ على يد أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى في بغداد ، ودرس علوم الحديث بها . ثم أتى الى مكة ، وقام بالتدريس في المسجد الحرام والمدرسة المنصورية المظفرية ، وتتلمذ على يده الحافظ شرف الدين الدمياطى وتوفى سنة ٦٤٤ هجرية [٣] .

أما أبو بكر بن عمر بن شهاب الصوفى فقد وفد الى مكة المكرمة من همدان ودرس على يد شيخ الحرم أبو الفرج يحيي بن ياقوت البغدادى وتتلمذ

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ٣ ص ١٦٨.
السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٢٤٥.
ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٧٧.
مرداد : نشر النور والزهر جـ ٢ ص ١٥٥.

(٢) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٤٨.
النهروانى : الأعلام ص ٢١٩.
مرداد : نشر النور والزهر جـ ١ص ٨١.

(٣) ابن الفهد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٣٠.
السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١٣٢.
الفاسي : العقد الثمين جـ ٢ ص ٣١٢.
البتانونى : الرحلة الحجازية ص ١١٧.

على يد الحافظ شرف الدين الدمياطى علوم الحديث . وكان يسكن برباط الخاتون بمكة المكرمة وعاش بها حتى توفى سنة ٦٤٧ هجرية (١) .

ومن أشهر علماء المالكية الذين جاوروا بمكة المكرمة ، وازدهرت على أيديهم الحركة العلمية في هذه الحقبة الزمنية : أبو الحسن على بن عبدالله ابن حمود الفاسى المكناسى امام المالكية بالحرم الشريف وأصله من مكناس اتى الى مكة سنة ٥١٢ هجرية لاداء فريضة الحج ، وتلقى علومه على يد أبى بكر الطرطوش . ويعتبر من علماء المالكية ولازمه أبو الحسن حتى اجازه التدريس في المسجد الحرام . واستمر بمكة حتى توفى بها سنة ٥٧٣ هجرية (٢) .

ومنهم جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الفتوح المكباسى إمام المالكية بالحرم الشريف ، اتى الى مكة سنة ٥٨٨ هجرية ، وجاور بها والف كتاب المقرب الذى يقع في ستة مجلدات وتوفى سنة ٥٩٢ هجرية .

أما الامام ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عمر النوروزى (٣) فقد تلقى علومه الدينية على يد أبى الحسن شهاب الدين وقرأ عليه كتاب عوارف المعارف وكتاب العروض ، وأتى الى مكة سنة ٦٢٠ هجرية . ودرس بمدرسة

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ١٣٦.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٦٩.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١٣٧.
(٢) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٧٤.
مرداد: نشر النور جـ ١ ص ١٨١.
(٣) الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ٢٤٥.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٧٤.

المالكية التى اسسها ابن الحداد المهدوى بالشبيكة في مكة ، وكان يسكن برباط المغاربة أمام باب ابراهيم عليه السلام وتوفى بمكة [1] .

وكان لفقهاء الحنابلة وعلمائها دور في الحياة العلمية في هذه الحقبة الزمنية ومن أشهرهم أبو محمد مبارك بن على بن الحسين البغدادى امام الحنابلة بالحرم المكى تلقى علومه على يد أبى الحسين عبيدالله البيهقى دلائل النبوة . ودرس على يده تاريخ الازرقى . وتتلمذ على يد أبى القاسم محمد بن أحمد المقرى ، وقام بالتدريس في الحرم المكى منذ سنة ٥٧٥ هجرية [2] .

أما أبو الفتوح محمد بن عبدالله الخبيلى امام الحنابلة بالحرم الشريف فانه تتلمذ في بغداد ثم رحل الى القاهرة ثم توجه الى مكة المكرمة واستوطن بها ودرس فيها حتى توفى سنة ٥٩٠ هجرية [3] .

ومن أئمة الحنابلة ايضا الذين وفدوا الى مكة المكرمة نصر بن محمد بن على ابن ابى الفتوح الهمذانى المعروف بالحصرى . قرأ القرآن الكريم على يد أبى بكر محمد بن عبدالله وأبى الكرم المبارك الشهرزورى وتتلمذ على يد الشريف أبى طالب سنن أبى داود وعلى يد أبى زرعة المقدسى سنن النسائى وابن ماجه ، وخصائص القرآن الكريم ، وتتلمذ على يد جماعته من الحفاظ برهان

---

(١) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٣١٨.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢١٧.
النهروالى: الأعلام ص ٢٣٨.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ٢٧٢.
ابن ظهيره: الجامع اللطيف ص ١٨٠.
(٣) الفاسى: العقد الثمين جـ ١ ص ١٣٢.
النهروالى: الأعلام ص ١٣٧.
ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين جـ ١ ص ٢١٠.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٢٥.

الدين والضياء المقدسى والشيخ الحصرى . وخرج من بغداد الى مكة وجاور بها ، وعين اماما لمقام الحنابلة بالمسجد الحرام [١] .

ومن أشهر علماء وفقهاء الاحناف أبو الفتح بن على بن أحمد بن محمد الحنفى امام الحنفية بالمسجد الحرام ، تتلمذ على يد المبارك بن الطباخ وعلى يد الشيخ نجيب الدين ، ودرس على يدهم اخبار مكة للازرقى ، تولى امامة مقام الحنفية سنة ٦١٦ هجرية [٢] .

أما النساء فقد برزن من عائلة الطبرى واشهرهن زينب بنت القاضى الحافظ التي اخذت عن والدها علوم الحديث وتتلمذ على يدها الرضى الطبرى وهو ابن عمها . ولقد برزت السيدة الطبرية بنت القاضى ابى جعفر في علم القراءات وتتلمذت على يد والدها ، وكانت تجيز أبناءها في القراءات [٣] .

ولقد لعبت المدينة المنورة دورا بارزا في الحياة العلمية التي تخص هذه الحقبة الزمنية . وكان من أشهر علمائها عبدالله بن محمد بن ابى الحسن المسعودى الهذلى وقد تولى امامة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٠ هجرية [٤] .

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ٥ ص ١١٢.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٨٠.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤١٠.
النهروالى: الأعلام ص ١٨٦.

(٢) الفاسى : العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٢.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٣٠.
مرداد: نشر النور جـ ٢ ص ٧١.

(٣) ابن فهد: اتحاف الورى ورقة ٣٣٤.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨٧.
مرداد: نشر النور جـ ٢ ص ٦٩.

(٤) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٨٠.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤٢.

أما الشيخ أحمد بن عبدالله بن محمد فقد تتلمذ على يد المحدث أبو محمد عبد العزيز المهدى القسطلانى سنة ٦٤٧ هجرية . ولقب بشيخ الحجاز . أما العالم أبو محمد عبد السلام محمد بن مزروع المغربى البصرى المكى نزيل المدينة فقد تتلمذ على يد أبى القاسم بالبصرة وعلى يد شيخ الحرم بدر الشهابي . ويقال إنه حج اربعين حجة متوالية قدم في أكثرها من المدينة وكان يقوم بتدريس الحديث في المسجد النبوى الشريف (١) .

علـم القراءات :

بدأ الاهتمام بعلم القراءات في عهد الخليفة على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ويرجع السبب في ذلك الى اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول عدد كبير من الاعاجم في الاسلام ووقوعهم في أخطاء لغوية ونحوية اثناء تلاوتهم للقرآن الكريم مما جعل الخليفة على - كرم الله وجهه - يكلف ابا الاسود الدؤلى بوضع القواعد اللغوية والنحوية ليسير عليها كل قارئ ودارس للقرآن الكريم . وقد سار على نهج الخليفة على - معاوية بن أبى سفيان ومن بعده خلفاء المسلمين (٢) .

ولم تظهر مدارس القراءات المختلفة الا من منتصف القرن الثاني الهجرى اذ بدأ لكل قارئ مدرسة خاصة به فمثلا عاصم كانت تشتهر به مدرسة الكوفة ، وحمزة والكيسائى كانت تشتهر بها مدرسة البصرة . وقد انتقلت القراءات الى

---

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٣١.
المراغي: تحقيق النضرة ص ٨٢.
(٢) خورشيد: القرآن وعلومه ص ١١٢.
الحسينى: الحياة العلمية ص ٤٧.

أقاليم الدولة الاسلامية فقراءة عاصم أخذهـا قراء مصر الذين بدءوا ينتشرون في كل مكان ويسير على نهجهم قراء عديدون في أماكن مختلفة [1] .

لقد انتشرت القراءات السبع مع بداية القرن الرابع الهجرى واشتهرت بعض القراءات في كل من الحرمين الشريفين [2] . في مكة كانوا يفضلون قراءة نافع وفي المدينة كانوا يفضلوا قراءة ابن كثير . وظلت القراءتان متداولتان جيلا بعد جيل [3] .

واشتهر من القراء أبو يحيي المكى المتوفى سنة ٣٤٤ هجرية . وأبو عبدالله البلخى الذى ولد سنة ٣٧٢ هجرية . ويذكر لنا الفاسى في العقد الثمين أشهر القراء في مكة والمدينة [4] .

علـم الكلام :

وأما علم الكلام فلم ينتشر في بلاد الحجاز فلم يكن له نصيب يذكر في حلقات العلم ، ولم يهتم به علماء الحجاز ، ولقد اهتم به علماء اليمـن وفقهاؤها ويظهر واضحا في مصنفاتهم وكانوا ينقضون آراء المعتزلة في كثير من المواقف ومثل ذلك كتاب الحروف السبعة في الرد على المعتزلة للمراغى [5] .

---

(١) ابن سعد: الطبقات جـ ١ ص ٣٨.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٣٢.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٧٠.

(٢) خورشيد: القرآن وعلومه ص ١١٢.
الحسيني: الحياة العلمية ص ٤٨.

(٣) خورشيد: القرآن وعلومه ص ١٣٧.

(٤) الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٣٤.
شوقى ضيف: تاريخ الادب جـ ٥ ص ٧٣.
الحسينى: الحركة العلمية ص ٤٩.

(٥) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٥٠٦.
العباسى: عمدة الأخبار ص ٢٥١.

أما علماء الزيدية فانهم ناصروا آراء المعتزلة ، وتابعوهم في القول بخلْق القرآن ، وألفوا كتابا سموه « الدافع للباطل من مذهب الحنابل . وردوا على الحنابلة ردا عنيفا » [١] .

ومن المعلوم أن الامام زيد بن على زين العابدين امام مذهب الزيدية تتلمذ على يد واصل بن عطاء صاحب مذهب المعتزلة . لذا فان مذهب الزيدية أخذ بآراء المعتزلة ، مما أدى الى نمو آراء الاعتزال في مذهب الزيدية وانتشارها في اليمن . واستمر تأليف الكتب الكلامية من أئمة علماء الزيدية مثل كتاب شرح القلائد في علم الكلام ، والأدلة على وجود الله في التوحيد ، وألفت كتب عديدة في معرفة رجال المعتزلة [٢] .

علوم اللغة :

ومما تجدر الاشارة اليه أن جميع أمصار الدولة الاسلامية قد اشتركت في التراث اللغوى والنحوى . ولذا لم يظهر كتاب من كتب اللغة في بيئة من بيئات الدولة الاسلامية الا نجده قد نقل الى البيئات الاخرى في جميع المجالات اللغوية وغيرها . وساعد على ذلك الرحالة . وما قالوا بجمعه من كتب . كما أن بعض العلماء اذا فقد كتابا ولم يستطيع الحصول عليه نادى في يوم الحج فيخبره من علم بهذا الكتاب [٣] .

وكان العلماء يرون ان علومهم لا تكتمل الا اذا رحلوا شرقا وغربا لمناظرة العلماء امثالهم ولقراءة الكتب المختلفة الخاصة بالعلم أو الفن الذي يراد التعمق فيه [٤] .

---

(١) العباس: عمدة الأخبار ص ١٩٥.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٣٠.
(٣) الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ٣٣٦.
(٤) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٨٩.

ولقد اهتم علماء الحجاز بعلوم اللغة ، كما اهتموا بعلم النحو وبرز علماؤهم في ذلك [1] . ومن أشهرهم عبدالله بن طلحة الأندلسى المتوفي سنة **٥٢٣** هجرية . وله مؤلفات عديدة في اللغة ، وشرح أبيات سيبويه [2] . ومن كبار اللغويين الحسن بـن محمد الصاغائى الذى توفى سنة ٦٥٠ هجرية . وكان قد جاور بمكة . وهو من أهل بنجاب . رحل الى مكة وبغداد في طلب العلم وتتلمذ علىأئمة علماء مكة في اللغة ، وألف كتبا عديدة في معاجم اللغة من أمثال التكميلة والذيل والصلة وكتاب النوادر في اللغة والعباب الزاخر [3] .

ومن الجدير بالذكر أن هذا العالم لم ينشأ في الجزيرة ولا في أى بلد عربي وانما نشأ في الهند . ومع هذا استطاع ان يجيد اللغة العربية حتى أصبح عالما من علمائها ثم اتى من بعده ابن عبد المعطى أحمد بن محمد الملقب بنحوى الحجاز . وهو من اصل مغربى ، تتلمذ في مصر على يد عالمها ابن حيان الغرناطى . قرأ على يده كتاب التسهيل لابن مالك . جاور بمكة وأجيز للتدريس بها ، واشتغل بتعلم العربية والعروض وتوفى بمكة سنة ٧٨٨ هجرية [4] ، واتى من بعده محمد بن أبـى بكر المرجانى . وهو من أئمة العربية

---

(١) الفاسى : العقد الثمين جـ ١ ص ٢٨٠.
السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٩٥.
مرداد : نشر النور والزهر جـ ١ ص ١٥.
الأنصارى : تحفة المحبين ص ٢٤.

(٢) الفاسى : العقد الثمين جـ ٤ ص ١٧٦.
ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٢٥٠.

(٣) الفاسى : العقد الثمين جـ ٣ ص ١٤٩.
ياقوت : معجم الأدباء جـ ٧ ص ٢٢٠.

(٤) الفاسى : العقد الثمين جـ ٢ ص ٤٢٩.
السخاوي : التحفة اللطيفة جـ ١ ص ١٦٩.

كان يقوم بتعليمها بمكة والمدينة وقرى الحجاز [١] .

ولا غرو أن اهتمام علماء الحجاز بعلوم البلاغة واعجاز القرآن كان واضحا فقد سار علماء العربية على نهج كتاب الامام على كرم الله وجهه « نهج البلاغة » وبرز من علماء البلاغة في الحجاز على بن ميثم البحرانى المتوفي سنة ٦٧٩ هجرية . فتحدث في مؤلفه عن البيان . وزعه على ثلاث قواعد الأولى لدراسة الألفاظ والثانية لدراسة المعانى والثالثة لدراسة الخطابة [٢] .

ومن أهم علماء البلاغة أيضا الامام الزيدى اليمنى يحيي بن حمزه العلوى صاحب كتاب التبيان في علم البيان ، ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز . وقد طبع في ثلاثة أجزاء بالقاهرة سنة ١٩١٤ م [٣] .

ولقد برز علماء اليمن في هذه الحقبة الزمنية بسبب انتشار التشيع فيما بينهم .

الأدب :

من الواضح أن القرنين الرابع والخامس الهجريين امتازا بنمو اللغة وكثرة تفرعاتها المختلفة . فنلاحظ أن اللغويين في هذا العصر بدأوا مرحلة تبسيط اللغة من قواعد النحو والصرف . ودونوا دواوين الشعراء ، كي يتفقه الناشئون فيها . وشارك الشعراء هؤلاء في هذا الصنيع [٤] . ويعود السبب في مشاركتهم

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٣ ص ٢٤٣.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٦ ص ٢٩٢.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٧٨.
(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٢ ص ٢٨٠.
(٣) شوقى ضيف: البلاغة تطور وتاريخ جـ ١ ص ٣٥.
(٤) شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٦٨.

أنهم شعروا بصعوبة اللغة وبدأوا يبسطون الشعر ولا يخوضون في غرائب اللغة كي تكون سهلة التناول من قبل المتلقين لها [1] .

وقد ساعد ذلك كله الناشئين في اتقان العربية والوقوف على كثير من أسرارها . كما أن علماء الكلام اخذوا يعتنون بالصيغ البلاغية التي يتفهمها هؤلاء الناشئون [2] . وأكبر مثل على ذلك الجاحظ وكتابه البيان والتبيين . فقد صور لنا فيه كثيرا من أسرار البيان العربي تصويرا يتيح للشباب أن يصل للمعرفة دون مشقة ، وأن يتذوق هذه الخصائص [3] . والأمثال كثيرة في هذا الصدد . مثال ذلك المبرد صاحب كتاب الكامل ، لذا فان هذا العصر قد خدم الناشئين في تذوق الأدب . وأصبح الأدب ميسورا لكل طالب علم . فيستطيع الناشىء ان يقرأ ديوانا شعريا دون عناء [4] .

كما أن دواوين الخلفاء امتازت بتوفر الكتاب المساهرين في هذه الحقبة الزمنية ، لكي يكونوا بمثابة موظفين بديوان الانشاء .

وازدهرت الترجمة في هذه الحقبة الزمنية . وظهرت الكتب

---

(١) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٢٥٣.
الباخرزى: دمية القصر ص ٢٩.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٦٩.
أحمد سيد محمد: الشخصية المصرية في الأدبين ص ٧٣.
(٢) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٢٤٤.
شوقي ضيف: تاريخ الادب جـ ٥ ص ٦٩.
شوقي ضيف: تاريخ الادب جـ ٥ ص ٧٠.
(٣) أحمد بدوى: الحياة الادبية في عصر الحروب ص ٢٦.
أحمد سيد: الشخصية المصرية ص ٧٣.
(٤) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٢٦.
الفاسى: العقد الفريد جـ ١ ص ٢٨٠.

المترجمة من اللغة الفارسية الى العربية . وكانوا يترجمون الكتب ترجمة حرفية واستخلصوا من معانيها الفاظا مختلفة دخلت فيما بعد في اللغة العربية . ونمت روح الترجمة لدى الناشئين (١) . وبرز الكندبى في هذا العصر . وترجم بعض الكتب اليونانية . وبلغ مبلغا عظيما في العربية . ووقف على كثير من اسرارها وخصائصها الأدبية (٢) - كما أن ابن قتيبة وضع منهاج الكاتب فألف كتابا اطلق عليه اسم « أدب الكاتب » (٣) .

ومن المعلوم أن الادب العربى له ملكاته الراسخة ، وأساليبه الموروثة المصفاة . ولا ينبغى أن يخرج عن معاييره الذاتية الى معايير أخرى ليست من طبيعته أو من بيئته . وهذا المبدأ التزم به علماء العربية في سائر امصار الدولة الاسلامية (٤) . فاستخدموا الاساليب التي توافق العصر آنذاك وتلائم الزمن . فبرز الكتاب في جميع المجالات الأدبية المختلفة . ونشأ نظام المقامات . وكتاب الانشاء والشعراء وعلماء اللغة . وأهم عامل من عوامل الأدب ظهور الشعر في هذه الفترة الزمنية (٥) . وستكلم عن ذلك تفصيليا .

الشعـــر :

ظل الشعر في الجزيرة العربية طوال هذه الحقبة لهذا البحث ينهل من ينابيعه القديمة التي امتازت بها الجزيرة العربية شرقها وغربها شمالها وجنوبها .

---

(١) أبو شامه: الروضتين جـ ١ ص ٢٤٠.
المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٢٤٥.
أحمد بدوى: الحياة الأدبية ص ٣٠.
(٢) شوقى ضيف: تاريخ الأدب ص ٧١.
(٣) المرجع السابق: ص ٧٢.
(٤) شوقي ضيف: تاريخ الأدب ص ٧٤.
(٥) الباخرزى: دمية القصر ص ٢٩.
شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٧٤.

فنشط الشعر في الحجاز [١] . وفي كل انحاء الجزيرة العربية وبخاصة مكة التي استقر فيها عدد كبير من الشعراء وامتلأت كتب التراجم باشعارهم حتى أن أمراءها من الحسنيين كانوا يجيدون نظم الشعر والتغني به [٢] . فقد كان الشعر غذاء المجالس . وانتشرت دواوين الشعر للشعراء المشهورين . وامتاز هذا الشعر بالتزامه باللغة العربية الفصحى [٣] .

ولم يأخذ علماء اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، اللغة والشعر عن مكة والمدينة . والسبب يعود الى أن هاتين المدينتين نزح اليهما كثير من الموالى [٤] ، مما جعل علماء العربية لا يعتدون بهما في وضع قواعد اللغة العربية ، وبسبب اعجميتهم واستمرارهم بالمجاورة في مكة والمدينة ، واشتغالهم بالتدريس واجادتهم اللغة ونظم الشعر زاد من أهمية هاتين المدينتين في هذا العصر . وكذلك لمناظرتهم علماء اللغة الذين يفدون في مواسم الحج أدى الى نبوغهم في اللغة [٥] . وكان منهم اساتذة كثيرون يعلمون الناس اللغة العربية في الحرمين المكى والمدنى . وكان منهم من يقوم بتعليم الصبية في الكتاتيب مما أدى الى تمكنهم في العربية . وادخال عبارات أعجمية في الفاظ عربية [٦] .

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٣ ص ١٣٨.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٤٩.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ٧٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١١٧.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٣ ص ١٤٢.
الفاسى: العقد الثمين جـ ٤ ص ١٠٢.
الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٣١.

(٣) المرجع السابق: جـ ١ ص ٣٢.

(٤) شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٨٩.

(٥) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٣٢.
ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٣ ص ١٤٥.

(٦) الناس: العقد الثمين جـ ٤ ص ٢٠٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٤٨.

ويذكر لنا عمارة اليمنى في كتابه « المفيد في اخبار زبيد » أن هؤلاء الوافدين الأعاجم كانوا يجيدون العربية . وقد تتلمذ على ايديهم . ولم يشعر بأن واحدا منهم لحن في شيء من الكلام [1] .

ويصف لنا عمارة اليمنى انتشار اللغة العامية في الجزيرة العربية فيقول بأن مدن الحجاز واليمن تأثرت بهؤلاء الوافدين من الأعاجم ، فلحنوا في لغتهم أما الجوادى فظلوا يحتفظون بنصاحة كلامهم [2] .

ومن الجدير بالذكر أن الشعر في هذه الحقبة الزمنية كان يمثل ألوانا مختلفة وكان يدور على السنة الناس . والشعر الذى انتشر في جميع أقاليم الجزيرة العربية هو شعر الغناء الصنعانى واشتهر زمن سلاطين بنى رسول [3] . وهذا الشعر لا يلتزم بقاعدة في موسيقى العروض وتكثر فيه المسهطات والموشحات . وغالبا ما كانت تسوده اللغة العامية والجيد منه كان يؤدى باللغة الفصحى [4] .

ويرى الدكتور شوقى ضيف [5] أنه من الشعر النبطى . والأرجح أن هذا الشعر كان متعارفا لدى جميع الناس في شبه الجزيرة العربية . ومنه خرج الشعر

---

(١) عمارة اليمنى: المفيد في تاريخ اليمن ص ١٢٢.
(٢) المصدر السابق: ص ١٢٥.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٩٠.
(٣) الباخرزى: دمية القصر ص ٣٨.
الخزرجي: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٤٠.
السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٢٤.
(٤) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٣٢.
شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٩٣.
علي السليمان: العلاقات الحجازية ص ٢٣٤.
(٥) شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٩٤.

النبطى . لأن النبطى لم يكن لديه قاعدة عامة . أما الصنعانى فانه كان يتغنى به الناس . وهو يشبه الموشح في مقاطعة .

أما النبطى فهو نثر منظوم ولم يكن شعرا . وكان علماء اللغة آنذاك لا يعتبرون الشعر النبطى شعرا لكثرة اللغة العامية فيه . وخلوه من الفصحى . وعلى الرغم من ذلك فانه لم يعتبر شعرا له ازدهاره في تلك الحقبة الزمنية . وقد انتشر هذا الشعر في البوادى وكان الحداة يميلون لاستخدام الشعر النبطى في قوافلهم دائما [١] .

وقد نشطت الحركة الشعرية في هذه الحقبة الزمنية بسبب كثرة الوافدين الى الحجاز، وهجرة بنى عقيل الى الحجاز واختلاطهم بالمدارس في العراق . وقد أدى ذلك الى نشاط واسع في الشعر في هذه الحقبة الزمنية [٢] .

---

(١) السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٩٣.

(٢) شوقى ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٩٥.

الشعــراء :

نبغ في هذه الفترة شعراء كثيرون في اليمن والحجاز . والسبب في ذلك قيام دول صغيرة في اليمن . وأدى ذلك الى جذب الشعراء الى اليمن لكثرة الأعطيات والهبات من قبل امراء اليمن لهم [1] .

ومن أشهر هؤلاء الشعراء أبو الحسن التهامى وابن أبى مرة المكى الذى يلقب بشاعر الحرمين ولقد برز امراء الحجاز وعلى رأسهم أبو الفتوح أمير مكة الذي كان يميل دائما الى نظم الشعر [2] . ولقد وصفه ابن مرة في هذا البيت :

يـــا سـيـــد افـديـتـــه بـــروحى
خولك الله ابـــا الـــفـــتوح [3]

ويذكر لنا الباخرزي في كتابه دمية القصر [1] أن الشعر اشتهر في مدن الجزيرة وبين قبائلها وقد حددهم بقوله : « انهم مجموعة من المكيين والمدنيين ومن المثقفين واليمنيين ومنهم العامرى والاسدى والبكرى والفسانى والشيبانى والهمذانى » وجميعهم يمثلون شعراء الجزيرة العربية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى . وبعض هؤلاء الشعراء رحلوا الى بغداد وانشدوا القصائد بين يدى وزير السلاجقة نظام الملك فاعطى لهم الأعطيات والهبات المختلفة .

---

(١) السباعي : تاريخ مكة جـ ١ ص ٢٩٧.
(٢) الباخرزى : دمية القصر جـ ١ ص ٣٨.
شوقى ضيف : تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٩٦.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١١٧.
المكناسى : درة الحجال جـ ٢ ص ٦١.
(٣) الباخرزى : دمية القصر جـ ١ ص ٣٢.
(٤) الباخرزى : دمية القصر جـ ١ ص ٣٣.

ومن أعلام الشعراء في هذه الفترة الامير شكر بن أبى الفتوح . ويذكر لنا الباخرزى نماذج من شعره أهمها قوله :

وصلتنى الهموم وصل هواك
وجفانى الرقاد مثل جفاك
وحكى لى الرسول انك غضبى
يا كفى الله شر ما هو حاك[1]

وهذان البيتان مطلع قصيدة قالها الشريف شكر سنة **٤٥٣** هجرية يعاتب بنى هلال وكان يشترك معهم في أقاصيصهم . وحدث بينه وبينهم سوء في العلاقة مما أدى الى أن تحتال القبيلة عليه فتأخذ ابنتها منه ، فأنشد هذه القصيدة [2] .

وله قصائد في الشجاعة والمواقف الحاسمة والشعور بالكرامة ورفضه الضيم ومن هذا الشعر قوله :

قوض خيامك عن أرض تضام بها
وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة
فالمندل الرطب في اوطانه حطب[3]

ويذكر الباخرزى [4] في كتابه نماذج شعرية لشاعر الحرمين الشريفين المجاشعى في مدحه لنظام الملك وزير السلاجقة منها قوله :

---

(١) المرجع السابق: جـ ١ ص ٣٧.
(٢) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٣٨.
(٣) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٤٠.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ٩٨.
(٤) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٤٢، ٤٣.

فنبتهم والنوم كحل عيونهم
بمدح نظام الملك أهل المدائح
يجود بمضمون الثراء تكرما
اذا قام علات النفوس الشوامخ

ومن أهم شعراء هذه الفترة الشاعر أبو الفضل جعفر بن يحيي الحكاك المكى وله قصيدة في الفخر بنفسه يقول فيها :

نوقر من جماحك في الزمام
وأسفر عن قناعك واللثام

ومنهم أيضا الشاعر هذاب بن دهثم الشيبانى ومن نماذج شعره في مدح نظام الملك :

ما خلق الله تعالى من رجل
مثل وزير الوزراء الاجل
أروع كالنصل ولكنه
أمضى من النصل اذا ما بسل[1]

وينضم الى هؤلاء الشعراء الامير على بن محمد الصليحى مؤسس الدولة الصليحية في اليمن . وكان يجيد شعر الفروسية ، ومن نماذج شعره قوله :

زوجت بيض الهند سمر رماحهم
فرءوسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح زواجها
الا بحيث تطلق الأعمار[2]

(١) الياخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٤٧.
(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١٠٢.

ويصور في هذه القصيدة معاركه مع خصومه الذين هزمهم وترتب على انتصاره بسط نفوذه على بلاد اليمن والدعوة للفاطميين ونشر المذهب الاسماعيلي [١] ويقال أنه حينما دخل الحجاز انشد قصيدة لاميه في الدعاية للمذهب الشيعى ، ويتعرض فيها لمعاركه الحربية ، ورد عليه الحسين بن يحيي الحكاك المكى بقصيدة على الوزن والقافية يعرفه بأن الحق لا يؤخذ بالباطل ومطلعها :

رويـــــدك لـــــيس الحق يـــــنـــــفى
ولـــــيس مجدّ في الأمور كـــــهـــــازل
كـزعـمك ان الـدرع لبسك في الـوغى
وذاك الجبن فـــيك غير مـــزايـــل [٢]

ويذكر الفاسى [٣] في كتابه « العقد الثمين » ان الأمير الصليحى أراد أن ينتقم من الشاعر حينما سمع هذه القصيدة ولكنه لم يستطع العثور عليه لأنه كان شاعر الحرمين فاخفاه الناس عنه حتى خرج من بلاد الحجاز .

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نذكر الشاعر عمارة اليمنى وقصائده في مدح الخلافة الفاطمية ومدح امراء مكة . وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك في الفصل الأول من هذه الرسالة وشعره من الشعر السياسى [٤] .

ويذكر ابن العماد [٥] الحنبلى ترجمة أحد امراء المخلاف السلمانى الذي جاور بمكة بسبب خلافه.مع أبناء عمومته أمراء المخلاف فأقام بمكة ويسمى

---

(١) المرجع السابق جـ ٥ ص ١٠٣.
(٢) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٥٨.
(٣) الفاسى: العقد الثمين جـ ٦ ص ١٤٩.
(٤) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ١٠١.
(٥) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤٠.

« دهمش بن دهاس . وقد ذهب هذا الأمير الى صلاح الدين وهو مقيم في حلب وقال قصيدة امامه يمدح فيها أمير المدينة قاسم الحسينى مطلعها :

سما بـكـرام في ذوائـبـه هـاشم
غـطـاريف مـاجـدين حـجـاجح

ويذكر لنا ترجمة سالم بن أبى سليمان . وهو مغربى الأصل ، أتى مكه وجاور بها ، ونظم قصائد في المديح ، واعتنق مذهب الزيدية[1] .

ولا غرابة في أن هذه الحقبة الزمنية التي تخص هذا البحث اتصفت بشعراء المديح ، فمثلا ظهرت طائفة من هؤلاء الشعراء مدحت نظام الملك السلجوقى وبرز في هذه الفترة الحكام أمثال بنى عقيل في الموصل وبنو مزيد في الحلة شجعوا أمراء المدائح[2] .

ولقد برز في الجزيرة العربية شعراء . مما أدى الى ظهور روح التنافس بين شعراء الشام والعراق ومصر . وبرز شعراء العقائد ايضا . فالصليحيون في اليمن اهتموا بنشر المذهب الاسماعيلي . وآل نجاح في زبيد اهتم امراؤهم بالشعراء [3] .

ويصف لنا عمارة اليمنى [4] في كتابه المختصر أن لأحد امراء آل نجاح وهو جياش ، كان له ديوان ضخم وكان هذا الديوان يجمع بين النظم والنثر . وقد اهتم بنو زريع في عدن بالشعراء وكان يدعون للمذهب الفاطمى فنظموا قصائدهم في نشر هذا المذهب وحينما سيطر الايوبيون على اليمن والحجاز اهتموا بالشعراء . واغدقوا عليهم الاموال ، مما أدى الى ظهور الحركة الشعرية في

---

(١) شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١٠٤.
(٢) المرجع السابق: ص ١٠٥، ١٠٦.
(٣) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٦٢.
(٤) عمارة اليمنى: تاريخ اليمن ص ١٦٩.

المدائح المختلفة . وسار على منهجهم سلاطين بنى رسول الذين سيطروا على اليمن والحجاز من بعد سيطرة الايوبيين [1] .

وامتاز بعض امراء مكة بنظم الشعر والتفاخر بانفسهم في نظمه . وأبرز شعرائهم الشريف قتادة بن ادريس الذي نظم الشعر وافتخر بنفسه وباسرته على غيره حيث يقول في احدى قصائده :

ولى كف ضرغام أذل ببسطها
وأشرى بها عز الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها
وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها بين الرحى ثم ابتغى
خلاصا لها انى اذاً لوضيع
وما أنا الا المسك في كل بقعة
يضوع وأما عندكم فيضيع [2]

ونشأ شعر المراثى مواكبا لشعر المدائح ، فكان الشعراء ينظمون قصائد الرثاء كلما اقتضت المواقف ذلك . وكثر في هذا العصر تأبين الشيوخ والفقهاء والمعلمين . وكان تلامذتهم وزملاؤهم ينظمون هذه القصائد ، ومثل ذلك شهاب الدين محمود الفهرى في القصيدة التي نظمها لشيخه نجم الدين الطبرى قاضى مكة ومطلعها :

---

(١) أحمد بدوى: الحياة الأدبية ص ٣٥.

(٢) الفاسى: العقد الثمين جـ ٥ ص ١٤٨.
ياقوت: معجم الأدباء جـ ١١ ص ٦٨.
النهروالى: الأعلام ص ١٤٨.
السباعي: تاريخ مكة جـ ١ ص ١٧٨.

مـا لـلـجفـون بها الـتسهـيـد قـد نـزلا
وما لطبيـب الكـرى عن مقلتى رحلا
مـا بـال قـلبـى بـتـذكـار الهموم لـه
شـغـل ودمـعـى ان كـفـفـتـه هملا
مـفـتـاح كـنـز عـلـوم الـديـن كـم فتحت
بـه بصـائـر قـوم لـلـورى ذللا [1]

وقد نظمت قصائد كثيرة في مراثى الشيوخ والامراء والعلماء في الحجاز ونظمت مراسم كثيرة في دعاة الدعوة الاسماعيلية ايضا ، ومراسم لسلاطين بنى رسول حتى انه لم يكن يموت سلطان منهم الا وينهال الشعراء بقصائدهم الحزينة تصف اهتمام سلاطين بنى رسول بالشعراء [2] .

ولم يقتصر الشعراء على رثاء السلاطين فحسب بل رثى بعضهم أزواجه وأولاده بقصائد رثائية خاصة بهم [3] .

ومن الملاحظ أن أكبر بيئة عربية شهدت شعراء المدائح النبوية هى البيئة الحجازية ، لأن الزهد والتصوف قد انتشر في هذه الحقبة الزمنية . فما من زاهد قصد الحج لأداء النسك ،أو قام بزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الا وأنشد مدائحه .

ومن أشهرهم ابن عزمى اذ يقول :

---

(١) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٦٣.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١٠٩.
(٢) الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٢٠.
النهروالى: الاعلام ص ٢٢٥.
(٣) الباخرزى: دمية القصر ص ٠٦٥
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١١١.

مـــرضى من مـــريضـــه الاجـــفـــان
علانى بـــــذكــــــرهـــــا علانى
هـــفت الورق بـــالـــريـــاض ونـــاحت
شـــجـو هـــذا الحمام حما شـــجـــانى [1]

وحذا حذوه المتصوفة ، وعلى رأسهم القشيرى . وكانت أشعاره صوفية وجدانية . وسار على نهجه ابن الفارض . وله قصائد عديدة في الزهد والتصوف ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم . وبهذا كثرت القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم [2] .

وأصبح المتصوفة يرددون هذه الأبيات ، كما رددها النساك والعباد والمجاورون بها والمدينة ، على نحو ما نجده في ديوان الزمخشرى حتى لقب (بجار الله) [3] .

وتمتلىء المصنفات بالزهاد والنساك الذين جاوروا بمكة والمدينة وأنشدوا القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . مما جعل البوصيرى ينظم همزتين في نحو أربعمائة وخمسين بيتا سماها « أم القرى في مدح خير الورى » وكذلك قصيدته الميميه المشهورة باسم البردة [4] .

---

(١) السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ٢ ص ٢٧٤.
الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٦٥.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١١١.
(٢) النهروالى: الأعلام ص ٢٢٦.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ٣ ص ٧١٦.
الباخرزى: دمية القصر ص ٦٦.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١١٢.
(٣) الخزرجى: العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٢٨٣.
النهروالى: الأعلام ص ٢٣٠.
شوقي ضيف: تاريخ الأدب جـ ٥ ص ١١٣.
(٤) الباخرزى: دمية القصر جـ ١ ص ٦٧.

التاريـخ :

لقد نشطت كتابة التاريخ في الحجاز ، كما نشطت في اقاليم الدولة الاسلامية كلها . ولمع كثير من المؤرخين وعلى رأسهم ابن شبه الذى أرخ لتاريخ المدينة في القرنين الأول والثاني الهجريين [١] .

وكذلك ابن زبالة الذي أرخ أيضا لتاريخ المدينة في القرن الثاني ، وقد أخذ عنه السمهودى في كتابه « وفاء الوفاء » والكتاب يعتبر دائرة معارف كبيرة ، يعتمد عليها أى مؤرخ يؤرخ لتاريخ المدينة المنورة [٢] .

ولقد اهتم الازرقى [٣] في كتابه « أخبار مكة » الذي يعتبر أول كتاب تاريخى لتاريخ مكة المكومة ، ثم أتى الفاسى [٤] من بعده في القرن الثامن الهجرى ، وألف كتابه شفاء الغرام . ثم اختصره في كتابه « اتحاف الكرام » وكتابه الاخير الذى يعتبر من كتب التراجم وهو « العقد الثمين » اذ يعتبر كتابا تاريخيا يعالج النواحى السياسية والثقافية والادبية والحضارية لمكة .

وحذا حذوهم الديار بكرى [٥] الذى جاور بمكة وألف كتابه « الخميس

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٠١.
المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٧٧.
خير الدين الزركلى: الاعلام جـ ١ ص ١٢٨.
(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٥٦.
السمهودي: وفاء الوفا جـ ١ ص ٦٨.
الأنصارى: تحفة المحبين ص ١٣٣.
خير الدين الزركلى: الأعلام جـ ٢ ص ٣٠٣.
السخاوي: التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤١٤.
(٣) الأزرقى: تاريخ مكة جـ ١ ص ٤٦.
(٤) الفاسى: شفاء الغرام جـ ١ ص ٣.
(٥) الدياربكرى: الخميس في أنفس نفيس جـ ٢ ص ١٢٨.

في أحوال أنفس نفيس » وهذا الكتاب اهتم فيه بتاريخ السيرة النبوية . وخصص جزءا منه لتاريخ الكعبة المشرفة وهو القرن العاشر الهجرى والذي عاصره قطب الدين [1] النروالي المكى الذي كان يدرس علوم الحديث . ألفه عن تاريخ مكة وحكامها ، وجاء بعده ابن العماد الحنبلى الذي ألف شذرات الذهب في اخبار من ذهب ويعد من كتب التراجم وقد رتبه حسب السنين .

ثم جاء بعدهم في العصر الحديث الشيخ أحمد زينى دحلان مفتى الشافعية والف كتابه « خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام » وهؤلاء هم اشهر مؤرخى بلاد الحجاز وهم الذين قاموا بتدوين تاريخ بلاد الحجاز [3] .

---

(١) النهروالى: الأعلام ص ٢٧.
(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ ١ ص ١٠.
(٣) دحلان: خلاصة الكلام ص ٢٠.
شوقي ضيف: تاريخ الادب جـ ٥ ص ٨٥.

المصادر والمراجع



المصـــادر

أولا : المخطوطات :

— **ابن الضياء** :

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٥٧٠ تاريخ .

— **ابن فهـد : (ت ٨٨٥ هـ)** :
اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مكتبة الحرم المكى ، رقم ٢ ، تاريخ .

— **الأسدى (ت ١٠٦٦ هـ)** :
أخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، مكتبة الحرم المكى ، رقم ٤٨ تاريخ .

— **الرشيـدى** :
حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى امارة الحاج ، ميكروفيلم معهد المخطوطات ـ جامعة الدول العربية ، ٢١٥ تاريخ .

— **الصباغ (ت ١٣٢١ هـ)** :
تحصيل المرام في أخبار بيت الله الحرام ، مكتبة الحرم المكى رقم ٤٨ تاريخ .

— **الطبرى : (محمد بن على بن فضل بن عبدالله) : (ت ١١٧٣ هـ)** :
اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية رقم ٨٧٠ تاريخ .

— **الطبرى : (محى الدين على بن عبد القادر الشافعى الحسينى) :**
(ت ١٠٧٠ هـ) :
الأرج المسكى في التاريخ المكى ، مخطوط بمكتبة الحرم المكى رقم ٣
تاريخ .

— **العينى : (ت ٨٥٥ هـ) : (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى) :**
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ٢٣ جزء .

— **الفاسى : (ت ٨٣٢ هـ) :**
تحصيل المرام في تاريخ البلد الحرام ، مخطوط مصور على ميكروفيلم
بمعهد المخطوطات العربية رقم **٩٣٩** تاريخ .

— **سبط بن الحوزى : (ت ٦٥٤ هـ) :**
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
رقم ٥٥١ تاريخ .

ثانيا : المصادر المطبوعة :

— **ابن الأثير : (ت ٣٦٠ هـ)**
الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

— **ابن الديبع :**
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن على الأكوع ،
القاهرة ١٩٦٤ م .

— **ابن العمارة الحنبلى :**
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

— **ابن النجـار** :

الدرة الثمينة في فضل المدينة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م .

— **ابن الوردى** :

تاريخ ابن الوردى : جزآن ، القاهرة ، ١٢٨٥ هـ .

— **ابن أيبك الدوادارى** :

كنز الدرر وجامع القرر ، تحقيق صلاح الدين المنجى ، القاهرة ١٩٦١ م .

— **ابن بطوطة** :

رحلة ابن بطوطة ، القاهرة ، ١٩٢٩ م .

— **ابن تغرى بردى** :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

— **ابن حوقل** :

صورة الأرض ، طبعة لندن ، ١٩٣٨ م .

— **ابن جبير** :

الرحلة ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

— **ابن حجر العسقلانى** :

الدرة الكامنة في أعيان المائة الثانية ، تحقيق محمد سعيد جاد الحق ، نيودلهى ، ١٣١٩ م .

— **ابن خلدون** :

العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٧١ م .

— **ابن خلكان** :

وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

— **ابن شداد** :
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، سيرة صلاح الدين ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

— **ابن ظهيرة** :
الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف ، القاهرة ١٩٣٨ م .

— **ابن فضل الله العمرى** : (**ت ٧٤٢ هـ**) :
مسالك الأبصار في ممالك الأنصار ، تحقيق أحمد زكى ـ القاهرة ، ١٩٢٤ م .

— **ابن واصل** :
مفرج الكروب في أخبار بن أيوب ، الاجزاء من ١ : ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

— **أبو الفدا** :
المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

— **أبو شامه** :
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الغورية والصلاحية ، تحقيق محمد حلمى أحمد ومراجعة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٦٢ م .

— **الأزرقى** :
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى صالح مكة ، ١٣٧٢ هـ .

— **الأسفوى** : **جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى (ت ٧٧٢هـ)** :
(طبقات الشافعية ، الجزء الأول ، تحقيق عبدالله الجايودى ، بغداد ، ١٩٧٠ م .

— **الأصفهانى :**
الأغاني ، القاهرة ١٩٢٧ م .

— **الأنصارى : عبد الرحمن عبد الكريم الأنصارى ، تأليف ١١٢٤ هـ :**
تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، تحقيق محمد العروس ، تونس ، ١٩٧٠ م .

— **الباخرزى :**
دمية القصر وعصر أهل العصر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

— **البلاذرى :**
فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٠١ م .

— **الجزيرى: عبد القادر بن محمد الأنصارى الجزيرى : تأليف ٩٤٤ هـ .**
درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .

— **الخزرجى :**
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيونى عسل ، القاهرة ، ١٩١١ م .

— **السبكى : تاج الدين بن نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى :**
تأليف ٧٧١ هـ

طبقات الشافعى الكبرى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى .

— **السخاوى :**
التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

— **السمهودي** :

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٥ م .

— **الصفدى** :

الوافى بالوفيات ـ الطبعة الثانية ، ١٩٦٢ م .

— **العباس** :

عمدة الأخبار في مدينة المختار ، جدة ، ١٣٥٩ هـ .

— **العرش** :

بلوغ المرام في شرح مسك الغرام ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

— **الغسانى** : **الملك الأشرف أبو العباس الغسانى** :

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق محمود عبد المنعم ، بغداد ، ١٩٧٥ م .

— **الفاسي** :

١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ـ تحقيق محمد حامد الفقى ، القاهرة : ١٩٥٩ م .

٢) شفاء الغرام لأخبار البلد الحرام ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

— **الفاكهى** :

المنتقى في أخبار أم القرى ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

— **الفيروز ابادى** :

مجد الدين أبى الطاهر محمد بن يعقوب ـ تأليف ٨٢٣ هـ المغانم المطابة في معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، ١٣٨٩ هـ .

— **القطبى : عبد الكريم بن محب الدين (ت ١٠١٤ هـ)**
تاريخ البلد الحرام ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٧ هـ .

— **القلقشندي : أبو العباس أحمد ـ تأليف ٨٢١ هـ :**
صبح الأعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، ١٩١٨ م .

— **الماوردي : تأليف ٤٥٠ هـ :**
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

— **المراغى :**
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى ـ القاهرة ١٩٥٥ م .

— **المسعودى : تأليف ٣٩٦ هـ :**
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة ١٩٣٨ م .

— **المقدسى : تأليف ٣٨٨ هـ :**
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٦٧ م .

— **المقريزي :**

١) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٥ م .

٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .

٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ـ الجزء الأول ثلاثة أقسام تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا :

الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧ .
الجزء الثاني والثالث تحقيق محمد حلمى أحمد ـ القاهرة ١٩٧٣ م .

ـــ **النهروالي : قطب الدين النهروالى المكى الحنفى تأليف ٩٨٨ هـ :**
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

ـــ **النويرى :**
نهاية الأرب في فنون الأدب ـ دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٣ م .

ـــ **زين دحلان : تأليف ١٣٠٤ :**
خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

ـــ **عمارة اليمنى :**
تاريخ اليمن ـ تحقيق حسن سليمان محمود ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

ـــ **محب الدين الطبرى :**
القِرى لقاصد أم القرى ـ تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

ـــ **ناهد خسرو : تأليف ٤٥٤ هـ :**
سفر نامة ـ نقله الى العربية يحيي الخشاب ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٠ م .

ـــ **ياقوت الحموى : ت ٦٢٦ هـ**
١) معجم البلدان ، بيروت ١٩٧٧ م .
٢) معجم الادباء ، بيروت ١٩٦٥ م .

ـــ **يحيي بن الحسين : تأليف ١١٠٠ هـ :**
غاية الأمانى في أخبار اليمانى ، جزآن ـ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ م .

ثالثا : المصادر الحديثة :

— **ابراهيم رفعت :**

مرآة الحرمين ، القاهرة ١٩٢٥ م .

— **ابراهيم على العياش :**

المدينة بين الماضى والحاضر ، دمشق ١٩٧٣ م .

— **أحمد السباعى :**

تاريخ مكة ـ دار مكة للطباعة ، ١٣٩٩ هـ .

— **أحمد السعيد سليمان :**

تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ـ القاهرة ١٩٦٦ م .

— **أحمد السيد دراج :**

١) ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر ، مقال بمجلة الجمعية المصرية التاريخية ١٩٦٨ م .

٢) عيذاب :

مقال بمجلة نهضة أفريقيا ، يوليو ـ أغسطس ١٩٥٨ م .

— **أحمد بدوى :**

الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٧٤ م .

— **أحمد بيلى :**

حياة صلاح الدين ، القاهرة ١٩٢٠ م .

— **أحمد خورشيد :**

القرآن وعلومه في مصر منذ الفتح الاسلامى حتى قيام الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٧٦ م .

ـــ **أحمد سعيد محمد** :
الشخصية المصرية في الأدب الفاطمى ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

ـــ **أحمد عبدالله الحسينى البرادعى** :
الدرة السنية في أنساب الحسنيه والحسينية ، مكة ١٣٧٥ هـ .

ـــ **اسماعيل باشا البغدادى** :
هدية العارفين بأسماء المؤلفين بآثار المصنفين ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ـــ **السيد البازى العرينى** :
مصر في عصر الايوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م .

ـــ **جواد على** :
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٦٩ م .

ـــ **حسن ابراهيم حسن** :
١) تاريخ الاسلام السياسى ، القاهرة ١٩٦٧ م .
٢) تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨ م .
٣) المعز لدين الله الفاطمى ، القاهرة ١٩٥٦ م .

ـــ **حسن الباشا** :
الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٥٧ م .

ـــ **حسنين محمد ربيع** :
١) النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٤ .
٢) وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى بموانىء الحجاز واليمن في العصور الوسطى .
النندوة الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية ـ جامعة الرياض ١٩٧٧ م .

٣) البحر الأحمر في العصر الأيوبى ـ ندوة تاريخ البحر الأحمر جامعة عين شمس ١٩٧٩ م .

— **حسين الصبرفي** :
علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ العدد الرابع والعشرون .

— **حسين باسلامه** :
تاريخ عمارة المسجد الحرام ، جدة ، ١٣٩٩ هـ .

— **حمد الجاسر** :
١) بلاد ينبع ، الرياض ، ١٣٨٩ م .
٢) رسائل في تاريخ المدينة ، الرياض ، ١٣٩٩ هـ .

— **خير الدين زكى** :
الأعلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

— **ذو النون المصرى** :
عمارة اليمن ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

— **زكى محمد حسن** :
الفن الاسلامي في مصر ، القاهرة ١٩٦٦ م .

— **سعاد ماهر** :
البحرية في مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ م .

— **سعيد عبد الفتاح عاشور** :
١) الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٠ م .
٢) الحركة الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

ـــ سيده اسماعيل كاشف :
مصر في عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

ـــ شوقى ضيف :
عصر الدول والامارات ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

ـــ صبحى لبيب :
التجارة الكارمية ونجارة مصر ـ المحلة التاريخية المصرية ـ المجلد الرابع ـ العدد الثانى ، ١٩٥٢ .

ـــ عائشة بافاس :
بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ـ رسالة ماجستير ، مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ .

ـــ عاتق البلادى :
معجم بلاد الحجاز ، مكة ١٣٩٩ هـ .

ـــ عبد الرحمن فهمي :
النقود العربية ماضيها وحاضرها ـ القاهرة ١٩٦٤ م .

ـــ عبد الرحمن الحوت :
رسالة المسجد في رمضان ـ بحوث مؤتمر رسالة المسجد ، مكة ١٣٩٥ هـ .

ـــ عبد العزيز الأزهرى :
قصص عكاظ ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

ـــ عبد القادر ملاقلندل :
الخلاصة المفيدة لأحوال عين زبيدة ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

— **عبد القدوس الأنصارى :**

١) آثار المدينة المنورة ـ بيروت ١٩٧٣ م .

٢) تاريخ مدينة جدة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

— **عطيه القوس :**

تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ـ القاهرة ١٩٧٦ م .

— **عزيز سوريال عطيه :**

العلاقات بين الشرق والغرب ـ ترجمة فيليب صابر ، القاهرة ١٩٧٢ م .

— **علي بن حسين السليمان :**

١) العلاقات الحجازية المصرية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢) النشاط التجاري في شبه الجزيرة أواخر العصور الوسطى ـ رسالة دكتوراه في الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٤ م .

— **على حافظ :**

فصول من تاريخ المدينة ، القاهرة ١٩٧٩ .

— **على حسنى الخربوطلى :**

١) تاريخ الكعبة ، بيروت ١٩٧٦ م .

٢) مصر العربية الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٣ م .

— **فؤاد سزكين :**

تاريخ التراث العربي (الجزء الأول) نقله الى العربية فهمى أبو الفضل ـ وراجعه محمود فهمى حجازى ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

ـ **محسن محمد حسنين** :
أربيل في عهد الأتابكة (٥٢٢ هـ : ٦٣٠ هـ) بغداد ، ١٩٧٦ م .

ـ **محمد أبو الخير مرداد** :
نشر النور والزهر ، جدة ، ١٤٠٠ هـ .

ـ **محمد الحسيني** :
الحياة العلمية والأدبية في الدولة الاسلامية ، ببروت ، ١٩٧٩ م .

ـ **محمد أمين صالح** :
١) دراسات نقدية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .
٢) علاقة الفاطميين بالصليحيين في اليمن . المجلة التاريخية المصرية ١٩٧٩ م .

ـ **محمد أنور شكري** :
لوحان أثريان ، مكة ١٣٩٦ هـ .

ـ **محمد بهجت مختار** :
الصلات السياسية والحضارية بين مصر وبلاد الحجاز منذ بداية العصر الاسلامى حتى نهاية عصر المماليك ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ ١٩٨٠ م .

ـ **محمد جمال الدين سرور** :
١) سياسة الفاطميين الخارجية ـ القاهرة ١٩٧٦ م .
٢) النفوذ الفاطمى في الجزيرة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

ـ **محمد حسين الذهبى** :
المسجد محور النشاط ـ بحوث مؤتمر رسالة المسجد ، ١٣٩٥ هـ .

- **محمد حسين يوسف** :
رسالة المسجد في العالم عبر التاريخ - بحوث مؤتمر رسالة المسجد ١٣٩٥ هـ .

- **محمد عبد العال أحمد** :
١) الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٧٧ م .
٢) بنى رسول وبنى طاهر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

- **محمد عبد الفتاح عليان** :
الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بنى رسول في اليمن - القاهرة - ١٩٧٣ م .

- **محمد لبيب البتانونى** :
الرحلة الحجازية - القاهرة ، ١٣٢٩ هـ .

- **محمود رزق محمود** :
العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين - رسالة ماجستير - جامعة عين شمس ، ١٩٧٣ م .

- **ناجى معروف** :
المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة - بغداد - ١٩٦٥ م .

- **نعيم زكى فهمى** :
طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٣ م .

- **يوسف أحمد** :
المحمل والحج ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ .

— Dohaish. Abdul latif Abdullah, History of Education in the Hijaz up to 1925, Cairo 1398/1978.
— Gerold, De Guary: "Rulers of Mecca, London 1951.
— Hindley, Geoffrey: Saladin, London 1976.
— Kammerer, A: "La Mer Rouge, Paris, 1925.
— Lewis, Bernard, "Egypt and Syria", in the Cambridge History of Islam, Vol (Cambridge, 1970).
— Rabie, Hassanein, The Financial System of Egypt. A.H. 564 - 741/A.D. 1169 - 1341, London, 1972.
— Kammerer, (Albert):
"La Mer Rouge a travers Les Ages", Paris, 1922.
— The Cambridge History of Islam. Vol. 1. Cambridge. at the University Press, London, 1970.
— Arashid, S.A. Critical Study of The Pilgrimage Road between Kufa and Mecca "Darb Zubaydah" P.H.D. Thesis University of Leeds, 1977.

المحتوى

الموضـوع	صفحـة

الموضوع	صفحة
العيـــون .	١٣٣
الأربطة في مكة .	١٤١
السبل والبرك .	١٤٨
المنشآت الاجتماعية في المدينة المنورة :	١٥١
الآبـــار .	١٥١
العيـــون .	١٥٣
الأربطـــة .	١٥٥
توسعة المسجد الحرام وعمارته .	١٥٩
توسعة المسجد النبوى وعمارته .	١٦٦
بناء المساجد وتجديدها :	١٧١
(أ) المساجد بمكة .	١٧١
(ب) مساجد المدينة المنورة .	١٧٥
(ج) مساجد جدة والطائف .	١٧٨
بناء الأسوار حول المدن .	١٧٩
الفصل الرابع	
الحياة العلمية في بلاد الحجاز	١٨٣ - ٢٣٦
الحياة العلميـة .	١٨٥
حلقات العلم في المسجدين الحرام والنبوى الشريف .	١٨٦
المدارس النظاميـة .	١٩٠

الموضوع	صفحة
الكتاتيب .	١٩٨
حلقات الدرس في الأربطة .	٢٠٠
العلوم العقلية .	٢٠١
علم الملاحة .	٢٠٣
العلوم الدينية .	٢٠٤
مشاهير العلماء والقضاة والمجاورين بالحرمين .	٢٠٧
علم القراءات .	٢١٧
علم الكلام .	٢١٨
علوم اللغة .	٢١٩
الأدب .	٢٢١
الشعر .	٢٢٣
الشعراء .	٢٢٧
التاريخ .	٢٣٥
المصادر والمراجع	٢٣٧ - ٢٥٤

مطابع دار الهلال للأوفست
الرياض : تلفون ٤٠١٥٢٦٨